ريموند وليمز

الكلمات المفاتيح

ترجمة: نعيمان عثمان

المركز الثقافي العربي

ريموند وليامز

الكلمات المفاتيح

ريموند وليمز

الكلمات المفاتيح

معجم ثقافي ومجتمعي

ترجمة: نعيمان عثمان

تقديم: طلال أسد

المركز الثقافي العربي

الكتاب
الكلمات المفاتيح
معجم ثقافي ومجتمعي
تأليف
ريموند وليامز
ترجمة
نعيمان عثمان
الطبعة
الأولى، 2007
عدد الصفحات: 336
القياس: 17 × 24
الترقيم الدولي:
ISBN 9953-68-194-5

جميع الحقوق محفوظة

الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ــ المغرب
ص.ب.: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 2303339 ـ 2307651
فاكس: 2305726 ـ 2 212+
Email: markaz@ wanadoo.net.ma

بيروت ــ لبنان
ص.ب.: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 01750507 ـ 01352826
فاكس: 01343701 ـ 961+
www.ccaedition.com

Email: cca@ccaedition.com

صدرت الطبعة العربية الأولى
من هذا الكتاب عن:
المجلس الأعلى للثقافة في مصر

العنوان الأصلي

Keywords
A vocabulary of culture and society
By Raymond Williams
(London: HarperCollins, 1976, 1983)

المحتويات(*)

تقديم: الدكتور طلال أسد 11
مقدمة المترجم 15
ريموند وليمز 23
مقدمة الطبعة الثانية 25

مقدمة		27
جمالي (الجمالية)	AESTHETIC	41
استلاب	ALIENATION	42
الفوضوية	ANARCHISM	46
أنثروبولوجيا - علم الإناسة	ANTHROPOLOGY	47
فن	ART	50
سلوك	BEHAVIOUR	52
برجوازي	BOURGEOIS	55
بيروقراطية	BUREAUCRACY	58
رأسمالية	CAPITALISM	59
مهنة/ سيرة	CAREER	61
إحسان/ بر	CHARITY	62
مدينة	CITY	64
حضارة	CIVILIZATION	65
طبقة	CLASS	68
تجمع	COLLECTIVE	77
تجارية	COMMERCIALISM	78

(*) في الأصل، تم ترتيب الكتاب حسب الألفباء الإنكليزية، لذلك عند البحث عن أي كلمة يجب اتباع الترتيب الألفبائي الإنكليزي.

78	COMMON	عام/ شائع/ فج/ مشترك
80	COMMUNICATION	اتصالات/ مواصلات
81	COMMUNISM	شيوعية
82	COMMUNITY	جماعة
84	CONSENSUS	إجماع
86	CONSUMER	مستهلك
87	CONVENTIONAL	تقليدي
88	COUNTRY	بلد/ ريف
89	CREATIVE	خلاق/ إبداعى
92	CRTICISM	نقد
94	CULTURE	ثقافة
100	DEMOCRACY	ديمقراطية
104	DETERMINE	يحدد/ يحتم
109	DEVELOPMENT	تنمية/ تطور
111	DIALECT	لهجة
112	DIALECTIC	جدلي/ ديالكتيكي
114	DOCTRINAIRE	نظري/ لا عملي
115	DRAMATIC	دراماتيكي
116	ECOLOGY	إيكولوجيا/ علم البيئة
117	EDUCATED	متعلم
118	ELITE	نخبة
121	EMPRICAL	امبيريقي/ تجريبى
123	EQUALITY	مساواة
125	ETHNIC	اثني
125	EVOLUTION	نشوء/ تطور/ ترقي
128	EXISTENTIAL	وجودي
131	EXPERIENCE	خبرة/ تجربة
134	EXPERT	خبير
134	EXPLOITATION	استغلال/ استثمار
135	FAMILY	عائلة

139	FICTION	خيال/ تخيل/ رواية
140	FOLK	فولك/ شعب
142	FORMALIST	شكلاني
145	GENERATION	جيل
146	GENETIC	جيني/ وراثي
147	GENIUS	نبوغ/ نابغة/ عبقري
148	HEGEMONY	هيمنة
150	HISTORY	تاريخ
152	HUMANITY	إنسانية
155	IDEALISM	مثالية
157	IDEOLOGY	ايديولوجيا
160	IMAGE	صورة
161	IMPERIALISM	إمبريالية
163	IMPROVE	يحسّن
164	INDIVIDUAL	فرد/ مفرد
167	INDUSTRY	صناعة/ جهد/ كد
170	INSTITUTION	مؤسسة
171	INTELLECTUAL	مفكر/ مثقف/ فكري
173	INTEREST	حصة/ مصلحة/ أهمية
175	ISMS	مصادر/ اسماء صناعية
176	JARGON	رطانة، لغة اصطلاحية
177	LABOUR	شغل/ عمل
180	LIBERAL	ليبرالي/ تحرري/ منادٍ بالحرية
183	LIBERATION	تحرير/ اطلاق/ تحرر
185	LITERATURE	أدب
189	MAN	رجل/ انسان/ بشر
191	MANAGEMENT	إدارة/ تدبير
193	MASSES	جماهير، العامة، طبقة عاملة
199	MATERIALISM	مادية
202	MECHNICAL	ميكانيكي

269	REVOLUTION	ثـورة
273	ROMANTIC	رومانسي (الرومانسية)
275	SCIENCE	علـم
279	SENIBILITY	حساسية
282	SEX	جنس
285	SOCIALIST	اشتراكي
290	SOCIETY	مجتمع
294	SOCIOLOGY	علم اجتماع/ سوسيولوجيا
294	STANDARDS	معايير
298	STATUS	منزلة
300	STRUCTURAL	بنائي
306	SUBJECTIVE	ذاتـي
310	TASTE	ذوق
312	TECHNOLOGY	تكنولوجيا
313	THEORY	نظرية/ تنظير
316	TRADITION	تراث/ تقاليد
317	UNCONSCIOUS	لاوعي
321	UNDERPRIVILEGED	غير ميسور/ مضطهد
322	UNEMPLOYMENT	بطالة
324	UTILITARIAN	منفعي/ نفعي
326	VIOLENCE	عنـف
327	WEALTH	غني/ ثروة/ وفرة
328	WELFARE	رخاء/ رفاهية
329	WESTERN	غربي
331	WORK	عمل/ شغل

المراجع وببليوغرافيا مختارة 334

إيضاحات:

استعملت هذه الاختصارات في النص:

ام : انظر المادة

اق : لغة إنجليزية قديمة

ام م : انظر المواد

س ب : سابقة بعيدة للكلمة

س ق : سابقة قريبة للكلمة

ف : لغة فرنسية

ق : قرن

قروسطى : قرون وسطى

ل : لغة لاتينية

م ق : منتصف القرن

مصدر الاقتباسات التي تظهر في النص متبوعة باسم وتاريخ أو بتاريخ فقط هو قاموس أكسفورد المعروف OED. أما الاقتباسات الأخرى فإنها تتبع بإشارة إلى مراجعها؛ والإحالات إلى المصادر الثانوية مرتبة حسب اسم المؤلف كما هو مسجل في قائمة المراجع والببليوغرافيا المختارة.

تقديم: الدكتور طلال أسد(*)

يمكن المجادلة بأن كتاب «الكلمات المفاتيح»، الذي صدر للمرة الأولى في 1979، هو أكثر مؤلفات الناقد الثقافي الشهير ريموند وليمز صمودا في استمرار تأثيره. فرغم مرور ثلاثين عاما على نشر مراجعاته التاريخية القصيرة لمفردات تعتبر الآن محورية بالنسبة للخطاب العام في عالم الناطقين بالإنجليزية إلا أنها لا تزال تستحق القراءة بتمعن. حتى يومنا هذا كثيرا ما يقرر هذا الكتاب ضمن مواد الدراسة للطلاب الجامعات. يكتسب قارىء كل مواد الكتاب وعيا عميقا بالكيفية التي تعبر بها اللغة المتطورة عن الحياة الاجتماعية الحديثة.

يستحق الدكتور نعيمان عثمان التهنئة على إتاحة الكتاب للقراء العرب في هذه الترجمة الدقيقة. هناك أمل بأن هذا سيزيد من وعيهم أكثر من أي وقت مضى بالصلات المعقدة بين اللغة والحياة الحديثة، وسيزيد من إحساسهم بالطبيعة الخلافية للأفكار العامة في الحداثة. ربما يؤدي ذلك في النهاية إلى القيام بجهد مماثل عن تطور «كلمات مفاتيح» في اللغة العربية نفسها ولها. لابد وأن يكون مشروع من هذا القبيل أكثر من مجرد تاريخ للكلمات إذ يتوجب أن يكون أيضا تاريخا للمفاهيم المركزية وللحياة السياسية والأخلاقية والاقتصادية التي تنظمها جزئيا هذه المفاهيم وتمثل فيها.

(*) الدكتور طلال أسد هو أستاذ مميز Distinguished Professor للأنثربولوجيا في مركز الدراسات العليا في جامعة مدينة نيويورك وله باع طويل في مجالى التنظير السياسي والديني. أحدث كتابين له هما:

- Genelogies of Religion الذي أصدرته مطبعة جامعة جونز هوبكنز، 1993 .
- Formation of the Secular الذي أصدرته مطبعة جامعة ستانفورد، 2003 .

وقد ترجم الكتابان إلى عدة لغات آخرها اليابانية. وأخيرا هناك كتاب يتناول بالنقاش أفكاره:
Power of the Secular Modern: Talal Asad And His Interlocutors (Cultural Memory in the Present) by David Scott (Editor), Charles Hirschkind(Editor)

الذي أصدرته مطبعة جامعة ستانفورد، 2006.

يتحدث ريموند وليمز في مقدمته عن استحالة القيام بعمله هذا لولا توفر قاموس أكسفورد New English Dictionary on Historical Principles المعروف بحروف كلماته الأول .O.E.D. هذا القاموس متعدد المجلدات، الذي يرصد الاستعمالات العامة للكلمات في تسلسل تاريخي معززة باقتباسات من مصادر مكتوبة، ليس هو بالتأكيد الصورة التامة للطريقة التي تطورت بها اللغة. في أية لغة ثرية لاتغيب عن أذهان المصنفين تنوعات أخرى كثيرة فحسب وإنما كذلك بالضرورة لن يحظى جانب الكلام المحكي بتمثيل مناسب في قاموس يكاد يكون اعتماده كليا على مصادر أدبية. مع ذلك فإن قامس أكسفورد منطلق لاغنى عنه لفهم الطبيعة التاريخية للغة الإنجليزية، وبالتالي الطبيعة التاريخية لكل الحياة الاجتماعية التي ندركها ونحياها في تلك اللغة. إنه لمبعث للحسرة أن لا يكون لدينا قاموس كهذا للعربية الحديثة. لا شك أن قاموسا عربيا يرتكز على قواعد تاريخية هو أمر جوهري لتتبع كثير من التحولات الأساسية في حياتنا وتفكيرنا الجمعيين: تغييرات بنيوية في الطرق التي نتفاعل فيها مع بعضنا ومع أنفسنا. يتوجب على من يكون لديه اهتمام بمسائل تاريخية مثل هذه أن يبدأ بالعودة إلى سلسة متعاقبة من القواميس ـ على سبيل المثال، لسان العرب وتاج العروس ـ التي تشكل نقطة انطلاق للتحرى، فما من مرجع هناك يعوّل عليه في معرفة الاستعمالات اللغوية الدقيقة عبر عدة قرون. من الطبيعي أن القواميس الكلاسيكية اعتبرت في المقام الأول معيارية وليس وصفية، أي أنها اعتبرت السلطة النهائية للاستعمال «الصحيح». لكن بالنسبة للبحث التاريخي عن تحول المجتمع والسياسة فإن هذا الزعم نفسه هو حقيقة اجتماعية وصفية، والثبات اللغوي الذي تفترضه هو نفسه موضع شك.

بشكل أساسي يعتمد كتاب ريموند وليمز الرائع على قاموس أكسفورد لكنه لا يقف عنده. إنه يسعى إلى وصف السياق الذي تتشكل فيه الكلمات، رغم أن المرء يتمنى أحيانا لو تسنى له أن يتوسع أكثر في ذلك. لا شك أن كل من اشتغل بهذه المسائل يعرف حق المعرفة أن «الكلمات» ترتبط بكل من «المفاهيم» و«الأشياء»، لكن هذه ليست البتة علاقة بسيطة: كلمة مقابل «مفهوم» أو مقابل «شيء». علاوة على ذلك، ترتبط الكلمات بعضها ببعض في شبكة من المعانى. تستدعى الضرورة سك كلمات جديدة أو استعارتها للتعامل مع صيغة حياة جديدة بينما في المقابل تفقد كلمات قديمة معانيها. ويجعل هذا كتابة المواد أمرا صعبا لأن المرء يحتاج معرفة نوعية العلاقات بين الكلمات والمفاهيم وصيغ الحياة. كان وليمز دونما شك على وعي بهذا التعقيد لكنه لم يفسح المجال كثيرا لنفسه ليتسنى له استكشاف العلاقات بشكل تام. بالمقارنة مع تصنيف أخر هو التاريخ المفاهيمي الألماني

المعنون: Geschtliche Grundbegriffe. Historisches Lexikon zur Politisch-sozialen Sprache in Deutschland (مفاهيم أساسية في التاريخ: قاموس يعتمد على المبادىء التاريخية للغة الاجتماعية والسياسية في ألمانيا) فإن مجاله يبدو محدودا. على سبيل المثال، بينما نجد عند وليمز صفحة واحدة عن «Anarchism الفوضوية» فإن القاموس الألماني يخصص ستين صفحة لهذه المادة. بالطبع القاموس الأخير يتكون من ستة مجلدات وشارك في كتابته فريق من الباحثين (صدر المجلد الأول في 1971). بالرغم من عنوانه فإنه لا يقتصر على الاستعمال في الألمانية بل يشمل لغات أخرى وفترات تسبق العصر الحديث. ويسعى هذا القاموس بطريقة منهجية إلى ربط تاريخ المفاهيم بالتاريخ الاجتماعي. لكننا عندما نتذكر أن «الكلمات المفاتيح» هو جهد مؤلف واحد ونتاج سنين عديدة من التجميع الصبور وتسجيل الملاحظات بطول أناة فإن الكتاب لا بد وأن ينال منا كل الاعجاب.

بخلاف مسألة طول أو قصر المواد هناك السؤال المهم عن الكلمات التي اختيرت على أنها مركزية والأسباب وراء ذلك. في «الكلمات المفاتيح» لا تشير المواد إلى الطريقة التي نعيش بها وكيف نتجادل حولها فحسب، بل تنبئنا أيضا عن ما يعتبره المؤلف هاما. لذا لا تحظى لا الكلمة «دين» ولا «علمانية» بأي اهتمام. بالنسبة لوليمز، لا أهمية لأي منهما في الحياة الحديثة، فالأولى تدل على طريقة حياة تسبق العصر الحديث (حسب الفرضية العلماتية، لابد وأن يذوي الدين كلما تطور المجتمع) والأخرى، لذات السبب المذكور توا، لأنها الأساس الفعلي للحياة الحديثة. لست من هذا الرأي. لكن حتى لو افترضنا صحته فإني أعتقد بأنه من الأهمية بمكان التعمق في الكلمات الموجودة فعلا ولكن مع ذلك تعتبر مهجورة، أو تلك التي درجنا عليها وأصبح مسلما بها لدرجة أنها لا تلاحظ بسهولة في حياتنا الاجتماعية.

للسبب ذاته أعتقد أن مدخل وليمز عن «Tradition تقاليد(تراث)»(*) ليس مرضيا. يميل الكاتب إلى اعتبار التقاليد «زعما باستمرارية القديم» و«عملية انتقاء من الماضي» تخفي الأساس الذي بني عليه هذا الانتقاء. بعبارة أخرى، تعتبر «التقاليد» وسيلة للاحتفاظ بهيمنة الطبقة الحاكمة. لكن حتى في عالم الناطقين بالإنجليزية ثمة كتابات كثيرة عن

(*) يعترض الدكتور طلال أسد على استعمال كلمة «تراث» مقابل «tradition» ويرى أن المقابل المتاح وليس الأفضل هو «تقاليد». لذا يجب أخذ هذا التحفظ الهام في الاعتبار كلما ترد كلمة «tradition» في هذا الكتاب، وبالذات في المادة المخصصة لهذا المصطلح التي أبقت على كلمة «تراث» واسعة الانتشار.

«التقاليد» فبها مراجعة لأشياء مثل «الزمن» و«التجسّد» و«السلطة». أشير هنا إلى كتّاب مثل حنا أرندت ومايكل أوكشوت وألاسدير ماكنتاير. ليس غرضي هنا القول إن كل ما كتبه هؤلاء الأشخاص يتفوق على آراء وليمز. ما أقوله ببساطة هو أن مفهوم «تقاليد»، وليس مجرد الفحوى الإمبيريقية لتقاليد معينة، هو موضوع خلافات معقدة حول جوانب من المجتمع والثقافة الحديثتين، وليس ثمة حس كاف بذلك في هذا المدخل من الكتاب. فبالرغم من أنه تحت غطاء «احترام التقاليد» كثيرا ما استعملت أفكار «الاستمرار التاريخى» و«الاستقرار(التاريخى)» كوسيلة لإضفاء الشرعية على حكم غير عادل، فإنه على نفس الدرجة من الصحة كثيرا ما استخدمت بنفس الطريقة أفكار حول «القطيعة مع الماضي» و«التغيير الجذري». إن «التقاليد» مفهوم معقد له تاريخ معقد وليس له مقابل عربى بسيط. تعبر عن هذا التعقيد ملاحظة ليدفج فتنجشتين: «ليست التقاليد شيئا يمكن للمرء تعلمه، وليست خيطا يمكن التقاطه متى شاء، تماما مثلما لا يستطيع اختيار أسلافه. من يفتقد التقاليد ويود الحصول عليها مثله مثل رجل غير سعيد في حبه».

في النهاية يجب القول بوضوح تام إن كتاب ريموند وليمز «الكلمات المفاتيح» إنجاز لافت، ولا يستطيع أي فرد يسعى إلى فهم العالم الحديث الاستغناء عن وعي تام لما يحاول الكاتب إيضاحه. فالتغيرات في مفرداتنا الاجتماعية - والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتبدلة التي تندمج فيها تلك المفردات - تفتح احتمالات جديدة أمامنا وتستبعد طرق التفكير والحياة القديمتين. يبقى السؤال: ماذا يمكن أن يفيدنا تطور «الكلمات العربية المفاتيح» التي نستعملها في عالمنا عن الحدود وحياتنا الجمعية وفرصها؟ بماذا يبوح كتاب مثل هذا عن العالم الذي فقدناه والعالم الذي كسبناه الآن؟ ذلك هو ما أرجو أن يكون مشروعا قادما للدكتور نعيمان عثمان.

مقدمة المترجم

ليس لريموند وليمز حضور في الثقافة العربية يوازي أو حتى يقترب من الأسماء التي لمعت مثل بارت أو فوكو ودريدا في فرنسا وإلى حد أقل بول دي مان وستانلي فش في أمريكا ولم يترجم له حسب علمي إلا كتابان من كتبه التي فاقت العشرين: أحدهما The Politics of Modernism طرائق الحداثة[1] تجميع لمقالات نشرت معا بعد وفاته والآخر- كما يشير غلاف الكتاب المترجم- «الدراما من إبسن إلى برخت». نشر له بعد وفاته كتابان آخران سوى الطرائق الذي يحوي مقالات مهمة إلا أن قارئه العربي لن يفتقد فقط عظم تأثير وليمز ولكن سيعتبره، كما يذكر التعريف بالمؤلف، مجرد «أحد أهم النقاد الإنجليز المعاصرين» «مختصرا نشاطه في «أستاذ للدراما بجامعة كمبردج حتى تقاعده في 1983». دور وليمز كان حاسما في مجالات مختلفة من الكتابة والتنظير إلى جانب العمل السياسي وتجاوز الحدود الضيقة لبعض المعارف إذ أنه من أهم مؤسسي ما يعرف الآن بـ «الدراسات الثقافية» التي لها صلات بكل الحركات الفكرية التي اكتسحت أوربا وأمريكا من بنيوية وتفكيكية وسيميائية ونسيوية ودراسات المهمشين والتابعين والثقافة الشعبية والإعلام والإيكولوجيا. كذلك كان لوليمز دور سياسى واجتماعى أساسي في صياغة بيانات سياسية وفى إصدار المجلة التي لاتزال مؤثرة The New Left Review. أما في مجالات المعرفة فقد شملت اهتماماته بالإضافة إلى الأدب والمسرح علوم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة والتاريخ والإعلام والتعليم. لذا ليس بالمستغرب أن يرتبط اسمه حسب الاهتمام بكل من هوجارت وتومبسون وإريك هوبسبوم و- في مرحلة لاحقة - إدوارد سعيد كزملاء ورفاق كما يرتبط بستيوارت هول وريشارد جونسون وبمدرسة فرانكفورت النقدية وببارت وبورديو ومارشال مكلوهان وفريدريك جيمسون وربما روبرت ميرتون.

حظيت اللغة في الدراسات الحديثة بالإهتمام الأكبر، وما مقولة فتنجشتين بأن حدود

(1) طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر،عالم المعرفة 246، يونيو 1999

اللغة هي حدود العالم إلا تبيانا لمدى هذه الأهمية وكان لوليمز- في تمييز له عن اللسانيين- اهتمام خاص بدور اللغة في الثقافة والمجتمع إلا أنه اختلف جذريا عن المقولة السائدة عن تدهور اللغة والشكوى الدائبة من ذلك والقاء اللائمة على تدهور القيم والأخلاق. ما يفعله هو نظرة جذرية للتفاعل بين الكلمات والمجتمع والدور الفعال - وليس فقط المنفعل- للكلمات. في مقدمته لهذا الكتاب يذكر بداية اهتمامه بذلك ويفنّد دورّ كلمات معينة تستعمل في النقاش العام لكنها قد تحجب أكثر مما توضح وجهات النظر ويذهب إلى ما هو أبعد من ذلك متجاوزا مقولات مثل شكوى أورويل من انحدار أو انحطاط اللغة وفقدان الكلمات لمعانيها الراقية أو حتى مقالة فاتسلاف هافل التي سبق وأن قمت بترجمتها إلى العربية عن تلوث بعض الكلمات مثل «اشتراكية» بل حتى «سلام»[1].

قد يستولي على البعض ولع بالكلمات ومن ثم حرص على معرفة أصولها وقد يجدون ضالتهم في قواميس تعريف وتحديد الكلمات وتقصّى أصولها لكن ليس هذا ما يسعى إليه وليمز. هو أقرب إلى سوسيولوجيا علم المعاني الذي استحوذ على روبرت ميرتون وإلى رولان بارت في قوله عن كلمات القاموس: «كل كلمة في القاموس هي عبارة عن سفينة فضائية: تبدو أنها مغلقة على نفسها محكمة جيدا في سدتها لكنها تصبح بسهولة بالغة نقطة انطلاق، تهرب نحو كلمات أخرى وصور أخرى ورغبات أخرى»[2]. كما أن القاموس يسعى إلى تقييد الكلمات فإن السوسيولوجي المهتم يسير في الطريق المخالف نحو معرفة وتقصى تلك الجهات التي «تهرب» إليها الكلمات وكيفية الهروب. لكن نقطة الانطلاق دائما هي القاموس.

في إحدى المصادفات السارة المفاجئة ـ السريندبية serendipity ـ يكتشف روبرت ميرتون هذه الكلمة (serendipity) في قاموس أكسفورد الضخم الكامل الذي كان أول استثمار معرفي له. نفس حب الاستطلاع قاد وليمز إلى الولع والتعلق بنفس القاموس وفى المقدمة التالية نجد مدى ارتباطه به. لكن رغم عظمه وعظمته فلم يكن بالنسبة له إلا نقطة انطلاق بل حتى مجال دراسة ونقد لدوره عبر الكلمات في إعطاء صورة معينة للواقع الفكري والاجتماعي والسياسي. تأتي كل كلمة محملة بمعاني وتضمينات واشارات يقوم محررو القاموس بتوكيد بعضها على حساب البقية. يضع وليمز هذا نصب عينيه بدءا باختيار الكلمات إلى اعترافه بالمشكلات الأساسية التي تكمن في الكتابة عن أية مفردة، إلا أنه يميز بين كتابه

---

(1) «كلمات عن الكلمات»، مجلة سطور، يونيو1999

(2) «القاموس»، ترجمة حامد طاهر، الأهرام.

هذا والقاموس المعتاد الذي يصعب في العادة إدخال تعديلات على مواده في مدة قصيرة لكنه لا يتستر خلف الاكليشهات المعتادة عن قصور المؤلف والاعتذار عن أخطاء وتحريفات محتملة ولكن يضع في صلب المشروع أهمية النقاش والجدل في مقالاته وتعليقاته.

كلمتان أساسيتان بالنسبة لوليمز: النقاش العام. أحد أهم دوافعه لتأليف هذا الكتاب هو الإسهام في تحليل كلمات أساسية يستخدمها الناس في نقاشهم العام وفى هذا المجهود التعليمى الذي يسعى إلى زيادة رأس المال الثقافى- مثله في ذلك مثل بورديو- ليكسر حاجز الخاصة ويصل إلى الجمهور الأوسع. يهدف هذا الاشراك الواعي في النقاش إلى تغيير في المجتمع ومكوناته وتطلعاته. لكل من نشأة وليمز وبيرديو في الريف وانتقالهما جغرافيا ومهنيا إلى مراكز سياسية وفكرية دور في هذا الحماس الرسولي الذي ينطبع به عملهما.

الثقافة: هذه الكلمة التي انطلق منها وليمز هي إحدى الكلمات التي لاتزال محور النقاش الفكري، وما اختيار تيرى إيجلتون لها كإحدى الأفكار الثمانية الكبرى المعاصرة لمجلةNew Statesman[1] إلا تأكيدا على أن الكتاب - رغم مرور سنوات على تأليفه- لايزال يناقش قضايا جوهرية. كذلك بما أن غرض الكتاب الأساسى ليس تعريف الكلمات ولا البحث في أصولها فإن دوره لايزال حيويا يؤكده رجوع كثير من المؤلفين إليه ويبينه الحضور المكثف لمفردات منه على الإنترنت (بحث عن طريق جوجل تحت كلمتى ثقافة ووليمز، مثلا، ينتج ما يفوق ثلاثين ألف مادة بعضها متكرر لكن عددا وافرا منها مقررات جامعية). كذلك يؤدي البحث عن اسم الكتاب إلى مجلة هامة مرتبطة بجمعية ريموند وليمز اسمها Key Words.

قد يجد البعض ممن تعودوا على «ثبات» كلمات معينة ومركزيتها وبقائها الأبدي كثيرا من الغرابة في إبعاد كلمة هامة REALISM واقعية من دليل واسع الانتشار مثل « Critical Terms for Literary Studies مصطلحات نقدية للدراسات الأدبية»[2] لتأثرها بشكوك ما بعد الحداثة في أية مزاعم لتمثيل الواقع. مقابل هذا نجد روبرت سكولز يتبنى مصطلح «SEMIOTICS سيميوطيقيا»- مستندا على أسس أوربية مشابهة- لبرنامجه الأكاديمى الحديث في جامعة براون الأمريكية لأن الكلمة لم تحمل أي معنى بعد. يتذكر سكولز ذلك: «كانت دالا شبه غفل»[3].

---

(1) عدد 26 ـ 7 ـ 2004

(2) جامعة شيكاغو، 1995

(3) بوسطن جلوب، 16، 5، 2004

ينصب الاهتمام الكبير لدينا على المصطلحات المتخصصة في المجالات العلمية والمعرفية وظهرت كتب كثيرة في العربية اعتمدت إما الترجمة والتعريب أو التأليف، طغت فيها المصطلحات الأدبية أو تلك التي ارتبطت بمدارس فكرية حديثة. قد تكون هناك اعتراضات أو تحفظات على انتزاع مصطلحات من سياقها وإقحامها في ثقافة تنقصها مقومات المعرفة الأساسية، مما يضفي على الكتابة والنقاش صفة السحر والتمويه وليس مجرد الحجب والتوكيد التي خشيها وليمز بالنسبة لمجتمعه، وفى كثير من الأحوال تفقد الكلمات المنتزعة بهذه الطريقة النشاط الفكري الذي يحورها ويعدلها وربما يسقطها لكن في سياقها الجديد قد تتحجر وربما «تتقدس». ما يفعله في هذا الكتاب هو اختيار كلمات أساسية يستعملها الناس في نقاشهم العام: كلمات ليست متخصصة ولكنها عميقة ومتشعبة، كلمات في مجال الاستعمال العام لكنها نفسها فعالة.

قد تكون الكلمات العامة أهم عامل في النقاش العام في الوضع الحاضر. في الوقت الذي يتحدث فيه وليمز مجازيا بعد رجوعه من الحرب بأن "هذه ليست لغتنا» فإننا غرباء تماما ليس فقط بسبب اللغة والكلمات الأجنبية وليس لأنه جرى عليها تحويل وتبديل في نطاقها الأصلي وإنما لأنها تأتي مثقلة بتراكمات متنوعة. قد يكون من الضروري إيلاء كلمات وعبارات فكرية أو أدبية مثل تلك التي تمتليء بها الأدلة الأدبية أهمية مستحقة لكن يبقى أثرها محدودا وقد تكون مخلة أو نخبوية كما هي في لغاتها الأصلية وتأتي في الغالب على حساب كلمات تبرز في كل الأحاديث العامة لكن دون سند مفهومي يجعل استعمالها فعالا في النقاش العام. أضرب مثالا من مقالة في صحيفة في متناول الجميع يذكر فيها محمد عابد الجابري كلمة تشغل الرأي العام: الإصلاح.

فى مقالة ضمن مقالات هي أقرب إلى البحوث منها إلى كتابات صحفية بعنوان «مفهوم الإصلاح»[1] يراجع الجابري كلمة الإصلاح في الثقافة العربية ويقارنها بمقابلتها الأوروبية ومرجعيتها اليونانية ويتساءل عن عدم وجود تعريف إيجابي للكلمة في اللغة العربية. وبعد تفكيك الكلمة اللاتينية الأصل إلى «إعادة تشكيل» يرجح أن الكلمة العربية «إصلاح» يقابلها في الإنجليزية ليس reform ولكن repair إصلاح العطل الذي يحدث لآلة، سيارة في مثاله. لا تسند هذا التحليل العودة إلى المراجع الإنجليزية وربما تبين عدم دقته. مع ذلك كم مفيد مطالعة المادة المختصرة في هذا الكتاب عن: « REFORM تغيير

(1) الاتحاد الإماراتية، 26، 7، 2004

شيء إلى الأفضل، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة استرجاع حالة سابقة أقل فسادا»، وهو ما يؤكد إلى حد ما قول الجابري عن معنى الكلمة السلبي كمقابل لفساد، لكن هذا المعنى الإنجليزى كان معنى مبكرا. وافق كلام الجابري رأى ولي عهد دبي الذي قال في ندوة في عمّان بشأن المطالبة (الخارجية؟) بالإصلاح: «هل لدينا شيء مكسور حتى يصلح؟». هذه كلمة واحدة وهناك كلمات أخرى يتم تداولها على مستويات متفاوتة من الخلل والتوتر: ديمقراطية، مجتمع مدني، حداثة، علمانية، حضارة، تراث وبالطبع ثقافة والكلمات المتفرعة منها مثل تنوع ثقافي ودراسات ثقافية.

تطغى كلمات معينة في «النقاش العام» في فترات معينة، وكان ذلك يقتصر في الماضى على إما مجال معين أو مجتمع معين لكن في ظل تداخل المعارف والعولمة انتشر كثير من المفردات انتشارا أسهم في إثراء - وتشويش- النقاشات المحلية السائدة. بعض هذه الكلمات العامة يفقد تأثيره وبريقه مثل «paradigm»، نموذج أو إمام كما يترجمها جاك بيرك، التي تبنّاها توماس كوهن، أو تخضع لشكوك كما رأينا بالنسبة لـ REALISM وقد تحدث ردة فعل ضد بعض الكلمات التي تعرف ب «الميتات metas، ما وراء» أو «البوستات posts، ما بعد» أو «رطانة التنظير theorese». هكذا نجد أنفسنا مضطرين في أحايين كثيرة إلى وضع بعض هذه الكلمات بين مزدوجين مثل «ثقافة» الكلمة الأولى التي تتبع وليمز تقلباتها وكذلك كلمة «حداثة» التي أولاها اهتماما كبيرا لكنها كانت بالنسبة لفريدريك جيمسون كلمته الأولى: «باختصار لنقل إن هذا سيكون تحليلا شكلانيا لاستعمالات الكلمة «modernity» ينفى كل افتراض بوجود معنى صحيح للكلمة يمكن اكتشافه وتصوره وتبنيه». حسب كريستوفر بندرجراست، «يذكرنا هذا بمحاولة ريموند وليمز- في كتابه Keywords الذي يضم مادة «modern» حديث- دراسة التاريخ الثقافي والاجتماعي عن طريق علم المعاني التاريخي»[1]. كانت كل من هاتين الكلمتين جزءا من ثنائي: حداثة/ تقليد أو تراث وثقافة/ مجتمع. الثنائي الأول عام لكن الثاني طوره وليمز بشكل موسع. كثير من الثنائيات تكون متقابلة أو متعارضة أو متداخلة لكنها تشكل محاور أساسية للنقاش العام المستمر: ثقافة/ طبيعة، تقدم/ محافظة أو رجعية، ذاتي/ موضوعي. قد تكون دراسة الثنائيات معا مفيدة كما هو في حالة «action/reaction فعل/ رد فعل» واسعة

(1) Christopher Pendergrast, "Codeword Modernity," New Left Review 24, Nov/Dec 2003

الانتشار. في مراجعة لكتاب جين ستاروبنسكى «حياة ومغامرات زوج: فعل/ رد فعل» تشير إميلي جروشولز إلى أن هاتين الكلمتين اللتين تستعملان اليوم وكأنهما متلازمتان لم تكونا أبدا كذلك، وبأسلوب مشابه لأسلوب وليمز يتتبع ستاروبنسكي الكلمتين من العصور القديمة وعبر عدة علوم: من أصليهما المختلفين نجد عدم مساواة الاثنين. في الكيمياء نجد «reaction تفاعل» تعني عملية كيميائية لها بداية ونهاية؛ وفي الفيزياء النيوتونية «المساواة بين الفعل وردة الفعل»؛ وفي علم النفس الفرويدي كانت «reaction» أساسية. أما بلزاك فاستعمل الفعل to» «react والإسم «reaction» وكلمات أخرى ليظهر «مفعول الحداثة» في الرواية؛ ثم استعملت «reaction» في الخطاب السياسي بمعنى «معارضة الإيمان بحرية الفرد وكرامته» و«معارضة التقدمية progressivism»، لكنه يعود في النهاية، بطريقة تبين مسار الكلمة الملتوي، إلى الجزم بأن عمله كمؤرخ «reactionary» رجعي بمعنى العودة إلى الماضى[1].

يتوسع ريموند وليمز أكثر من «الثنائيات» ويفضل دراسة الكلمات ضمن «مجموعات» أو كما يسميها «عناقيد» وذلك لترابطها الشديد، ويؤثر ترتيب مواد الكتاب بهذه الطريقة، لولا المشاكل التي تنجم عن ذلك. بالنسبة له كانت «ثقافة ومجتمع» و«ريف وحاضرة» عنوانين لإثنين من أهم كتبه، لكنه قدَّر أهمية الصلة بين كلمات «مترابطة جوهريا» مثل أدب وفن وواقعية. مجموعة أخرى قد لاتكون بنفس الوضوح لكن بينها ترابط كبير: عائلة وجماعة ومجتمع وطبقة وديمقراطية. في هذه التجمعات تعقيد كبير إلا أن بعض مفردات الكتاب التي قد تبدو معروفة هي من أكثر الكلمات تعقيدا. يشير وليمز في مقدمته إلى صعوبة «COMMUNITY جماعة»، لكن يمكن إضافة « FAMILY عائلة» أو «STRUCTURE بنية» إلى قائمة الكلمات الصعبة والتي تشكل الأساس لكلمات أخرى.

تعرض وليمز لنقد من كل من اليمين (وصفته مجلة Foreign Affairs ـ خريف 1984 - بأنه أحد أهم مفكري بريطانيا الراديكاليين إثارة، وهاجمته مجلة New Criterion ـ في عدد صيف 2003 في موقعهاعلى الإنترنت وقبل ذلك في عدد فبراير، 1990 - هجوما كاسحا ومتجنيا) ومن اليسار حيث انتقد نقدا شديدا لرفضه الربط الماركسى بين «القاعدة» و«البنية الفوقية»، وكذلك تعرض مفهومه الأساسى «المادية الثقافية» لبعض النقد. أما بالنسبة لكلمته الأولى «الثقافة» فقد اتهم بالعودة إلى مفهوم الكلمة النخبوي كما هو لدى ماثيو آرنولد وت إس إليوت.

---

(1) www.hudsonreview.comlGrosholzWio4.html

يمكن للقاريء ملاحظة تفاوت مستوى المواد، فالقليل لايرقى إلى مستوى الأغلبية. كما يجب التنبه إلى أن بعض الكلمات أثرت وتأثرت بدون شك منذ صدور الكتاب، آخذين في الاعتبار انخراط ثقافات كثيرة في هذا النقاش وهذه الكلمات، وليس فقط في بريطانيا أو الغرب. كلمات أخرى كثيرة استجدّت ولابد أن تدخل في هذا النقاش وتكوّن هي بدورها ثنائياتها وعناقيدها.

كتب وليمز كتابه للمتعلم غير المتخصص لكن من يسعى ليعرف أكثر مما تحويه القواميس المعرِّفة أو المسارد. أما بالنسبة للقارىء العربى - الذي تزيد فائدته لو كان ملما بمبادىء اللغة الإنجليزية - فإن الكتاب يوفر له بعض الأسس للإسهام في النقاش العام الذي عادة ما يفتقد إلى معرفة ولو بسيطة بالمفردات أو - وهذا هو الأسوأ والأكثر شيوعا- يعطي بعض الكلمات رسوخا وثباتا ومن ثم تقديسا. في لحظة سيرنديبية (؟) وقعت على قصاصة قديمة إلى حد ما من جريدة الأهرام فيها تعريف لكلمة Mass(es) (هكذا) بدأ بالإشارة إلى أن هذا «المصطلح نشأ في اللاهوت المسيحى (والصلاة المسيحية) حيث يعني القداس والاحتفال بالقربان المقدس مع احتشاد الشعب في كتلة واحدة!» بالعودة إلى أصل الكلمة تتضح عدم الدقة الإتيمولوجية وتزاح عن الكلمة «القداسة». ويورد وليمز في هذا السياق ملاحظة ثاقبة ودالة: «في الحقيقة لاتوجد هناك جماهير masses؛ هناك فقط طرق للنظر إلى الناس على أنهم جماهير». يكتمل طموح الكتاب وترجمته لو كان للمفردات هنا دور أساسي في النقاش العام، حول «الإصلاح» مثلا، من قبل «الجماهير» عن طريق ادراك للمفاهيم الأساسية ووعي بتقلب الكلمات مما يمكننا من القول بأننا «نتكلم نفس اللغة».

بمناسبة صدور الطبعة الثانية أجدها فرصة، لم تتحقق في الأولى، لذكر شخصين كان لهما أعظم الأثر على هذا الكتاب: الدكتور أحمد مستجير عالم الوراثة وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي كان له الفضل في النصح في جوانب مهمة من الترجمة، بالإضافة إلى سعيه الدؤوب في متابعة نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب؛ الرحيل المفاجيء والفاجع لهذا العالم الجليل والشخصية العظيمة في تواضعه ولطفه هو خسارة كبرى على المستويات العلمية والثقافية والشخصية. أما الدكتور طلال أسد، عالم الأنثروبولوجيا البارز والمنظّر في الأديان المعروف، فيتجلى دوره في تحمسه لهذا الكتاب بناء على معرفة معمقة، وهو ما يظهر في مقدمته الشاملة حيث يضع الكتاب في إطار معرفى عالمي: مقارنته بما يتوفر في الألمانية وأمله في أن تتوفر دراسة مماثلة في الغة العربية ولها.

إهـــداء

إلى كريستي، أنيكا،
ديفد وروزالند

ريموند وليمز

ولد ريموند وليمز في 1921 في قرية باندى الويلزية الواقعة على الحدود مع إنجلترا. درس في ثانوية أبرجافيني وكلية ترينيتي في جامعة كمبردج وشارك في الحرب العالمية الثانية كقائد مضادة مدرعات في كتيبة الحرس المدرّعة . بعد الحرب عمل كمدرس للكبار في برنامج جامعة أكسفورد للدراسات غير الجامعية . في 1961 انتخب كزميل في كلية جيسس في جامعة كمبردج.

تشمل كتبه المنشورة:

Culture and Society,
The Long Revolution,
The Country and the City;
Drama in Performance,
Drama from Ibsen to Brecht,
Modern Tragedy;
Communications;
Border Country,
Second Generation,
The Fight for Manod,
The Volunteers;
Marxism and Literature,
The English Novel from Dickens to Lawrence;
Politics and Letters. (مقابلات)

ونشرت له «فونتانا»

Orwell (l961, a Modern Master) ,
Television: Technology and Cultural Form (l974),
Culture (1981),
ومقال عن الثقافة في : Marx: The First Hundred Years (1983)

مقدمة الطبعة الثانية

الاحتفاء بهذا الكتاب في طبعته الأولى كان أقصى من كل توقعات المؤلف. شجعني هذا على مراجعته حسب الطرق الموضحة في المقدمة الأصلية لكن مع استمرار الشعور بأن العمل بالضرورة غير مكتمل وقاصر. في هذه الطبعة الجديدة تمكنت من إدراج واحد عشرين كلمة إضافية :

anarchism, anthropology, development, dialect, ecology, ethnic, experience, expert, exploitation, folk, generation, genius, jargon, liberation, ordinary, racial, regional, sex, technology, underprivileged, western .

بعضها أعدت إدراجها من قائمي الأصلية؛ كلمات أخرى أصبحت أهم في الفترة الواقعة بين القائمة الأصلية والوقت الراهن. كذلك قمت بمراجعات في النص الأصلي شملت تصحيحات وإضافات.

أود تسجيل جزيل شكري لأشخاص كثيرين كتبوا إلي أو تحدثوا إلي عن الكتاب. بعض المواد الجديدة هي من اقتراحهم وكذلك كثير من الإضافات والتصحيحات في النص الأصلي. لا يمكنني تحميل أي منهم مسؤولية عن أفكاري أو أخطائي لكن أنا مدين بشكل خاص لـ Aidan Foster-Carter لمجموعة الملاحظات خاصة عن development؛ ولـ Micae Mckeon لنقاط كثيرة لكن على الخصوص revolution؛ لـ Peter Burke لمجموعة ملاحظات فائقة الفائدة؛ لـ Carl Gersuny لمجموعة ملاحظات خاصة عن interest و work. مدين بشكل خاص لـ Daniel Bell على generation؛ لـ Gerald Fowler على scientist؛ لـ Alan Hall على history ؛ لـ P.B. Home على native؛ لـ R.D. Hull على industrial؛ لـ G. Millington وH.S. Pickering وN. Pitterger على education؛ لـ Darko Suvin على communist وsocial؛ لـ René Wellek على literature. كذلك أنا مدين لعدد من الأشخاص لاقتراحاتهم واشاراتهم: Perry Anderson, Jonathan Benthall, Andrew Daw, Simon Duncan, Howard Erskine-hill, Fred Gray, Christopher Hill, Denis L. Johnston, A. D. King, Michael Lane, Colin

Maccabe, Graham Martin, Ian mordant, Benjamin Nelson, Malcolm Pittock, Vivien Pixner, Vito Signorile, Philip Tait, Gay Weber, Stephen White, David Wise, Dave Wootton, Ivor Wymer , Stephen Yeo.

ريموند وليمز: كمبردج، مايو 1983

مقدمـــة

في عام 1945 بعد انتهاء الحرب مع ألمانيا واليابان سُرحت من الجيش وعدت إلى كمبردج. كان الفصل الدراسي في الجامعة قد بدأ وتكونت علاقات ومجموعات كثيرة. في كل الأحوال كان هناك شيء من الغرابة في الانتقال من «فوج مدفعية» على قناة «كيل» إلى كلية من كليات كمبردج. لم يكن قد انقضى على غيابي سوى أربع سنوات ونصف لكن بسبب التحركات خلال الحرب فقدت الاتصال بكل أصدقاء الجامعة . مرت عليّ فترة غريبة قبل أن التقي بشخص كنت قد عملت معه في السنة الأولي من الحرب عندما كانت تحولات العقد الرابع من القرن العشرين على الرغم من تأثرها بالضغوط في طور التشكيل. تحدثنا بشغف لكن لم يكن الحديث عن الماضي . كنا مثقلين إلى حد كبير بهذا العالم الجديد والغريب حولنا . عندها قلنا في آن واحد: «في الواقع، إنهم لا يتكلمون نفس اللغة».

إنها جملة شائعة وتستخدم في الغالب بين الأجيال المتعاقبة بل حتى بين الآباء والأطفال . استخدمتها أنا نفسي من قبل، بالتحديد قبل ست سنوات عندما حضرت إلى كمبردج من أسرة تنتمى إلى الطبقة العاملة في ويلز. القول بأننا لا نستخدم اللغة نفسها في المجالات المختلفة قول غير دقيق، فيمكن من خلال لغة مشتركة لبلد معين أن نتبين الفروق الاجتماعية والعمرية بين أفراده. فالكلمات هي هي نستخدمها في التعبير عن أنشطة وأشياء مختلفة مع تنوع واضح في النبرة واللكنة والوقع. بعض الكلمات المتقلبة، مثل lunch غذاء وsupper عشاء و dinner وجبة رئيسية، يمكن التركيز عليها لكن الفروق ليست على قدر كبير من الأهمية. عندما نصل إلى قول «إننا لا نتحدث نفس اللغة» فإننا نعني شيئاً أعم : لدينا قيم مباشرة مختلفة أو طرق مختلفة للتقويم أو أننا على وعي، في الغالب بطريقة غير ملموسة، بتشكيلات وتصنيفات مختلفة للنشاط والإهتمام . في مثل هذه الحالة تتحدث كل مجموعة لغتها المحلية لكن استعمالاتها تختلف كثيرا خاصة إذا كان للأمر علاقة بأفكار هامة أو أحاسيس جياشة. ليس لدينا في الحقيقة معيار لغوي يبيح لنا وصف مجموعة لغوية بأنها على «خطأ» أو «صواب»، لكن قد تحاول مجموعة ذات سلطة لغوية مؤقتة أن تهيمن وتفرض طريقها في استخدام اللغة بوصفها الطريقة الصحيحة «correct». ما يحدث فعلاً خلال هذه المواجهات الحاسمة التي قد تدرك فقط كغرابة واضطراب هو عملية أساسية في تطور اللغة عندما يتم في كلمات ونبرات ونغمات معينة إقتراح معاني أو اعتمادها، اختيارها أو توكيدها

والجزم بها أو تعديلها وتغييرها . من المؤكد أن هذه العملية تتطلب في بعض الحالات مرور زمن طويل، يمتد إلى قرون أحيانا، حتى تستقر ويكون بإمكاننا، عن طريق استقراء النتائج، إعطاؤها قدرها الذي تستحق. في حالات أخري قد تكون العملية سريعة، خاصة في بعض المجالات الرئيسية. في جامعة كبري ونشطة وفي فترة تغير مهمة مثلما هي الحرب فإن العملية قد تبدو سريعة وواعية بشكل غير معتاد .

لكن الفترة، كما قلنا معاً، في مجملها لم تتجاوز أربع أو خمس سنين. هل كان التغيير فعلاً بهذا القدر؟ بعد بحث عن أمثلة وجدنا تحولاً في بعض الاتجاهات العامة في السياسة والدين. لكني وجدت نفسي مشغولاً بكلمة واحدة culture ثقافة التي بدا أني كنت أسمعها أكثر بكثير من السابق: ليس فقط، كما هو واضح، بالمقارنة مع حديث فوج المدفعية أو كلام عائلتي، ولكن بالمقارنة المباشرة داخل الجامعة عبر هذه السنوات القليلة. سمعت الكلمة في الماضي بمعنيين: أحدهما على أطراف المدينة، في المقاهي teashops وأماكن مشابهة حيث بدت أنها الكلمة المفضلة لنوع من التفوق الاجتماعي ليس في الأفكار أو المعرفة، وليس فقط في المال أو الموقع ولكن في مجال غامض يتعلق بالسلوك؛ لكن أيضاً، بالمعنى الآخر، كانت «ثقافة» هي الكلمة المحورية في حديث الأصدقاء، يرددونها في معرض كلامهم عن كتابة الشعر والرواية وصناعة الأفلام والرسوم والعمل في المسرح. ما كنت أسمعه الآن هو معنيان مختلفان لم أتمكن فعلاً أن أستبينهما: أولاً، في دراسة الأدب، استعمال يوضح، بطريقة فعالة وإن تكن غير صريحة، نوعاً من تشكيل القيم (ولقد كان للكلمة literature أدب ذاتها نفس التوكيد)؛ ثانياً، في النقاش الأكثر عمومية وما بدا لي أن له تضمينات مختلفة هناك استعمال جعل من الكلمة معادلاً لـ society مجتمع: «أسلوب حياة» معين - « American culture ثقافة أمريكية»، «Japanese culture ثقافة يابانية».

يمكنني الآن شرح ما أعتقد أنه قد حدث. من الواضح أن اتجاهين هامين أخذا يتشكلان تشكلا فعليا في إنجلترا: ففي مجال الدراسات الأدبية تحققت سيادة حاسمة لفكرة في النقد ظلت - من آرنولد إلى ليفيز - تعتمد على «الثقافة culture» باعتبارها أحد مصطلحاتها المركزية؛ أما في النقاش حول المجتمع فقد حدث التوسع إلى الحديث العام لمعني أنثروبولوجي كان واضحاً كتعبير متخصص، لكن تم الآن تبنيه، تحت تأثير أمريكي متزايد وكذلك تحت تأثير مواز من قبل مفكرين مثل مانهايم. ضعف بوضوح المعنيان السابقان: المعني المتداول في المقاهى الذي، رغم استمرار وجوده، أصبح مقصيا أكثر وفي طريقه إلى أن يصبح هزلياً؛ ومعنى النشاط في الفنون الذي بدا، رغم احتفاظه بمكانه على مستوى الوطن، أكثر فأكثر عزلة عن طريق توكيد النقد وعن طريق الإشارة الأهم والمبددة إلى أسلوب حياة تام. لكني لم أكن أدرك شيئاً من هذا في حينه. كانت فقط كلمة صعبة، كلمة جعلتني أفكر فيها كمثال للتغيير الذي كنا نحاول، بطرق مختلفة، فهمه.

انقضت سنتي في كمبردج. ذهبت إلى العمل في تعليم الكبار. خلال سنتين نشر ت. إس.

إليوت Notes Towards the Definition of Culture (1948) - وهذا كتاب فهمته لكن لم أستطع تقبله - وعادت إليّ بقوة تلك الغرابة المحيرة التي عشتها في الأسابيع الأولى في كمبردج. بدأت أسبر الكلمة في فصول تعليم الكبار . الكلمات التي ربطتها بها، بسبب المشاكل التي أثارتها استعمالاتها في ذهني، كانت class طبقة و art فن، ثم industryجهد/ صناعة و democracy ديمقراطية . شعرت بأن هذه الكلمات الخمس تشكل معا بنية ما، كلما أمعنت في دراستها صارت العلاقات بينها أكثر تعقيداً. بدأت أكثف قراءاتي في محاولة لمعرفة أوضح في مغازيها. ثم في ذات يوم وكنت في الجزء تحت الأرضي من المكتبة العامة في سيفورد، حيث انتقلنا للسكن، بحثت عن كلمة culture بطريقة تكاد تكون عرضية في أحد المجلدات الثلاثة عشر لما نسميه الآن في العادة The Oxford New English Dictionary on Historical Principles: OED قاموس أكسفورد . كانت بمثابة صدمة معرفية. يبدو أن التحولات في المعنى التي كنت أحاول فهمها قد بدأت في اللغة الإنجليزية في أوائل القرن التاسع عشر. اتخذت الصلات التي لمستها في اللغة بين class طبقة و art فن، وبين industry جهد/ صناعة و democracy ديمقراطية ليس فقط شكلاً فكرياً ولكن أيضاً تاريخياً. ويمكنني أن أرى الآن تلك التحولات بطرق أكثر تداخلا وتعقيدا؛ فكلمة «ثقافة culture» نفسها لها الآن تاريخ - رغم اتصاله - مختلف. كانت هذه هي اللحظة التي اكتسب فيها بحث بدأ بمحاولة فهم عدة مشاكل معاصرة ملحة - مشاكل تتعلق فعلياً بفهم عالمي المباشر - شكلاً معيناً في محاولة فهم تراث . كان هذا هو العمل الذي اكتمل في 1956 وصار كتابا لي بعنوان *Culture and Society* الثقافة والمجتمع.

لم يكن من السهل عندئذ، وليس سهلا الآن، وصف هذا العمل وتصنيفه ضمن موضوع أكاديمي معين؛ صنف الكتاب تحت مسميات متنوّعة تنوع تاريخ ثقافي، وعلم دلالات تاريخي، وتاريخ أفكار، ونقد اجتماعي وتاريخ أدبي، وعلم اجتماع. قد يكون هذا في بعض الأحيان محرجا أو حتى صعبا لكن المواضيع الأكاديمية ليست تصنيفات أزلية، والحقيقة أني، أملاً في طرح أسئلة عامة معينة بطرق محددة، وجدت أن الصلات التي أنشأتها، وأن مجال الاهتمام الذي حاولت تحديده كان قد خبرها وشارك فيها كثير من الناس الذين توجهت إليهم تلك الدراسة. ثمة معلم رئيسي في هذا المجال من الاهتمام كان هو: المفردات التي لم تكن المفردات المتخصصة لفرع معرفة متخصص وإن تداخلت كثيرا مع عدد منها، وإنما هي مفردات عامة تمتد من كلمات صريحة، صعبة ومقنعة متوفرة في الاستعمال اليومي، إلى كلمات أصبحت بعد نشوئها في سياقات متخصصة شائعة لوصف مجالات أوسع من الفكر والتجربة. من المهم ملاحظة أن هذه المفردات هي التي نتقاسمها مع الآخرين، في الغالب بطريقة منقوصة، عندما نرغب في مناقشة كثير من القضايا المركزية في حياتنا العامة. خير مثال هو الكلمة الصعبة الأولى: culture ثقافة. للكلمة معاني متخصصة في حقول دراسة معينة وقد يبدو أن الأمر يستحق فرزها. لكن ماجذب انتباهي في البداية كانت أهمية استعمالها العام والمتقلب: ليس في فروع المعرفة المختلفة ولكن في النقاش

العام. إن مجرد كونها مهمة في مجالين يعتبران منفصلين - الفن والمجتمع - أثار أسئلة جديدة وأوحي بأنواع جديدة من العلاقة. في متابعة هذا الأمر وجدت أن هذا ينطبق على مجموعة من الكلمات الهامة - بداية من aesthetic (a) جمالي إلى work (w) شغل - فبدأت في تجميعها ومحاولة فهمها. ويمكن القول أن الأهمية هنا تكمن في الإختيار. أدرك كم تبدو للآخرين إعتباطية بعض الكلمات التي ضُمّت وتلك المبعدة . لكن من حوالي مائتي كلمة اخترتها، لأني شاهدت أو سمعت استعمالها في نقاش عام بطرق بدت لي لافتة أو صعبة، انتقيت خمسين، وكتبت عنها ملاحظات ومقالات قصيرة بقصد إلحاقها بكتابي Culture and Society الذي تناول في نصه الرئيسي عدداً محدداً من الكتاب والمفكرين. لكنى عندما أنجزت الكتاب أشار إلى ناشري بضرورة اختصاره: إحدى المواد التي يمكن حذفها كانت هذا «الملحق». لم يكن لي مجال للإختيار. وافقت على مضض. حررت ملاحظة فيها وعد بأن تكون هذه المادة بحثاً مستقلا. لكن ملف الملحق ظل على الرف. لمدة تفوق عشرين عاماً كنت أضيف إليه: أجمع أمثلة أكثر، اكتشف نقاط تحليل جديدة وأضم كلمات أخرى. بدأت أشعر أن هذه المادة قد تكون كتاباً مستقلاً. فحصت كامل الملف مرة أخرى وأعدت كتابة كل التعليقات والمقالات القصيرة واستثنيت بعض الكلمات وأضفت أخرى. المؤلَّف الحالي هو النتيجة.

ركزت على هذه العملية لتكوين كتاب Keywords الكلمات المفاتيح لأن ذلك كما يبدو لي يوضح هدفه وحجمه. ليس هو قاموس أو مسرد لموضوع أكاديمي معين. ولا هو بمجموعة هوامش لتعريفات أو تواريخ قاموسية لعدد من الكلمات. إنه بالأحرى سجل لبحث في المفردات: مجموعة كلمات ومعاني مشتركة تستعمل في نقاشاتنا العامة جداً في الإنجليزية عن الممارسات والمؤسسات التي نصنفها على أنها culture ثقافة و society مجتمع. كل كلمة مختارة فرضت نفسها على انتباهى تقريباً، في وقت من الأوقات خلال نقاش ما، إذ بدا لي أن مشاكل معانيها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشاكل التي استعملت لمناقشتها. غالباً ما نهضت من كتابة تعليق معين لأسمع الكلمة نفسها مرة أخرى بنفس الشعور بالأهمية والصعوبة: غالباً بالطبع في نقاش وجدل يتجهان إلى غاية مختلفة. بدأت أرى هذه التجربة كمشكلة مفردات وفقاً لمعنيين: معاني الكلمات المعروفة المتوفرة والمتطورة التي يجب تسجيلها؛ والعلاقات الواضحة، أو الضمنية في أحيان كثيرة، التي يقيمها الناس والتي يبدو لي مرة تلو الأخرى أنها صياغات خاصة للمعني - طرق ليست فقط للنقاش، وإنما على مستوى آخر لرؤية الكثير من تجاربنا الأساسية. ما توجب عليَ عمله عندئذ لم يكن مجرد تجميع أمثلة والبحث عن سجل استعمال معين أو مراجعته، لكن قدر استطاعتي تحليل بعض القضايا والمشاكل التي كانت تقبع هناك داخل المفردات، سواء ككلمات مستقلة أو في مجموعات معتادة. أطلقت على هذه اسم الكلمات المفاتيح Keywords بمعنيين مترابطين: هي كلمات هامة ملزمة في نشاطات معينة وشرحها؛ وهي كلمات دلالية هامة في صيغ معينة من الفكر. ثم استعمالات معينة ربطت معاً طرقاً معينة للنظر إلى الثقافة والمجتمع، ليس أقلها في هاتين الكلمتين

بالغتي العمومية. ثمة استعمالات أخرى بدا لي أنها تفتح قضايا ومشاكل، في نفس المجال العام، نحن في أشد الحاجة إلى أن نكون على وعي بها. إن التعليقات على قائمة كلمات، وتحليل تشكيلات معينة: هذان هما عنصرا المفردات الفعالة - طريقة تسجيل وتحري وعرض مشاكل المعني في المجال الذي تشكلت فيه معاني كلمتى ثقافة culture ومجتمع society.

بالطبع لا يمكن فهم كل القضايا فقط بتحليل الكلمات. على العكس، معظم القضايا الاجتماعية والفكرية، بما فيها كل من التطورات المتدرجة والخلافات والنزاعات الحاسمة، استمرت ضمن التحليل اللغوي أو أبعد منه. مع ذلك وجدت أن الكثير من هذه القضايا لا يمكن فعلياً التفكير فيها وحلها، بل إن بعضها فيما اعتقد لا يمكن تبلوره إلا إذا أدركنا أن الكلمات هي من صلب المشاكل. تجد وجهة النظر هذه قبولاً على شكل واسع. عندما أثرت أسئلتي الأولى عن الاستعمالات المختلفة لكلمة ثقافة culture أُعطيت الانطباع، بطرق لطيفة أو غير لطيفة، بأنها قد نشأت أساسا عن تعليم قاصر، ولما كان هذا صحيحاً (والحق أنه صحيح وينطبق على الجميع) فلقد ألقي ظلالاً على النقطة المثارة. إن الثقة الفائقة لأي استعمال معين لكلمة، ضمن مجموعة أو في فترة محددة، هي أمر يصعب الشك فيه. أتذكر خطاباً من القرن الثامن عشر:

> ما هو في رأيك معنى الكلمة sentimental عاطفي، التي هي موضة عند الطبقة الراقية...؟ شملت هذه الكلمة كل ما هو مقبول ورشيق ... أدهش كلما أسمع أن فلاناً رجل sentimental وجداني؛ كنا مجموعة sentimental وجدانية؛ كنت أقوم بنزهة sentimental رقيقة.

حسناً، إنتهت تلك الموضة. تغير معنى sentimental وتدهور. لم يعد السائل عن معنى هذه الكلمة يواجه بنظرة التحديق المألوفة المهذبة والباردة. يمكننا جميعا، عندما يكتمل السجل، أن نكون على بينة وفي ارتياح. أما بالنسبة للكلمات literature أدب وaesthetic جمالي و representative ممثل/مندوب و unconscious لاواع و liberal ليبرالي، وغيرها كثير، التي تبدو لي مثيرة للمشاكل ستبدو، في الدوائر المناسبة، واضحة تماماً واستعمالها الصحيح أمر مرتبط فقط بالتعليم. أو بالنسبة لـ class طبقة و democracy ديمقراطية و equality مساواة و evolution نشوء/تطور و materialism مادية: فهذه كلمات يجب أن نتجادل حولها لكننا نستطيع أن نربط استعمالات معينة بطوائف sects ثم نصف كل الفرق سوى فرقتنا بأنها طائفية sectarian. يمكن القول إن اللغة تعتمد على هذا النوع من الثقة، لكن نعرف أنه في أية لغة رئيسية، خاصة في فترات تغيير، يمكن وبسرعة أن تغدو هذه الثقة الضرورية هشة، وكذا الحرص على الوضوح إذا لم نواجه الأسئلة الملازمة.

لا تقتصر الأسئلة على المعني وحده؛ هي بالضرورة وفي معظم الحالات تدور حول المعاني. إن أول ما يفعله بعض الناس عند رؤية كلمة هو أن يقوموا بتعريفها. تصدر القواميس مدعية سلطة

مرجعية تتمثل في منحها ما يسمى «المعنى الدقيق» للكلمة، ولا يقلل من الثقة بها كونها محدودة بالزمان والمكان. مستخدما المراسلات في الصحف ونقاشات أخرى عامة، بدأت مرة تجميع تنويعات للعبارتين: «أرى من وبستري my Webster» أو «أجد من قاموس أكسفورد الخاص بي my Oxford». في العادة كان موضع النزاع عبارة صعبة في النقاش. لكن النبرة الفعلية لهاتين العبارتين، مع التأكيد اللافت المتعلق بالملكية (وبستري «my Webster») كان لاستحواذ معنى يلائم النقاش ويستثني تلك المعاني المزعجة التي كان شخص جاهل من الغباء بحيث يستعملها. طبيعي لو كنا نرغب معرفة معنى banxring أو boabab أو borilla، أو بنفس المقدار barbell أو basilica أو batik، أو بشكل أكثر وضوحا عن الكلمات barber أو barley أو barn فإن هذا النوع من التعريف مجزي. لكن هذه الطريقة بالنسبة لكلمات من نوع آخر، خاصة تلك التي ترتبط بأفكار وقيم، لن تكون فقط متعذرة وإنما ستكون أيضا غير ملائمة. تدرج القواميس التي يستعملها معظمنا، قواميس التعريف، وحسب قيمتها كقواميس، سلسلة range من المعاني كلها سائدة، وسيكون المهم هنا هو هذه السلسلة. ثم إذا ما مضينا إلى القواميس التاريخية، وإلى مقالات في علم الدلالات التاريخي والمعاصر، سنكون قد تجاوزنا تماما مدى «المعنى الصحيح». نجد تعقيداً وتاريخاً للمعاني؛ تغييرات واعية أو استعمالات مختلفة مقصودة؛ ابتكاراً، وإهمالاً، وتخصصاً، وتوسعاً، وتداخلاً، وتحولاً؛ أو تغييرات متنكرة وكأنها استمرار بحيث أن كلمات بدت وكأنها موجودة منذ قرون أصبحت تدل على معاني وتضمينات مختلفة جذرياً أو متفاوتة جذرياً وإن كان ذلك قد يصعب ملاحظته. من مثل تلك المصادر قد تقفز إلى انتباهنا كلمات مثل industry وfamily وnature؛ بعد سنين من الدراسة قد تظل موضع شك كلمات مثل class وrational وsubjective. في كل هذه الحالات، وفي مجال اهتمام معين نشأ بالطريقة التي وصفتها، استحوذت على فكري مشاكل المعنى وأدت إلى الإدراك العميق بصعوبة التعريف أيا كان نوعه.

الجهد الذي يضمه هذا الكتاب تم القيام به في مساحة تتجمع فيها عدة حقول معرفة لكنها بشكل عام لا تلتقي. اعتمد على مجالات عدة من المعرفة المتخصصة لكن هدفه هو جعل هذه، في الأمثلة المختارة، في متناول الجميع. ليس هذا مدعاة للإعتذار لكنه يتطلب شرحاً لبعض التعقيدات التي تنطوي عليها محاولة مثل هذه. يمكن تصنيف هذه تحت عنوانين عريضين : مشاكل معلومات ومشاكل نظرية.

مشاكل المعلومات حادة. مع ذلك فلكل من يبحث في بنية وتطور المعنى في اللغة الإنجليزية الميزة الفائقة لقاموس أكسفورد العظيم. إنه ليس فقط معلماً على التفوق البحثي لمحرريه Murray وBradley ومن تبعهما، لكنه أيضاً سجلّ لمجهود تعاوني استثنائي من العمل الأصلي للجمعية الفيلولوجية إلى مئات المراسلين اللاحقين. قليلة هي البحوث التي تجرى على كلمات معينة والتي تنتهي بمادة هذا القاموس العظيم، لكن بحوثا أقل يمكن أن تبدأ بثقة لو لم يكن موجوداً. أوافق وليام إمبسون Empson الذي عثر - في كتابه The Structure of Complex Words ـ على

أخطاء كثيرة في القاموس في قوله إن «عملاً على كلمات مفردة مثل ما استطعت القيام به قد اعتمد بشكل يكاد يكون تاماً على استعمال ذلك المؤلَّف المهيب كما هو». لكن ما وجدته في عملي عن قاموس اكسفورد OED، بعد تقديم الاعتراف بالفضل الضروري، يمكن تلخيصه في ثلاث نقاط. كنت على وعي تام بالفترة التي أُلِّف فيها القاموس: في الواقع من ثمانينات القرن التاسع عشر إلى عشرينات القرن العشرين (يقدم أول مثال من سلسلة الملاحق Supplements الحالية إضافة بدلاً من تعديل). لهذا عيبان: بالنسبة لبعض الكلمات المهمة لا يتوفر عملياً دليل لاستعمال القرن العشرين المتطور؛ وفي حالات كثيرة، خاصة بالنسبة لعبارات سياسية واجتماعية حساسة، تبرز افتراضات الرأي السائد (الأرثودوكسي) في تلك الفترة أو تكون قريبة من السطح. كل من يقرأ قاموس دكتور جونسون العظيم يشعر حالاً بعقله المحازب والمؤثر بالإضافة إلى معرفته الفذة. أنا على وعي في تعليقاتي ومقالاتي بأنه بالرغم من أني أقدّم مجموعة المعاني إلا أن مواقفي وخياراتي ليست خافية تماما. أعتقد أن هذا أمر لا مفر منه وكل ما أقوله هو أن الانطباع العام بالموضوعية (لا شخصية) الهائلة الذي يبثه قاموس أكسفورد ليس على تلك الدرجة من الموضوعية أو كونه بحثاً تام التجرد، أو أنه بريء من القيم السياسية والاجتماعية المؤثرة كما قد يفترض من إستعماله من حين لآخر. في الواقع عندما تبحث فيه عن كثب فإنك أحياناً تحصل على نظرة ثاقبة آسرة على مايمكن تسميته إيديولوجية محرريه وأعتقد أنه يتوجب تقبل ذلك وأخذه بعين الإعتبار دون ذلك النمط من المراوغة الذي تنشره فكرة شائعة عن البحث. ثانياً، بالرغم من إهتمامه العميق بالمعاني فإن القاموس هو في الأساس فيلولوجي وإتيمولوجي؛ أحد آثار ذلك أنه أفضل بالنسبة لمجموعة المعاني وتنويعاتها من العلاقة والتفاعل. ولقد وجدت في حالات كثيرة وأنا أعمل بشكل رئيسي على معان وسياقاتها أن الدليل التاريخي فائق القيمة لكنى توصلت منه إلى نتائج مختلفة بل وأحياناً مناقضة. ثالثاً، في حالات معينة نُبهت بطريقة حادة جداً بما حدث مؤخرا في دراسات اللغة من تغيير في المنظور: لأسباب واضحة (على الأقل من التدريب الأرثودوكسي الأساسي في اللغات الميتة) اعتبرت اللغة المكتوبة هي مصدر المرجعية الحقيقي وأن اللغة المحكية في الواقع مشتقة منها؛ بينما نعرف الآن بوضوح أن الوضع الصائب هو عكس ذلك. النتائج معقدة. في عدد من الكلمات الفكرية بشكل رئيسي تشكّل اللغة المكتوبة المرجع الأقرب إلى الحقيقة. لو أردنا تتبع كلمة psychology السجل كاف على الأرجح حتى أواخر القرن التاسع عشر. أما إذا شئنا تتبع كلمة job فإننا نلاحظ حالاً أن تطورات المعنى في كل مرحلة لا بد وأن حدثت في الكلام اليومي زمناً قبل إدراجها في السجل المكتوب. هذا قصور يجب أخذه في الاعتبار ليس فقط بالنسبة للقاموس ولكن في أي تدوين تاريخي. في الواقع بعض التقصير أو الانحياز في بعض المجالات لا مفر منه. يجب دوماً قراءة الإشارات الزمنية للأصل والتحوّل بهذا التحفّظ والشرط. يمكنني إعطاء مثال من تجربة شخصية. في مراجعتي الملحق Supplement الأخير أبحث عن الاستعمال

المعاصر العام للكلمة communications وجدت مثالاً وتاريخاً تصادف أن كانا من أحد مقالاتي. والآن لقد اتضح أن في الامكان ليس فقط العثور على أمثلة مكتوبة من تاريخ أسبق وإنما أن هذا المعنى كان مستعملاً في الحديث وفي النقاش - وفي اللغة الإنجليزية الأمريكية - قبل ذلك بكثير. لا أبين ذلك من أجل الانتقاد. بالعكس، هذه الحقيقة عن القاموس هي حقيقة عن كل عمل من هذا النوع ويجب تذكرها خاصة عند قراءة ما دونته هنا.

أضفت، بالنسبة لكلمات معينة، عدداً من أمثلتي الخاصة وذلك من قراءاتي العامة أو المحددة. لكن كل تدوين لا بد بالطبع وأن يكون قاصراً بصورة خطيرة، كما ولا بد أيضا أن يكون إنتقائياً. إن مشاكل المعلومات الكافية حادة بل قد تكون معطِّلة، لكن ليس في الإمكان دائماً الإشارة إليها بطريقة مناسبة أثناء التحليل. مع ذلك يجب تذكرها دوماً. هناك قصور معين كنت على وعي كبير به. معظم الكلمات الأهم التي عملت عليها طورت معاني رئيسية في لغات سوى الإنجليزية، أو مرت عبر تطور معقد ومتفاعل في عدد من اللغات الرئيسية. وحيث تمكنت جزئياً من القيام بذلك، كما هو الحال مع alienation أو culture، فالأهمية من الوضوح حتى لنفتقدها إذا ما تعذر مثل ذلك التقصي. إن القيام بدراسات مقارنة مماثلة بطريقة مرضية سيكون جهداً تعاونياً دولياً عظيماً، وصعوبة ذلك تقدم التبرير الكافي. واجه بحث في معاني كلمة democracy ديمقراطية رعته اليونسكو، وكان الهدف منه أن يكون شاملاً ومقارناً، صعوبات كثيرة من هذا النوع، على الرغم من أن التقرير المحدود الذي لجأ إليه نيس Naess وزملاؤه كان مفيداً للغاية. لدي تجربة كافية في محاولتي مناقشة تعبيرين ماركسيين رئيسيين base - قاعدة و superstructure بنية فوقية - ليس فقط بسبب علاقتهما بأصولهما الألمانية وإنما كذلك بحديثي مع أصدقاء من فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وروسيا والسويد حول صيغ هاتين الكلمتين في هذه اللغات الأخرى، إذ تبين لي كم هي النتائج صعبة وآسرة، كما تيقنت من أن مثل هذا التحليل المقارن حاسم في أهميته ليس فقط فيلولوجيا ولكن أيضا كقضية مركزية في الوضوح الفكري. إن الأمل عظيم في توفر سبل لتشجيع ودعم مثل هذه البحوث المقارنة، لكن في الوقت الراهن يجب ملاحظة أنه بينما حدثت بعض التطورات الرئيسية التي لها أهمية عالمية الآن في الإنجليزية أولاً، هناك تطورات كثيرة تمت في لغات أخرى، وبالتالي لا يمكن فهمها في نهاية المطاف إلا بالمقارنة المنتظمة بين هذه اللغات. على القراء ملاحظة هذا وتذكر هذا التقييد في تعليقاتي ومقالاتي. هذا التقييد يبرز بشكل خاص في التطورات المبكرة جدا في اللغات الكلاسيكية وفي لاتينية القرون الوسطي، حيث اعتمدت ببساطة بشكل يكاد يكون كاملا بانتظام على المراجع المتوفرة، بالرغم من بقاء كثير من الأسئلة مثارة في ذهني. هذا صحيح حقا على مستوى الأصول من كل ضرب ويجب اعتباره تحفظاً مهماً .

يثير هذا إحدى المشاكل النظرية. من المعتاد التحدث عن معنى «صحيح» أو «دقيق» لكلمة، وذلك بالرجوع إلى الأصل. أحد آثار هذا النوع من التعليم الكلاسيكي، خاصة بالتضافر مع نظرة محددة لوظيفة القواميس كمعرِّفة، هو إنتاج ما يمكن تسميته موقفاً خاشعا «sacral» تجاه الكلمات وما يقابله من شكاوى عن سوء فهم أوسوء استعمال فج في الوقت الحاضر. إن المعاني الأصلية للكلمات دائماً ما تحظى بالاهتمام، لكن ما هو في الغالب أكثر إثارة للانتباه هو التنويعات اللاحقة. التذمر الذي تنشره الصحف حول سوء استعمال الكلمات الفج يكون دائما حول تطورات حديثة جداً. سيبين أي اختيار عشوائي من التطورات الفعلية للمعنى أن ما يعتبر إنجليزية «فصيحة correct»، والذى غالبا مايتضمن الكثيرمن الكلمات التي تستعملها مثل هذه الشكاوى، إنما هو نتيجة لمثل هذا النوع من التغيير. الأمثلة من الكثرة بحيث لا يمكن إيرادها هنا، لكن القارئ مدعو ليتأمل عددا محدودا فقط: interest أو determine أو improve، وربما كانت الكلمات organic وevolution وindividual أمثلة أكثر وضوحا. في الغالب قدم لي اكتشاف أصل مفتاحاً للتحليل، لكن لا مجال، سواء على مستوى الممارسة أو التنظير، للتسليم بأن المعنى الأصلي هو الحاسم (وإلا فأين موقعنا من aesthetic؟) أو التسليم بمصدر مشترك على أنه الموجِّه (وإلا فأين سنكون بالنسبة لكلمات peasant وpagan، أو idiot وidiom، أو employ وimply ؟). تشمل حيوية أية لغة كل نوع من التوسع والتنويع والتحور، ينطبق هذا على التغيير في زمننا (مهما قد نأسي لأمثلة معينة) مثلما ينطبق على التغييرات في الماضي التي يمكن الآن إعطاؤها مظهراً sacral. (كلمة sacral نفسها هي خير مثال؛ فإن التوسع من معناها البدني الذي دل على «عجز/ شرج» إلى معناها المضمن الازدرائي الدال على موقف من the sacred المقدس ليس دعابة من عندي وإنما هو دعابة هادفة ومن ثم فهو إستعمال هادف.)

المشاكل النظرية الأخري أشد تعقيداً. هناك مشاكل أساسية ومعقدة جداً في أي تحليل لعمليات المعنى. يمكن بطريقة مفيدة فرز بعضها بصفتها مشاكل دلالة عامة: العلاقات الصعبة بين الكلمات والمفاهيم؛ أو العمليات العامة للمعنى والإشارة؛ بل وإلى أبعد من هذه، هناك القواعد العامة في المعايير الاجتماعية وفي نظام اللغة نفسها، التي تمكن من توليد المعنى والإشارة وتمكن كذلك، ولحد كبير من ضبطها. فحصت هذه المشاكل بانتظام وبطريقة مجدية في فلسفة اللغة وفى اللغويات النظرية ولا شك في أنها كمشاكل أساسية تؤثر كثيرا في تحليل معين.

لكن، ولأن كلمة «معنى meaning» بأي مفهوم فعال هي أكثر من عملية الدلالة «signification» العامة، ولأن «المعايير» و«القواعد» هي أكثر من خصائص أي نظام أو عملية مجردة فإن أنواعاً أخرى من التحليل تظل ضرورية. إن تركيز تحليلي هو بطريقة مدروسة اجتماعي وتاريخي. أما بالنسبة لأمور المرجعية والادراك التي تشكل تحليلياً الأساس لأي استعمال فإنه من الضروري الإصرار على أن مشاكل المعنى الأكثر تأثيراً دائماً تكمن داخل علاقات فعلية وأن كلاً

من المعاني والعلاقات بطريقة نمطية متنوع ومتقلب ضمن بنيات نظم اجتماعية معينة وعمليات التغيير الاجتماعي والتاريخي.

لا يعني هذا أن اللغة تعكس فقط عمليات المجتمع والتاريخ. على العكس، هدف جوهري لهذا الكتاب هو إثبات أن بعض العمليات التاريخية والاجتماعية تحدث «داخل» اللغة بطرق تبين إلى أي مدى تتكامل فعلاً مشاكل المعاني ومشاكل العلاقات. أنواع جديدة من العلاقة بالإضافة إلى طرق جديدة لرؤية علاقات قائمة تظهر في اللغة في أشكال مختلفة: في سك كلمات جديدة (capitalism)؛ في تبني وتحوير (في الواقع أحياناً قلب) تعابير قديمة (society أو individual)؛ في توسع (interest) أو نقل (exploitation). لكن كما يجب أن تذكرنا هذه الأمثلة فإن التغييرات ليست دائماً بسيطة أو نهائية. تتعايش معاني سابقة ولاحقة أو تصبح فعلاً بدائل تتم فيها منازعة ونقاش مسائل الاعتقاد أو الانتماء المعاصرة. من المؤكد ضرورة تحليل هذه المشاكل وأخرى لاحقة على أنها مشاكل دلالة عامة لكن تركيزي هنا يقع على مفردات المعاني في مجال جدل واهتمام تم اختياره بطريقة مدروسة.

كان منطلقي، كما ذكرت، ما يمكن تسميته بالعنقود، مجموعة معينة لما أصبح يبدو كلمات ومراجع مترابطة والتي منها تطور فيما بعد اختياري الأشمل. لذا فإن الهدف الجوهري للكتاب هو التوكيد على الترابطات التي يبدو لي أن بعضها منهجية بطرق جديدة على الرغم من مشاكل العرض التي سأناقشها. يمكن الجدل بالطبع حول ضرورة عدم فصل الكلمات المفردة حيث أنها تعتمد في معانيها على سياقها الفعلي. على مستوى معين يمكن التسليم بذلك بسهولة. في الواقع كثير من المعاني المتغيرة التي حلّلتها حددها السياق. لذا أوضح بشكل رئيسي المعاني المختلفة عن طريق أمثلة فعلية من استعمال مسجل.

لكن لا يمكن أبداً إلغاء مشكلة المعنى تماماً في السياق. صحيح إنه في النهاية لا تقوم أبداً كلمة بمفردها حيث أنها دائماً جزء من العملية الاجتماعية للغة وتعتمد استعمالاتها على الخصائص المنهجية المعقدة (لكن المتغيرة) للغة نفسها. مع ذلك يظل مفيداً اختيار كلمات معينة، من النوع الإشكالي، ومؤقتا دراسة بنياتها وتطوراتها الداخلية. هذا هو الوضع حتى عندما يهمل التقييد «مؤقتاً» من قبل صنف قارئ مقتنع بالإصرار على حقائق العلاقة والتفاعل التي منها نشأ البحث ككل. في أنواع اختزالية من التحليل فقط يمكن دراسة عمليات العلاقة والتفاعل كما لو كانت علاقات بين وحدات بسيطة. في الواقع نشأ كثير من هذه العمليات ضمن المعنى المعقد والمتغير لكلمات معينة والطريقة الوحيدة لإيضاح ذلك، كأمثلة على كيف تتطور شبكات من الاستعمال والإسناد والمتطور، هي في التركيز «مؤقتاً» على ما يمكن عندئذ ملاحظته على وجه الدقة كبنيات داخلية. هذا ليس للإعاقة ولكن ليصبح في الإمكان مفهوم مفردات متوسعة ومعقدة تكون ضمنها كل من الكلمات المتغيرة وعلاقاتها المتغيرة والمتنوعة في الواقع فعالة.

إذاً دراسة كل من المعاني المعينة والمترابطة عند كتاب ومتحدثين مختلفين وفي الزمن التاريخي وعبره هي اختيار مدروس. القيود واضحة ومسلم بها. التركيز بنفس المقدار واضح وواع. أحد أنواع علم المعاني دراسة المعنى كما هو؛ نوع آخر هو دراسة نظم الدلالة الرسمية. نوع علم المعاني الذي تنتمي إليه هذه التعليقات والمقالات هو أحد الاتجاهات ضمن علم المعاني التاريخي: اتجاه يمكن بطريقة دقيقة تحديده عندما نضيف بأن التركيز ليس فقط على الأصول والتطورات التاريخية ولكن أيضاً على الحاضر - المعاني والعلاقات والتضمينات في الزمن الحاضر - كتاريخ . يعترف هذا، كما يتوجب على أية دراسة لغة، بأن هناك جماعة/اتحاد community بين الماضي والحاضر لكن كذلك بأن community ـ تلك الكلمة الصعبة ـ ليست هي المسمى الوحيد الممكن لتلك العلاقات بين الماضي والحاضر؛ وبأن هناك أيضاً نزاع وانقطاع وتغيير جذري وأن كل هذه ما زالت مجال خلاف وأنها فعلاً مستمرة الحدوث. المفردات التي اخترتها هي تلك التي يبدو لي تشمل الكلمات الأساسية التي يستخدم فيها في هذا المجال كل من الاستمرار والانقطاع وكذلك نزاعات شديدة في القيم والاعتقاد . كذلك يجب بالطبع وصف عمليات مثل هذه بطريقة مباشرة في تحليل نظم المفاهيم وقيم المجتمع المختلفة. ما تسعى هذه التعليقات والمقالات إلى الإسهام به هو نوع إضافي من المقاربة وذلك عن طريق المفردات ذاتها.

ذلك لأني أعتقد أنه ممكن الإسهام بأنواع معينة من الإدراك وأنواع معينة أكثر محدودية من الإيضاح عن طريق تناول كلمات معينة في المستوى الذي تستخدم فيه عادة وهذا كان، لأسباب على الأرجح توضحها أو لها صلة بأعمالي الأخرى، هدفي الأسمى. لدي مادة أكثر من كافية عن كلمات معينة (مثلاً class وculture) وعن تشكيلات معينة (مثلاً art و aesthetic وsubjective وpsychological وunconscious) لكتابة - كبديل - دراسات متخصصة موسعة بعضها في حجم كتاب. قد أفعل ذلك في النهاية، لكن اختيار شكل عام ومدى أوسع كان مقصوداً. لا أؤيد نظرة التفاؤل - أو النظريات التي تدعمها - بالنسبة لذلك النوع من علم المعاني من فترة ما بين الحربين وما بعدها، والذي افترض فيه أن إيضاح الكلمات الصعبة سيسهم في حل الخلافات التي تنشأ بسببها لكنها كثيرا ما تتسبب في الفوضى والإرباك . أعتقد أن فهم تعقيدات معاني كلمة class لا يسهم الا بالقليل جدا في حل الخلافات الفعلية للطبقة والنضال الطبقي. ليس الأمر فقط أن لا أحد بوسعه «تصفية لهجة القبيلة»، وأن لا أحد ممن يرى أنه حقا عضو في مجتمع، يعرف أكثر من أن المحاولة بهذه الصيغة عديمة الجدوى. كذلك فالتنوعات والاضطراب في المعنى ليست فقط أخطاء في النظام أو غلطات في الاسترجاع feedback، أو قصوراً في التعليم. إنما هي حسب رأيي ذات تكوين تاريخي ومعاصر في الكثير من الحالات. والحق أنه كثيرا ما كان يصر عليها كتنويعات، لا لسبب إلا لأنها تجسد خبرات مختلفة وقراءات، وسيستمر ذلك قائماً في العلاقات الفعلية وفي النزاعات، رغم محاولات الإيضاح من قبل الباحثين واللجان. إن ما يمكن فعلاً

الإسهام به ليس فض النزاع، وإنما ربما، في بعض الأحيان، فقط تلك «الحافة» من الوعي. في تاريخ اجتماعي تشكلت فيه كثير من المعاني الحاسمة من قبل الطبقة المهيمنة ومن قبل مهن معينة تعمل إلى حد كبير حسب شروطها، فإن معنى «حافة» دقيق. هذه ليست مراجعة محايدة للمعاني. إنها فحص لمفردات مجال هام من النقاش الثقافي والاجتماعي، نقاش ورث داخل ظروف اجتماعية وتاريخية دقيقة وأصبح من الضرورى جعله في نفس الوقت واعياً وحاسماً - عرضة للتغيير كما هو عرضة للاستمرار - إذا كان للملايين من الناس الذين تنبض فيهم أن يعتبروها فعالة: هي ليست تراثاً يلقن، ولا هي إجماعاً يسلم به، ولا مجموعة من المعاني لها سلطة طبيعية لأنها «لغتنا»؛ وإنما كتشكيل وإعادة تشكيل في ظروف واقعية، ومن وجهات نظر بالغة الأهمية وعميقة الاختلاف: مفردات للاستعمال، نغيرها عندما نجد ضرورة لتغييرها بينما نشق طريقنا ونحن نستمر في صنع لغتنا وتاريخنا.

في الكتابة عن حقل المعاني غالباً ما تمنيت أن تبتكر صيغة للتقديم توضح كيف ترتبط تحليلات كلمات معينة، جوهريا، بطرق أحياناً ما تكون معقدة. يبدو أن التدوين الأبجدي الذي استقريت عليه يحجب هذا في أحوال كثيرة، وإن كان استعمال الإحالات المتقاطعة cross-references لابد أن يذكر بالعلاقات الضرورية الكثيرة. تكمن الصعوبة في أن أي ترتيب آخر، حسب المجال أو الموضوع، سيقيم مجموعة علاقات بينما يطمس أخرى. لو وضعت مثلاً representative في مجموعة من كلمات سياسية ربما تتمركز حول democracy، فقد نغفل عن نقطة مهمة في التداخل بين حكومة نيابية representative government وفن تمثيلي representative art. أو لو وضعت كلمة realism في مجموعة كلمات أدبية مركزها literature أو art فقد نلاحظ بسهولة تداخلاً من نوع آخر، له إيحاءات فلسفية عند وصف مواقف في الأعمال والسياسة. من السهل جداً كتابة وتصنيف مفردات متخصصة لمواضيع أكاديمية معروفة ومستقلة ولمجالات اهتمام واضحة ولكل هذه بالطبع فوائدها. يمكن لقوائم الكلمات أن تكون أشمل ويمكن تجنب مشاكل التداخل عن طريق الاقتصار المدروس على معاني التخصص. لكن، ولما كان بحثي كله داخل مجال المعاني العامة وعلاقات المعاني، فإنني لم أتمكن من الكمال ولا من التقييد الواعي لمجالات متخصصة مقصودة. في تناولي نقاشاً عاماً للثقافة والمجتمع فقدت دعائم التصنيف التقليدي حسب الموضوع ومن ثم اضطررت للاحتفاظ بالتصنيف التلقيدي الأبسط: الترتيب الأبجدي. ومع ذلك، وبما أن الكتاب لا يكتمل إلا بقراءته فإني آمل أن يسهل الترتيب الأبجدي الاستعمال المباشر، ثم يوحي للقارئ بأنواع أخرى من العلاقة والمقارنة وقد يشجع على المواصلة عن طريق اختيار وترتيب مختلف تماماً.

في هذا، كما في نواحى أخرى، فإننى على وعي فائق بكمّ القراءة والتفكير الذي يتطلب لإنجازه. ومعظمه في الواقع لا يتم إلا من خلال النقاش، الذي هو من بين أغراض هذا الكتاب. ولقد توجب علي كثيرا أن أتوقف عندما يلزم نوع آخر من التحليل - نقاش نظري موسع أو بحث

تاريخي واجتماعي مفصل. السير في هذه الاتجاهات الأخرى كان يعني حصر عدد الكلمات المدروسة ونطاقها ولقد كان لهذا المجال المقام الأول في هذا الكتاب على الأقل. لكن يمكن أيضاً القول بأن هذا كتاب يرحب فيه المؤلف، بكل تأكيد، بالتعديل والتصحيح والإضافة علاوة على الرسائل والتعليقات المعتادة. إن طبيعة المشروع ككل هي من هذا النوع. هنا مجال هام من المفردات. إن مايمكن عمله في القواميس محدود بالضرورة بشموليتها التامة وبالمقياس الزمني الطويل للمراجعة التي يفرضها ذلك بالإضافة إلى عوامل أخرى.

البحث الحالي أكثر محدودية - فهو ليس قاموساً ولكن مفردات - ممايجعله أكثر مرونة. كان ناشر الكتاب من اللطف بحيث ترك صفحات بيضاء، ليس فقط لتسجيل ملاحظات وإنما كإشارة إلى أن البحث لم يكتمل بعد وأن المؤلف يرحب بكل التعديلات والتصحيحات والإضافات. في استعمال لغتنا المشتركة، في مجال بهذه الأهمية، هذه هي الروح التي يمكن فيها لهذا العمل أن ينجز بدقة.

يتوجب علي شكر أشخاص أكثر مما أستطيع أن أذكرهم أسهموا في هذه التحليلات عبر السنين في أنواع كثيرة من النقاش الرسمي وغير الرسمي. يجب كذلك بصفة خاصة أن أشكر محرري Mr. R.B Woodings الذي لم يكن فقط مساعداً فائقاً بالنسبة للكتاب وإنما كزميل سابق زارني في اللحظة التي كنت أقرر فيها ما إذا كان الملف سيصبح كتاباً وكان تشجيعه عندئذ حاسما. ساعدتني زوجتي عن قرب في كل مراحل الكتاب. عليّ أيضا أن أسجل مساعدة Mr. W.G. Heyman العملية الذي أخبرني كطالب عندي في فصل تعليم كبار بعد مناقشة إحدى الكلمات أنه قد بدأ وهو شاب في شراء الأجزاء الورقية لقاموس اكسفورد العظيم، ثم فاجأني فيما بعد بحضوره الفصل ومعه ثلاثة صناديق كرتونية مليئة بها، وألح علي أن أقبلها. أكن شعوراً خاصاً لذكراه، وعبرها للأجزاء الورقية هذه نفسها - وهي تختلف تماماً عن المجلدات والورق المصقول في نسخ المكتبات؛ الورق الخشن غير المقصوص المصفر والمفتت، العناوين الباقية في الذاكرة التي استعملتها عبر السنين: من Deject إلى Deprevation، منHeel إلى Hod، من R إلى Reactive وهكذا. هذا كتاب صغير أقدمه مقابل هذا المقدار من الاهتمام واللطف.

ريموند وليمز

كمبردج، 1975، 1983

جمالي (الجمالية) AESTHETIC

ظهر التعبير أول ما ظهر في اللغة الإنجليزية في بداية القرن التاسع عشر ولم ينتشر قبل منتصفه، وعلى الرغم من صيغته اليونانية فإنه مستعار من الألمانية بعد تطور خلافي ونقدي في تلك اللغة. في البداية استخدم في صيغته اللاتينية كعنوان لمؤلف من جزأين: الجماليات (1750-1758) Aesthetica لمؤلفه الكسندر باومجارتن Alexander Baumgarten (1714 - 1762). عرّف باومجارتن الجمال «beauty» بالكمال المدرك بالحواس، وتكمن أهمية ذلك، بالنسبة للفن، وضع هذا التعريف كثيراً من التركيز على الإدراك من خلال الحواس، وهو ما يفسر كلمة باومجارتن الجديدة في جوهرها والمشتقة في الأساس من «aisthesis» اليونانية التي تعني الإدراك الحسي. في اليونانية كانت الإشارة الأساسية إلى أشياء مادية، أي أشياء يتم إدراكها عن طريق الحواس تمييزا لها عن أشياء غير مادية أو تلك التي لا تدرك إلا من خلال إعمال الفكر. كان استعمال باومجارتن الجديد جزءاً من التركيز على النشاط الذاتي للحواس وعلى الإبداع الإنساني المتخصص للفن الذي أصبح سائدا في هذه الحقول، والذي ورث هذه الكلمة - العنوان، على الرغم من أن الكتاب لم يترجم وكان محدود التوزيع. لدى كانت Kant أيضاً كان الجمال يعتبر في الأساس وبشكل حصري ظاهرة حسّية لكنه اعترض على استعمال باومجارتن وعرّف علم الجمال «aesthetics» بالمعنى اليوناني الأصلي والأشمل لعلم «حالات الإدراك الحسّي». ولقد وجد كلا الاستعمالين في أمثلة إنجليزية متفرقة (أوائل القرن 19)، لكن عند منتصف القرن التاسع عشر تصبح الإشارة إلى «الجمال» «the beautiful» مسيطرة، وهناك ارتباط قوي منتظم بالفن. في 1879 استعمل لويز Lewes تهجية اشتقاقية مختلفة «aesthesics» في تعريفه لـ «العلم المجرّد للشعور». لكن «anaesthesia»، وهي قصور في الإحساس البدني، كانت تستخدم من أوائل ق 18 ومن منتصف ق 19، ومع تقدم الطب استعملت «anaesthetic» ـ صيغة النفي للصفة المتزايدة في شعبيتها - بشكل واسع بالمعنى الأساسي الشامل لتدل على الحرمان من الشعور أو العامل المسبّب لهذا الحرمان. قاد هذا الاستعمال المباشر لصيغة النفي في النهاية إلى صيغ نفي أخرى مثل «unaesthetic» و«nonaesthetic»، اللتان لهما صلة بالاستعمال السائد الذي يدلّ على الجمال أو الفن.

تمنّى كولردج «Coleridge» في 1821 أن يستطيع العثور على كلمة مألوفة أكثر من «aesthetics» لأعمال «الذوق» «TASTE» و«النقد» CRITICISM (أنظر المصطلح: 31)، وحتى 1842 كان يشار إلى «aesthetics» على أنها «عبارة سخيفة متحذلقة». في 1859،

ورغم فهم السير وليام هاملتون لها «كفلسفة الذوق» و«نظرية الفنون الجميلة»، و«علم الأشياء الجميلة»، الخ، ورغم اعترافه بتقبلها العام «ليس فقط في ألمانيا ولكن أيضاً في كل بقية دول أوربا»، فإنه ظل يعتقد أن «apolaustic» كانت أكثر ملاءمة. لكن الكلمة ترسّخت وأصبحت على نحو متزايد شائعة مع التباس مستمر (هذا الالتباس كان ضمن النظرية نفسها التي أدت إلى سنّ هذه الكلمة) بين الإحالة إلى الفن والإشارة الأعم إلى الأشياء الجميلة. بحلول 1880 أصبح الإسم «محب الجمال» «aesthete» منتشر الاستعمال وفي أغلب الحالات بشكل ازدرائي. نمت مهاجمة مبادئ وممارسات «الحركة الجمالية» التي تكونت حول ولتر باتر Walter Pater والاستهزاء بها (أفضل مثال لا يزال في الذاكرة هو عمل جلبرت Gilbert: Patience (1880). يتزامن هذا مع رد فعل مشابه حول استعمال ماثيو آرنولد وآخرين لكلمة «ثقافة» «culture». لم تستعد «aesthete» إيجابيتها بعد هذا الاستعمال، والاسم الحيادي المتعلق بالجمالية كدراسة نظامية هو الكلمة الأقدم (م ق 19) aesthetician. بعيداً عن استعمالاتها المتخصصة في نقاش الأدب والفن فإن الصفة «aesthetic» تشير الآن في استعمالها العام إلى مسائل المظهر والتأثير النظري.

واضح من هذا السرد التاريخي أن كلمة «aesthetic» بدلالاتها المتخصصة للفن ART (ا م)، للمظهر النظري، وإلى صنف ما هو «جميل» و«بديع»، هي تشكيل رئيسي في مجموعة من المعاني، وهي في نفس الوقت تؤكد وتعزل نشاط الحس الذاتي SUBJECTIVE (ا م) كأساس للفن والجمال في تمييز له عن، مثلاً، التفسيرات الاجتماعية والثقافية. إنها تشكل عنصرا في التفكير الحديث المنقسم في نظرته إلى الفن والمجتمع. إنها دلالة بعيدة عن الاستعمال الاجتماعي والتقييم الاجتماعي، يقصد بها، مثل معنى خاص للثقافة، التعبير عن بعد إنساني يبدو أن التفسير الطاغي لـ«مجتمع» يقصيها. يمكن فهم التوكيد لكن العزل قد يكون مضرّاً، فهناك الآن نظرة تهميشية وإقصائية بشكل عارم في العبارة الشاملة والمقيدة: «اعتبارات جمالية»، خاصة عند مقارنتها باعتبارات عملية practical أو نفعية UTILITARIAN (ا م) التي هي عناصر من نفس التقسيم الأساسي.

استلاب ALIENATION

هذه الآن واحدة من أصعب الكلمات في اللغة. بمعزل تام عن استعمالها الشائع في سياقات عامة، فإنها تحمل معاني محدّدة مختلف عليها في نطاق من المعرفة يمتد من

النظرية الاجتماعية والاقتصادية إلى الفلسفة وعلم النفس. إضافة إلى ذلك، منذ منتصف القرن العشرين، انتقلت من مجالات مختلفة في هذه المعارف إلى استعمالات عامة جديدة تكون فيها الكلمة عادة مشوشة بسبب التداخل والالتباس لكل من المعاني المحّددة المختلفة والمعاني القديمة الأعم.

على الرغم من أن لها مظهر المصطلح المعاصر فإنها كلمة موجودة في اللغة الإنجليزية منذ قرون بمدى واسع من المعاني لا يزال سارياً. سابقتها المباشرة هي aliénacion، فرنسية قروسطية، من alienationem، لاتينية، من (س ب) :alienare يجعل غريبا أو يجعل غيريا؛ هذه لها صلة بـ alienus، لاتينية: تخص أو تنتمي إلى شخص أو مكان آخر، من (س ب) : alius آخر، غير. استخدمت في الإنجليزية من ق 14 لوصف فعل الإقصاء أو حالة الإبعاد، (1): في المعتاد بخصوص القطيعة مع الإله أو كون المرء محروما من الإله، أو انهيار العلاقات بين رجل أو مجموعة وسلطة سياسية ما معترف بها. من ثم استعمالها من ق 15 لوصف عملية نقل ملكية أي شيء من طرف إلى آخر، (2): خاصة نقل حقوق أو ممتلكات أو أموال. في البداية كانت هناك معاني ثانوية إضافية لمعنى (2) حيث يكون النقل بحيلة من المستفيد (اختلاس) أو حيث يعتبر النقل تحولا عن المالك الأصلي أو الغرض الملائم. طغت في النهاية هذه المعاني السلبية لـ (2) واستمر المعنى القانوني لنقل طوعي ومقصود، لكن أصبح النقل غير الملائم، غير الطوعي أو حتى القسري، هو المفهوم الطاغي. ثم زاد التوسع ليشمل، إضافة إلى ذلك، نتائج مثل هذا النقل، حالة كون شيء تم استلابه (3). بالقياس، استعملت الكلمة، كما حدث في اللاتينية، بشكل أوسع (من ق 15) لتعني فقدان، تراجع أو تعطيل المقدرات الذهنية وبالتالي الجنون(4).

بشكل أو آخر تم الرجوع إلى كل هذه الدلالات السابقة في نطاق المعاني المحدّدة المعاصرة وفي معظم الاستعمالات الناجمة عن ذلك. بحلول أوائل ق 20 استعملت الكلمة استعمالاً شائعاً بطريقة رئيسية في سياقين محدّدين: نقل ممتلكات رسمية alienation، وفي العبارة: «استلاب العاطفة» «alienation of affection» (من م ق 19) بمعنى التدخل المقصود والمدبر في العلاقة العائلية المعتادة، خاصة تلك التي بين الزوج والزوجة. لكن أصبحت الكلمة فعلاً مهمة، بل أصبحت في بعض الأحيان مفهوماً أساسياً، في نظم ذهنية قوية ومتطوّرة.

هناك عدة صيغ معاصرة لمعنى (1). هناك المعنى الديني المتبقي الذي عادة ما يدل

على حالة بدلاً من فعل العزل أو الإقصاء عن معرفة الله أو عن رحمته أو عبادته. في بعض الأحيان يتداخل هذا مع استعمال أعمّ له أصل أكيد عند روسّو، حيث يعتبر المرء معزولاً أو مقصيا عن طبيعته الأساسية. هناك عدة صيغ لذلك بين الوضعين الأقصيين المحدّدين للإنسان وهو مبعد عن طبيعته «الأصلية» (غالباً تاريخياً بدائية) والإنسان وهو مبعد عن طبيعته «الجوهرية» (متأصلة ودائمة). تختلف الأسباب المقدمة اختلافاً كبيراً. هناك شعور ملح بفقدان الطبيعة الإنسانية الأصلية من خلال تطوّر حضارة CIVILIZATION (ا م) «مصطنعة»؛ يكون عندئذ التغلّب على الاستلاب إمّا عن طريق بدائية فعلية أوغرس شعور وممارسة إنسانية ضمن إكراهات الحضارة. في حالة الاغتراب عن الطبيعة الجوهرية الصيغتان الأكثر شيوعاً هما المعنى الديني للاغتراب عن الإلهي في الإنسان، والمعنى السائد لدى فرويد والسيكولوجيا الواقعة تحت تأثيره، حيث الإنسان يغترب (أيضاً عن طريق الحضارة أو أطوار وممارسات الحضارة) عن طاقته الرئيسية وهي إما شهوة جنسية كامنة أو ظاهرة. هنا التغلّب على الاستلاب يكون إما عن طريق استعادة شعور بالمقدّس أو، كما في تقليد بديل، استعادة كاملة أو جزئية للشهوة أو النشاط الجنسي، وهذه إمكانية تعتبر صعبة أو متعذّرة (الاستلاب بهذا المعنى هو جزء من الثمن المدفوع في سبيل الحضارة) أو تعتبر من منظور آخر جذرية ومنظّمة (نهاية أشكال معينة من الكبْت - الرأسمالية CAPITALISM، العائلة البرجوازية BOURGEOIS FAMILY (ا م م) - التي تخلق هذا الاستلاب الجوهري).

هناك تعديل مهم لمعنى (1) عن طريق إضافة صيغ من معنى (2) عند هيجل أو، كبديل له، ماركس. ما يتم استلابه هنا هو طبيعة جوهرية، «روح ذاتية الاستلاب»، لكن تعتبر عملية الاستلاب تاريخية. في الحقيقة يصنع الإنسان طبيعته، وفي ذلك تعارض مع مفاهيم الطبيعة البشرية الأصلية. إنه يصنع طبيعته عن طريق موضعة (لدى هيجل هذه عملية روحية، لدى ماركس هي عملية مجهود) وتتم إزالة هذا الاستلاب الذي كان محتوماً في السابق عن طريق تجاوزه بالتسامي. النقاش صعب وتزيده صعوبة العلاقة بين الكلمات الأساسية الإنجليزية والألمانية. تقابل الكلمة الألمانية entäussern بشكل رئيسي معنى (2) الإنجليزي: يتخلى عن، يحوّل، يفقد لصالح آخر، ولها كذلك المعنى الإضافي الذي له أهمية قصوى في هذا السياق: «جعل شيء ما خارجاً عن الذات». الكلمة الألمانية entfremden أقرب إلى المعنى الإنجليزي (1) خاصة بمعنى فعل أو حالة استلاب بين أشخاص (أنظر شاخت Schacht بخصوص تاريخ Entfremdung). كلمة ثالثة استخدمها

ماركس vergegenstandlichung تمت ترجمتها كاستلاب لكنها الآن تفهم بشكل شائع كـ «تشيؤ reification» ـ بشكل عام، تحويل العملية الإنسانية إلى شيء «موضوعي»). على الرغم من أنه تم شرح الصعوبات بوضوح في بعض الترجمات إلا أن الجدل النقدي الإنجليزي شوّشه الالتباس بين المعاني وفقدان التمايز بين معنى (1) ومعنى (2): وهذا أمر حيوي في تطور المفهوم عندما تكون العلاقة التفاعلية بين المعنيين (1) و(2) حاسمة، كما هو الحال بشكل خاص عند ماركس. لدى هيجل تعتبر العملية كتطوّر روحي تاريخي عالمي في علاقة جدلية بين فاعل ومفعول حيث يتم التغلب على الاستلاب عن طريق اتحاد أعلى. في نقد تالٍ للدين وصف فويرباخ Feuerbach الإله كاستلاب - بمعنى إسقاط أو تحويل - للمقدرات الإنسانية العليا؛ تكرر ذلك في النقاش الإنساني الحديث وفي الدفاع الثيولوجي. لدى ماركس تعتبر العملية تاريخاً للعمل حيث يخلق الإنسان نفسه عن طريق خلق عالمه، لكن في المجتمع الطبقي يستلب الإنسان من هذه الطبيعة الأساسية عن طريق أشكال استلاب محدّدة تتمثّل في تقسيم العمل والملكية الخاصة وأسلوب الإنتاج الرأسمالي حيث يفقد العامل كلاً من نتيجة جهده وشعوره بقدرته الإنتاجية، وذلك نتيجة لمصادرة كليهما من قبل رأس المال. يجابه الإنسان العالم الذي صنعه كغريب وعدو، ولدى هذا العالم سلطة عليه لكنه هو الذي في الأساس حوّل قدرته إليه. لذلك صلة بالمعنى التجاري والقانوني المفصّل للاستلاب (2) أو Entäuserung رغم وصفه بطرق جديدة عن طريق تمركزه في عملية الإنتاج الحديثة. هكذا يتم إنتاج استلاب (1) بالمعنى الأعم كحالة اغتراب عن طريق العمليات المتراكمة والمفصّلة تاريخياً لاستلاب (2). تعتبر معاني ثانوية لاستلاب (1) مقابلة لـ - Entfremdung اغتراب أشخاص في إنتاج وعمل تنافسي، ظاهرة الاغتراب العام في مصنع أو مدينة صناعية / رأسمالية - كنتائج لهذه العملية الشاملة.

أدت كل هذه المعاني المحدّدة، التي كانت بالطبع موضوع جدل وخلاف مطوّلين من داخل وخارج كل نظام، إلى استعمال معاصر متزايد، وإلى تلك الاتهامات المعتادة «بعدم دقة» أو «سوء فهم»، بينما هي في الحقيقة استعمالات بديلة للكلمة. على الأرجح الاستعمال المعاصر الأكثر انتشاراً هو المشتق من أحد أشكال السيكولوجيا: فقدان الاتصال بحاجات وشعور الذات العميقة. لكن هناك توافقا عاما لذلك مع الرأي القائل إننا نعيش في مجتمع «استلابي» مع إشارات محدّدة إلى طبيعة العمل الحديث والتربية الحديثة ونوع الجماعات الحديث. وهناك تصنيف حديث (Seeman، 1959) يعرّف (أ) العجز powerlessness: عدم القدرة أو الشعور بعدم القدرة للتأثير في المجتمع الذي نعيش فيه؛

(ب) فقدان المعنى meaninglessness: الشعور بفقدان موجّه هادٍ للسلوك والإيمان؛ (ج) فقدان النموذج normlessness: شعور بأن الوسائل غير المشروعة ضرورية للتوصل للأهداف المرجوة؛ (د) انعزال isolation: ابتعاد عن المعايير والأهداف السائدة؛ (هـ) اغتراب ذاتي self-estrangement: العجز عن العثور على نشاطات مرضية بشكل فعلي. هذا التصنيف المجرد، الذي يُختزل بطريقة دالّة إلى حالات سيكولوجية دون إشارة إلى عمليات اجتماعية محدّدة، مفيد في توضيح المدى الواسع جداً الذي يتضمنه الاستعمال الشائع للمصطلح. يتداخل مصطلح دوركهايم anomie الذي تم تبنيه كذلك في الإنجليزية مع استلاب alienation خاصة فيما يتعلق بمعنيي (ب) و(ج): غياب - أو الفشل في الحصول على - نماذج مناسبة كافية ومقنعة للعلاقات الاجتماعية وتحقيق الذات.

واضح من مدى وكثافة استعمال «استلاب» في الحاضر أن هناك بهذه الطرق المتفاوتة تجربة مهمة وشاملة تستطيع هذه الكلمة ومفاهيمها المحدّدة المختلفة وصفها وتفسيرها. كان هناك تبرم من صعوباتها ونزعة لرفضها بحجة أنها ليست إلا مسايرة للنمط السائد. لكن يبدو من الأفضل مجابهة صعوبات الكلمة ومن خلالها الصعوبات التي يبينها ويسجلّها تاريخها الاستثنائي وتنوع استعمالها. في إبرازها للشعور العميق بانقسام بين الإنسان والمجتمع هي عنصر حاسم في بنية عامة جداً للمعاني.

الفوضوية ANARCHISM

دخلت الكلمة anarchy الإنجليزية في م ق 16 من (س م) anarchie (فرنسية)، (س ب) anarchia (يونانية قديمة) - دولة دون قائد. لم تبتعد استعمالاتها الأولى كثيراً عن الاستعمالات الأولى المعادية لـ«ديمقراطية» DEMOCRACY (ا م): «هذه الحرية أو الرخصة المخالفة للقانون التي يتصف بها العامة تسمى «Anarchie» (1539). لكنها برزت بشكل رئيسي كوصف لأي نوع من الاضطراب والشواش chaos (يونانية تعني هوة أو فراغ). مع ذلك بقيت « anarchism الفوضوية»، من م ق 17 و« anarchist فوضوي» من أواخر ق 17 أكثر قربا إلى المعني السياسي: «فوضوية»، هي مبدأ ومواقف أو فن الذين يلقنون الفوضى؛ كذلك هي كون الشعب دون أمير أو حاكم (1656). ويكون الفوضويون، وهم موصوفون بهذه الطريقة، قريبون جداً من ديمقراطيين democrats وجمهوريين republicans في معنييهما القديمين؛ كذلك كان هناك ربط بين فوضويين وملحدين aetheists (Cudworth، 1678). من اللافت أنه حتى وقت متأخر - 1862 ـ كتب

سبنسر: «ينكر ... الفوضوي حق أي حكومة في المساس بحريته الشخصية»؛ هذه الآن في الغالب، عبارات ليبرالية جديدة معيّنة أو، والحق يقال، محافظة متطرفة.

لكن بدأت المصطلحات في التزحزح في سياق الثورة الفرنسية الخاص عندما هاجم الجيروندیون أعداءهم المتطرفين على أنهم فوضويون، بالمعنى العام القديم. كان هذا سبباً في تماهي «فوضوية» مع سلسلة اتجاهات سياسية متطرفة، ويبدو أنه تم تبني عبارة الشتم بشكل لا يقبل الجدل من قبل برودون Proudhon في 1840. من هذه الفترة تبدأ «فوضوية» في تكوين اتجاه رئيسي داخل الحركات الاشتراكية والعمال، غالباً في خلاف مع الصيغ المركزية للماركسية MARXISM والأشكال الأخرى للاشتراكية SOCIALISM (ا م م). بناء على اقتناع، تبنت مجموعات من سبعينات ق 19، عرّفت نفسها في الماضي كتبادلية تعاونية mutualists، فيدراليين federalists، معارضي التسلط، «فوضويين» كهوية لها، وتطورت هذه الحركة العريضة إلى منظمات ثورية أصبحت مناوئة لـ «اشتراكية الدولة» ولـ «دكتاتورية البروليتاريا». أسست حركة نقابة الفوضويين syndicalist ـ anarcho المهمة تنظيماً اجتماعياً على مبدأ تجمعات ذاتية الإدارة معتمدة على اتحادات العمال، وسعت إلى أن تحل هذه محل كل أشكال تنظيم الدولة.

مع ذلك، تبنى اتجاه أقلية في «الفوضوية»، بشكل رئيسي بين 1817 و1914، وسائل عنف واغتيال فردية ضد الحكام السياسيين. لم يفقد معنى متبقٍ من anarchist فوضوي صلته «بإرهابي» «terrorist» (وجدت في اللغة هي وإرهاب terrorism من ق 18) رغم أنه منفصل تماماً عن حركة الفوضوية الرئيسية.

ما زالت «الفوضوية» المتعمدة والمنتحلة حركة سياسية مهمة لكن من اللافت أنه تم تبني أفكار ومقترحات فوضوية كثيرة في مراحل لاحقة من الفكر الماركسي والفكر الاشتراكي الثوري الآخر، بالرغم من العناية بإبقاء بعد كاف في العادة عن الكلمة بكل إيحاءاتها القديمة.

أنثروبولوجيا - علم الإناسة ANTHROPOLOGY

دخلت أنثروبولوجيا الإنجليزية في أوائل ق 16. يظهر أول استعمال موثّق لها عند R. Harvey. في 1593 وله نبرة حديثة: «شجر أنسابهم ونسلهم، فنونهم التي درسوها، الأعمال التي قاموا بها. هذا الجزء من التاريخ يسمى أنثروبولوجيا. لكن يطغى معنى مختلف في الثلاثة قرون التالية. استخدم ارسطو Anthropologos (يونانية) ـ خطاب ودراسة

الإنسان - ومعها الصيغة الاسمية المتضمنة anthropologia، ثم في 1594 ـ 1595 أحيا الكلمة كاسمان Casmann: Psychologica Anthropologica، Animae Humanae Anthropologia: II, hoc est de fabrica و Doctrina Anthropologica: II sive Humani Corporis. المصطلحان الحديثان لجزأي مؤلَّف Casmann هما سيكولوجيا PSYCHOLOGY (ا م) وفيسيولوجيا، لكن الغرض كان الربط بينهما بمفهوم كان لا يزال ساريا في تعريف ق 18 المعتمد: «تشمل الأنثروبولوجيا اعتبارات كل من الجسد والروح وقوانين اعتمادهما ونتائج ذلك الاتحاد مثل الإحساس، الحركة الخ..) ما نجم عن ذلك كان تخصص الدراسات البدنية إما (1) فيما يتعلق بالحواس - «تحليل حواسنا في أكثر كتب الأنثروبولوجيا انتشاراً» (كوليردج، 1810) وإما (2) في تطبيق ذلك على مسائل التنوع الجسدي للبشر (قارن «عرقي» RACIAL) والنشوء والارتقاء EVOLUTION (ا م) البشرى. هكذا حتى أواخر ق 19 كان المعنى السائد هو فرع من العلوم نميّزه الآن كـ «أنثروبولوجيا طبيعية».

إن ظهور (أو، ربما متذكّرين Harvey، إعادة ظهور) معنى أكثر شمولاً، ما نميّزه الآن كأنثروبولوجيا «اجتماعية» و«ثقافية»، هو تطوّر في ق 19 مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطوّر أفكار كل من حضارة CIVILIZATION (ا م) وثقافة «Culture» (ا م)، خاصة الأخيرة. عموما يعتبر مؤلف تايلور Tylor: الثقافة البدائية *Primitive Culture* النص المؤسس للعلم الجديد في العالم الناطق بالانجليزية. من ناحية يعود ذلك إلى تمييز هيردر Herder في أوائل ق 18 لثقافات متعددة - سبل حياة متباينة يجب دراستها ككل بدلاً من دراستها على أنها مراحل للتطور DEVELOPMENT (ا م) في الطريق إلى حضارة أوربية. من ناحية أخرى يرجع إلى مفاهيم مستمّدة من: «مراحل» التطور نفسها (الشائعة لدى مفكرى عصر التنوير في ق 18)، وبشكل ملحوظ ترجع كذلك إلى كتابي «كلم»: التاريخ الثقافي العام للبشرية G.F Klemm: Allegmeine Kulturgeschichte der Menschheit (1843-1852)، وعلم الثقافة العام Allgemeine Kulturwissenschaft (1854-1855). ميّز «كلم» ثلاثة مراحل للتطور البشرى: الوحشية، التدجين، والحرية. في 1871، حدّد بطريقة عميقة الأثر الأمريكي لويس مورجان، وهو رائد في الدراسات اللغوية للقرابة، ثلاثة مراحل في كتابه المجتمع القديم *Ancient Society*، وعنوانه الفرعي «بحوث في مسار التطور البشري من الوحشية عبر البربرية إلى الحضارة». من خلال إنجلز كان لهذا أثر عظيم في بداية الماركسية، لكن تكمن أهمية هذا التوجّه لمفهوم الأنثروبولوجيا في تركيزه على الثقافات

البدائية (أو «الوحشية») سواء كان ذلك أم لم يكن من وجهة نظر «التطوّر». في فترة الاستعمار والإمبريالية الأوربية وفي المرحلة المقاربة في علاقات الأمريكيين بالقبائل الهندية المندحرة كانت هناك وفرة من المواد لكل من الدراسات العلمية واهتمامات أخرى أكثر عمومية. (بعض هذه الاهتمامات نظّمت فيما بعد كأنثروبولوجيا «علمية» أو «تطبيقية»، واضعة المعرفة العلمية في خدمة السياسات الإدارية والحكومية.) لكن التأثر الأهم كان التخصّص النسبي للأنثروبولوجيا في الثقافات «البدائية»، رغم أن هذا المجهود قدَّم، عندما تم انجازه، نماذج دراسات لـ "طرق حياة كاملة ومتميّزة»، مما كان له أثر في دراسة «البنيات البشرية» structures، ومن ثم عمّمت هذه في أحد الاتجاهات كـ «بنيوية» structuralism (ا م) في المجالين المتقاربين: اللغويات والأنثروبولوجيا؛ وعممت في اتجاه آخر كـ "وظيفية» functionalism التي تكون فيها المؤسسات الاجتماعية استجابات ثقافية (متفاوتة) لحاجات إنسانية أساسية؛ وساهم هذا التخصص لأنثروبولوجيا كذلك في تجميعها أدلّة مقارنة شاملة، شجعت بشكل عام فكرة ثقافات وسبل تطور بشري بديلة في تمييز حاد لها عن فكرة المراحل المنتظمة في عملية أحادية المسار تجاه «الحضارة».

هكذا كان لا يزال هناك في منتصف ق 20 «الأنثروبولوجيا الطبيعية» المعمّرة، أنثروبولوجيا الشعوب «البدائية» المتشعبة؛ وفي مساحة ليست محددة تتعدى ذلك هناك معنى انثروبولوجيا كأسلوب دراسة ومصدر أدلّة لمجال أفسح يضم طرق الحياة البشرية الحديثة. بالطبع بحلول هذه الفترة توطدت «السوسيولوجيا»، علم الاجتماع SOCIOLOGY (ا م) في أشكال مختلفة كفرع من فروع الدراسة تدرس فيه المجتمعات الحديثة (وفي بعض المدارس، «الثقافات» الحديثة)، وكنتيجة لذلك كان هناك تداخل معقّد لها بما سمي الآن (بشكل رئيسي لتمييزها عن الأنثروبولوجيا الطبيعية) أنثروبولوجيا «اجتماعية» و«ثقافية» (أصبحت «اجتماعية» أكثر شيوعاً في بريطانيا، «ثقافية» في أمريكا)، رغم أن أنثروبولوجيا ثقافية في العادة تدل في أمريكا على دراسة المنتجات الحرفية المادية artifacts.

يبين في بعض الأحيان تاريخ الكلمات المعقد القضايا الثقافية الرئيسية المرتبطة بهذا التكتّل من المصطلحات وفروع المعرفة لكنه ربما يخفيها في أحيان أكثر. من اللافت أن تجميعاً جديداً لهذه الاهتمامات والمعارف المتقاربة والمتشابكة يعرف بشكل متزايد منذ أواسط ق 20 كـ «علوم إنسانية» (خصوصاً في فرنسا) الذي يعيد فعلياً، في لغة حديثة وفي صيغة الجمع، البدء مرة أخرى لما كان المعنى الحرفي ثم المتخصّص بطرق متعددة لأنثروبولوجيا.

انظر: CIVILIZATION حضارة، CULTURE ثقافة، DEVELOPMENT تنمية، EVOLUTION نشوء/تطور، PSYCHOLOGY سيكولوجيا، SOCIOLOGY علم اجتماع، STRUCTURAL بنائي

فن ART

لا يزال المعنى الأصلي العام لفن art الذي يشير إلى أي نوع من المهارات موجوداً في الإنجليزية. لكنه أصبح معنى شائعاً أكثر تخصّصاً، وفي حالة «الفنون» «the arts» وبشكل أدق «فنان» «artist» أصبح المعنى الأكثر تخصصاً سائداً.

استعملت «art» في الإنجليزية منذ ق 13، (س م) art، فرنسية قديمة، (س ب) artem، لاتينية - مهارة. استعملت دون تخصص طاغ حتى أوائل ق 17 في مواضيع متعددة مثل الرياضيات والطب وصيد الأسماك. في منهج الدراسة الجامعي في القرون الوسطى كانت الفنون arts («السبعة فنون» وفيما بعد الفنون الليبرالية LIBERAL (ا م)) هي القواعد، المنطق، البلاغة، الحساب، الهندسة، الموسيقى والفلك، واستعملت «فنان» «artist»، من ق 16، أولاً في هذا السياق، لكن مع تطورات، معاصرة تقريباً، لوصف أي شخص ماهر (وهي بذلك مطابقة فعلاً لحرفي «artisan» حتى أوائل ق 16) أو ممارس، في تصنيف آخر، لأحد الفنون التي تترأسها الآلهة السبعة: تاريخ، شعر، كوميديا، تراجيديا، موسيقى، رقص وفلك. ثم من أوائل ق 17 كان هناك بشكل متزايد استعمال شائع متخصّص لمجموعة مهارات لم تتمثل رسميا حتى ذلك الوقت: رسم painting، رسم بالرصاص drawing، نقش engraving، ونحت sculpture. لم يتوطّد تماماً المعنى السائد الآن لفن «art» وفنان artist الذي يشير إلى هذه المهارات حتى أواخر ق 19، لكن، ومن ضمن هذا التصنيف أنه في أواخر ق 18 وبإلماع خاص لاستثناء النقّاشين من الأكاديمية الملكية الجديدة، تعزّز الآن تمييز عام بين «فنان» artist و«حرفي» artisan ـ الأخيرة مخصصة للعامل اليدوي الماهر دون أغراض «ثقافية» أو «خيالية» أو «إبداعية». سمح هذا التطور لتعريف حرفي artisan وتعريف منتصف ق 19 لعالم scientist بتخصيص «فنان» artist، وليس التمييز الآن بين الفنون الليبرالية وإنما بين «الفنون الجميلة» fine arts.

من الصعب تحديد ظهور « Art فن» المجردة والبادئة بالحرف الكبير، بقوانينها الداخلية لكن العامة. هناك استعمالات عديدة مقبولة من ق 18، لكن لم يصبح المفهوم شائعاً إلا في ق 19. بهذا المعنى، ترتبط تاريخياً بتطور «ثقافة» CULTURE و«جمالية»

AESTHETICS (ا م م) . في 1815 كتب وردزورث للرسام هايدون Haydon: «أيها الصديق : سامية هي مهنتنا، الفن الإبداعي Creative Art». يؤرخ فعليا من نهاية ق18 وبداية ق19 للربط المعتاد الآن بين فن وابداعي creative وتخيلي imaginative كشأن تصنيفي. ويؤرخ للصفة فني artistic من منتصف ق 19. ويعود تاريخ «مزاج فني» «artistic temperament» «وحساسية فنية» «artistic sensibility» إلى نفس الفترة. وينطبق نفس القول على artiste التي هي تخصيص فيه تمييز إضافي لوصف المؤدّين performers مثل الممثلين أو المغنيين، وبهذه الطريقة يحتفظ بفنان artist للرسام والمثال وفي النهاية (من منتصف ق 19) للكاتب ومؤلف الموسيقى.

من المثير للاهتمام ملاحظة كلمات في فترات مختلفة تتميّز في العادة عن فن art أو تتعارض معها. قبل وسط ق 17 عنت artless دون تكلف - «غير ماهر» unskilled أو «خال من المهارة» «devoid of skill» وتبقي هذا المعنى. لكن كان هناك تعارضا مبكرا معتادا بين «فن» art و«طبيعة» nature: أي بين ناتج مهارة الإنسان وناتج ميزة متأصلة. ثم اكتسبت «artless من منتصف ق 17، وخصوصاً من أواخر ق 18، معنى إيجابيا يوضح التلقائية حتى في الفن. بينما ما زالت art تعني مهارة ومثابرة وINDUSTRY (ا م) تعني مهارة مضنية، فإن الكلمتين كانتا وثيقتا الارتباط، لكن عندما أصبحت كل منهما مجردة ومتخصّصة، فإنهما كانتا في الغالب، من أوائل ق 19، متعارضتين كمجالين منفصلين للخيال والمنفعة. حتى ق 18 كانت معظم العلوم فنوناً؛ فعلياً يؤرخ من منتصف ق 19 للتمييز الحديث بين علم science و«فن art» كمجالين متعارضين للمهارة والجهد البشريين بمناهج وأهداف مختلفة جذرياً، رغم أن نفس الكلمتين تعارضتا أحياناً في مرحلة أسبق بمعنى «نظرية» theory و«ممارسة» practice (انظر THEORY و SCIENCE).

بوضوح، ترتبط هذه المجموعة من التمييزات التاريخية المعقدة بين أنواع مختلفة من المهارات البشرية وبين أغراض أساسية متنوعة في استعمال هذه المهارات بكل من التغيرات في التقسيم الفعلي للعمل ولتغيرات أساسية في تعريفات عملية لأهداف ممارسة المهارة. يمكن ارتباطها بشكل رئيسي بالتغيرات المتأصلة في إنتاج السلع الرأسمالي بما في ذلك من تخصيص وتحويل قيم الاستعمال إلى قيم تبادل. بالمقابل، نجم هناك تخصص دفاعي لمهارات وأغراض معينة لـ «الفنون» the arts أو الإنسانيات humanities حيث يمكن، على الأقل لصيغ الاستعمال والهدف العام التي لا يحدّدها التبادل المباشر، أن تتجرد ذهنياً. هذا الأساس الرسمي للتمييز بين «فن» art وصناعة industry وبين الفنون

الجميلة والفنون النفعية «useful arts» (في النهاية، اكتسبت هذه الأخيرة مصطلحاً جديداً متخصصاً : TECHNOLOGY) (ا م).

يتميز «الفنان» artist إذن، ضمن وجهة النظر الأساسية هذه، ليس فقط عن «العالم» scientist و«التكنولوجي» technologist ـ وكل منهما في أوقات سابقة كان ينطبق عليه وصف «فنان» - ولكن أيضاً عن حرفي وصانع يدوي craftsman وعامل ماهر «skilled worker» الذين هم الآن عمال operatives حسب تعريف وتنظيم العمل WORK (ا م) المحدد. بينما يتم التوكيد على هذه الفروقات العملية ضمن طريقة الإنتاج المفترضة، تكتسب «فن» art و«فنان» artist تداعيات أكثر عمومية (وأكثر غموضاً)، عارضة التعبير عن اهتمام إنساني (أي غير نفعي) عام، في الوقت الذي، للمفارقة، تعامل فيه معظم أعمال الفن «works of art» كسلع ويعامل معظم الفنانين artists فعلياً كفئة من الحرفيين أو العمال المهرة تنتج نوعاً معيناً من السلع الهامشية، حتى عندما يدعون عن حق أهدافاً مختلفة تماما.

انظر : AESTHETIC **جمالي**، CREATIVE **خلّاق**، CULTURE **ثقافة**، GENIUS **عبقري**، INDUSTRY **صناعة**، SCIENCE **علم**، TECHNOLOGY **تكنولوجيا**

سلوك BEHAVIOUR

لا تزال behave كلمة لافتة جداً وتشكل بعض الصعوبات. كانت هناك behabban (ا ق) وتعني يحتوى to contain، من (س م) be ـ حول، habban ـ يمسك hold. لكن يبدو أن الكلمة الحديثة دخلت اللغة الإنجليزية للمرة الأولى في ق 15 كنوع من التقييد للفعل have (قارن sich behaben في الألمانية)، وخاصة في المعنى الانعكاسي لـ «أن يمسك المرء (يتحمل) نفسه» «to have (bear) oneself». في أمثلة من ق 16 استعمل الفعل الماضي behad. المعنى الرئيسي الذي برز هو سلوك أو تصرف عام: ربما يكون التحديد الحديث الأقرب لذلك هو deportment أو المعنى الخاص (من ق 16) لتقاليد manners (قارن mannerly من ق 14). في الفعل لا يزال هذا هو المعنى السائد ولا تزال «behave (yourself)» تعني في العامية «أن تتصرف تصرفاً حسناً»، بيد أن «behave badly» تعني أن تتصرف بشكل سيئ. في مسار تطور الكلمة من معناها الأصلي المحدد نسبياً والمبجّل كسلوك عام (الذي لاحظه جونسون Johnson مع تركيز على ما هو خارجي) إلى مصطلح يلخّص، في معنى أخلاقي عام، سلسلة كاملة من النشاطات. اكتسبت behave

غموضاً معيناً وأصبح هذا مهما بشكل خاص في تطوّر سلوك behaviour المصاحب لذلك. لا يزال استعمال الاسم للإشارة إلى السلوك العام أو، بمعنى أخلاقي، إلى سلسلة عامة من النشاطات شائعاً بقدر كاف؛ المثال الكلاسيكي هو: When we are sick in fortune، often the surfeits of our own behaviour «إذا ما اعتل الدهر بنا، غالبا لإفراط منا في سلوكنا» (الملك لير الفصل1، المشهد2). لكن التطوّر الحاسم هو الاستعمال الحيادي للتعبير دونما أية تضمينات أخلاقية لوصف الطرق التي يقوم بها شخص أو شيء بفعل أو (رد فعل) في حالة محددة. بدأ هذا في الوصف العلمي في ق 13 لكنه لم ينتشر قبل ق 19. يبدو أن التحول الحاسم حدث في أوصاف الأشياء المادية التي حملت مفهوماً واضحاً لفكرة الملاحظة observation التي ترتبط على الأرجح بالمعنى الرئيسي السابق الذي يدل على سلوك عام تحت المراقبة observable. بالتالي: «لنشاهد ... سلوك الماء الذي يجف من ساحل منبسط من الوحل» (هكسلي Huxley، 1878). استعمل التعبير بالنسبة النباتات والكائنات الحية الدنيا والحيوانات، وبحلول ق 19 كانت شائعة الاستعمال بمعناها الحالي: «النشاط الواضح خارجياً للكائن الحي ككل». (قارن سلوك الحيوانات animal behaviour» ومرادفتها المتخصّصة ethology علم سلوك الحيوانات؛ كانت الأثولوجيا قد عرّفت في السابق كـ«قيام الحيوانات بالتقليد mimicry»، ق 17؛ علم الأخلاق ethics، ق 18؛ علم الشخصية character (مل Mill، 1843). واضح هنا التسلسل من تعاريف أخلاقية إلى حيادية كما هو كذلك بالنسبة لسلوك behaviour، ويمكن بالطبع ملاحظته أيضاً في شخصية character.)

نجم معنى معيّن من التوسّع في منهج العلوم البيولوجية والطبيعية واستعمل في مدرسة ذات نفوذ في علم النفس وصفت نفسها (واتسون Watson، 1913) بـ«السلوكية» behaviourist و(بعد فترة وجيزة) المدرسة السلوكية behaviourism. اعتبر علم النفس «فرعاً من العلوم الطبيعية : موضوعياً وتجريبياً» (واتسون)، واستثنيت المعطيات ذات الصبغة «الذهنية أو التجريبية» على أنها غير علمية. النقطة الأساسية في هذا التعريف كانت مفهوم «قابل للملاحظة» التي كانت محصورة في البداية على «قابل للقياس بطريقة فيزيائية موضوعياً»، لكن عدلتها تطورات لاحقة كانت لا تزال تسمي سلوكية أو سلوكية حديثة neo-behaviorist (سجل استعمال neo، يونانية - جديد new لتوضيح صيغة جديدة أو مراجعة لمبدأ منذ ق 13 لكن أصبحت شائعة جداً من أواخر ق 19) إلى «ممكن قياسه بطريقة تجريبية»، وفي ذلك اعتراف بأنواع مختلفة من المعطيات «الذهنية» و«التجريبية»

(قارن SUBJECTIVE ذاتية) تحت شروط ملاحظة حاكمة». ربما كان أكثر أهمية من النقاش المنهجي داخل علم النفس التوسّع، من هذه المدرسة ومن عدة اتجاهات اجتماعية وثقافية تمت لها، في معنى سلوك في دلالته الجديدة الشاملة لكل نشاط (ملحوظ)، وعلى الخصوص النشاط الإنساني، باعتباره «تفاعلا» interaction بين «متعضي» (organism) وبيئته environment، وكان عادة ما يحدّد كحافز stimulus واستجابة response. في عدد من المجالات لم يكن لهذا أثر في حصر دراسة النشاط البشري فقط، وإنما كذلك طبيعته في تفاعلات تحدّدها DETERMINED (ا م) البيئة، ومفاهيم أخرى مثل «النية» أو «الغرض» إما رفضت أو عوملت في أحسن الأحوال كثانوية، والتركيز الطاغي دائماً هو على النتيجة (الملحوظة): السلوك. في العلوم الإنسانية وفي حقول اجتماعية تطبيقية (بعيدة عن الحيادية) كثيرة مثل الاتصالات COMMUNICATIONS (ا م) والإعلان advertising (التي تطورت من معناها العام كإشعار notification، من ق 15، إلى نظام تأثير منظم في سلوك المستهلك CONSUMER (ا م)، خصوصاً من أواخر ق 19)، تطور معنيا «الحافز» و«الاستجابة» اللذين يتسمان نسبياً بالحيادية الفيزيائية إلى نظام اختزالي من السلوك المحكوم كملخّص لكل النشاط الإنساني المهمcontrolled) . حاكمة، مضبوطة، هي كلمة لافتة بسبب التداخلات بين شروط تجربة قابلة للملاحظة - تطورت من مفهوم ونظام مراجعة في المحاسبة التجارية، من ق 15 - وظروف ممارسة كبح أو سلطة على آخرين، أيضاً من ق 15. يبقي المعنيان منفصلان لكن كان هناك تنقل فعلي بينهما.) النتيجة الأهم هي وصف ممارسات وأنظمة إنسانية معينة فيها «قصد» وغرض وكأنها حوافز «طبيعية» أو «موضوعية» ممكن تصنيف الاستجابات عليها على أنها « normal سويّة»، «شاذة» abnormal أو «منحرفة» deviant. هكذا يمكن إضعاف معنى استجابة «ذاتية» أو «مستقلة» independent (إما بشكل عام أو كونها خارج شروط نظام مفترض) بما لذلك من نتائج هامة في السياسة وعلم الاجتماع (قارن «مجموعات منحرفة»، «سلوك سياسي منحرف»)، في علم النفس (قارن RATIONALIZATION تسويغ) وفي فهم الذكاء أو اللغة (سلوك لغوي) حيث يجري هناك الآن جدال هام بين مفهوم أوسع للتفسيرات السلوكية وتفسيرات مبنية على تعابير مثل توليدية generative وإبداعية CREATIVE (ا م).

بمعزل عن هذه المحاولات المحورية والمحدّدة فإنه يبقى مهماً أن تعبيراً للسلوك العام أمكن تطوره إلى تعبير هو الأكثر استعمالاً والأكثر حيادياً في الظاهر لكل أنواع النشاطات.

برجوازي BOURGEOIS

كلمة Bourgeois صعبة جداً في الإنجليزية: أولاً رغم أنها شائعة الاستعمال فهي لا زالت كلمة فرنسية بشكل واضح، «أنجلزتها» السابقة كانت إلى burgess، من burgeis (فرنسية قديمة ومن burgeis إنجليزية وسطى)، burges، (borges) ـ ساكن قصبة، وظلت ثابتة بمعناها الأصلي المحدود؛ ثانيا، لأنها ترتبط بشكل خاص بالطرح الماركسي الذي قد يجذب عداءاً ونبذاً (ومن المناسب هنا أنه في هذا السياق لا يمكن ترجمة bourgeois ترجمة دقيقة إلى الصفة الإنجليزية المألوفة: وسطيّ الطبقة «middle-class»)؛ ثالثاً، لأنها توسّعت، خاصة في الإنجليزية في السنوات العشرين الأخيرة، جزئياً من هذا المعنى الماركسي لكن بشكل رئيسي من المعاني الفرنسية الأسبق، إلى تعبير عام وغالباً مبهم للازدراء الاجتماعي. لفهم هذا المدى من المعاني من الضروري تتبّع تطور الكلمة في الفرنسية وملاحظة صعوبة خاصة في ترجمة الكلمة الألمانية bürgeslich إلى كل من الفرنسية والإنجليزية.

في ظل النظام الإقطاعي في فرنسا كان bourgeois تصنيفاً قضائياً في المجتمع يتحدّد بشروط مثل مدة الإقامة. كان التعريف الأساسي هو لمواطن ثقة، طريقة حياته في آن مستقرة وغير مدين. تصدر المعاني المبكرة المناوئة من رتبة اجتماعية أعلى: ازدراء أرستقراطي لتوسط mediocrity البرجوازي توسع، خاصة في ق 18، إلى ازدراء فلسفي وثقافي للحياة والأفكار المحدودة وإن كانت مستقرّة لهذه الطبقة «الوسطى» (كان هناك استعمال إنجليزي موازٍ في ق 17 وق 18 «لمواطن» citizen واختصارها «cit»). كان هناك ربط مستمر للبرجوازي بالتجارة، لكن للنجاح كبرجوازي وللعيش حياة برجوازية bourgeoisement كان الأفضل بشكل نموذجي التقاعد والعيش على الدخل المستثمر. كان المنزل البرجوازي هو المنزل الذي لا تدار فيه تجارة أو مهنة (استثني فيما بعد المحامون والأطباء).

كان للنمو المستمر في الحجم والأهمية لهذه الطبقة البرجوازية في قرون التوسع التجاري نتائج عظيمة في الفكر السياسي، والتي بدورها كان لها تأثير مهم ومعقد على الكلمة. تم التعبير عن مفهوم جديد للمجتمع SOCIETY (ا م) وترجم ذلك في الإنجليزية، خاصة في ق 17، كمجتمع «مدني» «civil»، لكن مرادفات هذه الصفة كانت، وفي بعض النواحي لا تزال، هي الفرنسية bourgeois والألمانية bürgerlich. في استعمالات إنجليزية لاحقة تمت ترجمة هاتين كبرجوازي بمعني ق 19 الأكثر تحديداً مما أدى في الغالب إلى تشويش.

قبل المعنى الماركسي المحدّد، أصبحت برجوازي تعبير ازدراء إلا أنها كانت أيضاً تعبير احترام ممن هم دون ذلك. العامل النازح أو الجندي اعتبر البرجوازي الراسخ نقيضه؛ العامل العادي اعتبر البرجوازي الرأسمالي موظّفا. هكذا توطد تماماً البعد الاجتماعي للاستعمال اللاحق بحلول أواخر ق 18، بالرغم من أن الازدراء الأرستقراطي والفلسفي المختلفين جوهرياً كان لا يزال مفهوماً فعّالاً.

كان تعريف المجتمع البرجوازي مفهوماً مركزياً لدي ماركس، لكن كان التعبير خاصة في بعض أعماله المبكرة غامضاً؛ حيث أنه بالنسبة لهيجل كان «مجتمع مدني» تعبيراً هاماً يجب تمييزه عن الدولة STATE (ا م)، بينما استعمل ماركس - وفي النهاية زاوج - المعاني الأولى واللاحقة. يتبع مفهوم ماركس الجديد للمجتمع البرجوازي الاستعمال التاريخي الأسبق، من مواطنين مستقرين وغير مدينين إلى طبقة متنامية من التجّار وأصحاب المشاريع entrepreneurs وأرباب العمل. ارتكز هجومه على ما أسماه النظرية السياسية البرجوازية (نظرية المجتمع المدني) على ما اعتبره مفاهيم ومؤسسات لها توصف زيفا بأنها شاملة بينما هي في الحقيقة مفاهيم ومؤسسات مجتمع برجوازي معين: أي مجتمع أصبحت فيه البرجوازية bourgeoisie (اسم الطبقة الآن هو أكثر أهمية) أو في طورها أن تصبح سائدة. أدّت مراحل مختلفة من المجتمع البرجوازي إلى مراحل مختلفة من أسلوب الإنتاج الاقتصادي الرأسمالي CAITALIST (ا م) أو، كما صيغت فيما بعد بطريقة أدق، أدت مراحل مختلفة من أسلوب الإنتاج الرأسمالي إلى مراحل مختلفة في المجتمع البرجوازي ومن ثم أفكار برجوازية، شعور برجوازي، أيديولوجيا برجوازية، فن برجوازي. بمفهوم ماركس دخلت الكلمة الاستعمال العام، لكن في الغالب يصعب فصلها في بعض النواحي عن الازدراء الأرستقراطي والفلسفي المتبقي، ومن شكل لاحق سائد بشكل خاص بين الفنانين والكتّاب والمفكّرين خارج المؤسسة الذين قد لا يؤيدون - وفي الغالب لا يؤيدون - تعريف ماركس المركزي ولكنهم يحتفظون بمعنى المناوأة القديم ضد المحترمين والراسخين (من المتوسطين mediocre).

تعقيد الكلمة إذن واضح. هناك مشكلة حتى في الاستعمال الماركسي الدقيق كون الكلمة نفسها «برجوازي» استعملت لوصف مراحل وفترات من التطور الاجتماعي والثقافي متميزة تاريخياً. في بعض السياقات لا بد وأن يكون هذا على وجه الخصوص مشوشاً: بوضوح الأيدولوجيا البرجوازية لمواطنين مستقرين مستقلين ليست مثل الايدولوجيا البرجوازية لعمال مؤسسة شبه قومية كثيري التنقّل. تمييز «برجوازي صغير» petit bourgeois

هو محاولة لإبقاء الخواص التاريخية السابقة، لكن يستعمل التعبير أيضاً لتصنيف محدّد ضمن مجتمع أكثر تعقيداً وحركة. كذلك هناك مشاكل في العلاقة بين برجوازي ورأسمالي capitalist اللذان يستعملان دونما تمييز لكن لدي ماركس، يتم التفريق بينهما بشكل رئيسي على أنهما تعبيران أحدهما اجتماعي والآخر اقتصادي. هناك صعوبة محدّدة في وصف الرأسماليين ممن هم ليسوا من أهل المدن (مثلا، أرباب العمل الزراعيين الرأسماليين) كبرجوازيين، لما لهذه الكلمة من آثار المفهوم المديني، رغم أن العلاقات التي يقيمونها تجرى حسب مفهوم ق 19 المتطور. هناك أيضاً صعوبة في العلاقة بين وصف المجتمع البرجوازي ووصف البرجوازية كطبقة. طبقاً لماركس، المجتمع البرجوازي هو مجتمع تكون فيه الطبقة البرجوازية سائدة، لكن قد تكون هناك صعوبات في الاستعمال، مرتبطة ببعض خلافات التحليل الأكثر حدّة، عندما تستعمل نفس الكلمة لكل المجتمع الذي تسود فيه طبقة واحدة (لكن الذي توجد فيه بالضرورة طبقات أخرى) وتستعمل كذلك لطبقة محددة ضمن هذا المجتمع. نلاحظ الصعوبة بشكل خاص في استعمالات «برجوازي» كصفة لممارسة لم يتم تصنيفها داخل المضامين الاجتماعية والاقتصادية الواصفة للبرجوازية.

هكذا فليس من المدهش أن هناك مقاومة لاستعمال الكلمة في الإنجليزية لكن يجب القول إنه ليس هناك بديل فعلي في الإنجليزية لمعانيها الدقيقة في الطرح الماركسي أو التاريخي أو السياسي. تفي ترجمة طبقة متوسطة middle-class بمعظم معاني ما قبل ق 19 في الإشارة إلى نفس النوع من الناس وطرق حياتهم وأفكارهم كما كان يفهم من برجوازي ومن مواطن، ومن مدني؛ كانت استعمالات «citizen» و«cit» العامة شائعة حتى أواخر ق 18، لكن تقلّصت بعد ظهور middle-class في أواخر ق 18. رغم أن طبقة وسطي middle-class (انظر CLASS) تعبير حديث، إلا أنها تستند إلى تقسيم ثلاثي قديم للمجتمع - عالي، متوسط، أدني - كان له أهمية قصوى في المجتمع الإقطاعي وما بعد الإقطاع مباشرة والتي حسب الاستعمالات اللاحقة لم تكن ملائمة أو ملائمة لكن بشكل قاصر كوصف لمجتمع برجوازي متطوّر أو كامل التكوين. الطبقة الحاكمة ruling class التي هي المفهوم الاشتراكي للبرجوازية في سياق الوصف التاريخي للمجتمع الرأسمالي المتطور لا تمثلها بسهولة أو وضوح الطبقة الوسطى، المختلفة جوهرياً. لهذا السبب، خاصة في هذا السياق ورغم الصعوبات، ستستمر الحاجة إلى استعمالها.

انظر : CAPITALIST **رأسمالي**، CIVILIZATION **حضارة**، CLASS **طبقة**، SOCIETY **مجتمع**

بيروقراطية BUREAUCRACY

تظهر بيروقراطية في الإنجليزية من وسط ق 19. كتب كارلايلCarlyle في Latter-Day Pamphlets (1850) عن «الإزعاج الأوربي المسمى «بيروقراطية»، وكتب ملْ Mill في 1848 عن عدم المصلحة في تركيز كل سلطة العمل المنظم في «بيروقراطية مهيمنة». في 1818 كتبت السيدة مورجان Morgan مستخدمة صيغة أقدم، عن «البيروقراطية (bureaucratie) أو طغيان المكتب، التي عن طريقها حُكمت ايرلندا لأمد طويل». اشتقت الكلمة من (س م) «bureaucratie»، فرنسية، من (س ب) «bureau» - منضدة كتابة ثم مكتب. كان المعنى الأصلي لـ bureau هو «بيز» «baize» نسيج أخضر مخملي تكسى به الطاولات. يرجع الاستعمال الإنجليزي لـ bureau كمكتب إلى أوائل ق 18؛ أصبحت أكثر شيوعاً في الاستعمال الأمريكي، خاصة فيما يتعلق بالفروع الخارجية، حيث التأثير الفرنسي سائد. أنتج الحجم المتزايد للتنظيم التجاري، والذي جاراه ازدياد في التدخل الحكومي والضبط القانوني وكذلك ازدياد أهمية الحكومة المركزية المنظمة والمهنية، حقائق سياسية يدل عليها التعبير الجديد. لكن كان هناك عندئذ تفاوت كبير في تقويم تلك الحقائق. في التناول الإنجليزي والشمال أمريكي استعمل التعبير الأجنبي «بيروقراطية» لإيضاح جمود أو سلطة الإدارة العامة المفرطة، بينما استعملت خدمة عامة public service وخدمة مدنية civil service لإيضاح النزاهة والمهنية المتجردة. في ألمانيا كان لـ bureaucratie في الغالب معنى إيجابياً كما ورد عند شمولر Schmoller («بمعزل عن الحكومة الملكية، العنصر الحيادي الوحيد في حرب الطبقات»)، ومنحها فيبر Weber معنى إضافياً: العقلانية المؤسسة قانونياً. لا يزال يمكن لتباين التعبيرات أن يشوش تفاوتات التقويم وكذلك التمييزات بين النظم السياسية المتعددة في الغالب التي يمكن أن يخدمها جهاز من الموظفين العامين public servants أو بيروقراطية. علاوة على ذلك، كان هناك استعمال أعم لبيروقراطية لا يوضح بطريقة سلبية طبقة الموظفين فحسب وإنما أيضا أنماطاً معينة من الترتيب الاجتماعي الممرْكز الذي هو من نوع حديث منظّم، في تمييز له ليس فقط عن المجتمعات الأرستقراطية القديمة ولكن أيضاً عن الديمقراطية DEMOCRACY (ا م) الشعبية. هذا مهم في الفكر الاشتراكي حيث مفهوم «مصلحة عامة» public interest معّرض بشكل خاص للتفاوت بين «خدمة عامة» public service و«بيروقراطية» .

بطريقة أقرب إلى الواقع المحلي، تستعمل بيروقراطية للإشارة إلى الرسميات المعقدة للإجراءات المكتبية حسب وصف جريدة Daily News في 1871 : «الوزارة ... بكل

روتينها من أشرطة، شمع، أختام ومكتبية bureauism». هناك أيضاً حيّز من الالتباس بين نوعين من الدلالة كما يلاحظ من سك تعابير أكثر حيادية مثل طرق عمل business methods ونظام مكتبي office organization للاستعمال التجاري، والاحتفاظ ببيروقراطية في الغالب لإجراءات مطابقة أو مشابهة في الحكومة.

انظر : MANAGEMENT إدارة، DEMOCRACY ديمقراطية

رأسمالية CAPITALISM

بدأت تظهر capitalism رأسمالية ككلمة تصف نظاماً اقتصاديا معيناً في الإنجليزية من أوائل ق 19؛ وتقريباً في نفس الوقت في الفرنسية والألمانية. رأسمالي capitalist أقدم قليلاً؛ استعملها آرثر ينج Arthur Young في يومياته Travels in France (1792) لكن بشكل فضفاض نسبياً: «رجال المال أو الرأسماليون». استعملها كولردج بالمعنى المتطوّر - «الرأسماليون ... ينالون العمالة عند الطلب» - في Tabletalk (1823). كتب توماس هوجْسكن Hodgskin في London Defended Against the Claims of Capital (1825): «كل رأسماليي أوربا ومعهم كل رأسمالهم المتداول لا يستطيعون معتمدين على أنفسهم تموين طعام وملابس أسبوع واحد»، ومرة أخرى : «بين من ينتج الطعام ومن ينتج الملابس، بين من يصنع الآلات ومن يستعملها يتدخّل الرأسمالي الذي لا يصنعها ولا يستعملها ويستولي على إنتاج كل منهم». هذا بوضوح وصف "نظام" اقتصادي.

كان المعنى الاقتصادي لـ «capital رأسمال» موجوداً في الإنجليزية من ق 17 وفي شكل متطور تماماً من ق 18. تذكر دائرة معارف Chambers تشامبرز: Cyclopedia (1727-51): «أعطى البرلمان لشركة بحر الجنوب South-Sea صلاحية زيادة رأسمالها»، وتعريف «رأسمال متداول» circulating capital موجود عند آدم سميث (1776). اكتسبت الكلمة هذا المعنى المتخصص من المفهوم العام لـ «رئيس» أو زعيم : chief (س م) capital، فرنسية، capitalis، لاتينية، (س ب) «caput»، لاتينية - رأس. كانت هناك معاني متخصّصة كثيرة مشتقّة؛ تطوّر المعنى الاقتصادي من اختصار للعبارة «رأسمال الشركة» capital stock: ممتلكات مادية أو اعتماد مالي. في الاقتصاد الكلاسيكي عُرفت ووُصفت وظائف رأس المال وحددت أنواع مختلفة من رأس المال.

تمثل رأسمالية capitalism تطوّرا للمعنى في أنها كانت تستعمل باضطراد للدلالة على نظام اقتصادي تاريخي ومعيّن بدلاً من مجرد أي نظام اقتصادي. كانت « capital رأسمال»

وفي البداية capitalist (رأسمالي) مصطلحين تقنيين في أي نظام اقتصادي. اتجهت استعمالات capitalist رأسمالي المتأخرة (أوائل ق 19) نحو وظائف محدّدة في مرحلة معينة من التطور التاريخي؛ إن هذا الاستعمال هو الذي تبلور في «رأسمالية» capitalism. كان هناك مفهوم الرأسمالي كوسيط متحكّم لكن عديم الجدوى بين المنتجين، أو كمستخدم للعمالة، أو في النهاية كمالك لوسائل الإنتاج. أخيرا تضمن ذلك، خاصة عند ماركس، تمييزا بين «رأسمالية» كتصنيف اقتصادي رسمي وبين «رأسمالية» كنوع معين من الملكية المركزية لوسائل الإنتاج إضافة إلى احتفاظها بنظام العمالة المأجورة wage-labour. في هذا المفهوم، الرأسمالية هي نتاج مجتمع برجوازي في تطور؛ هناك أنواع مبكرة للإنتاج الرأسمالي لكن الرأسمالية كنظام - ما يسميه ماركس «الحقبة الرأسمالية» ـ لا تبدأ إلا من ق 16 ولم تصل مرحلة الرأسمالية الصناعية حتى أواخر ق 18 وأوائل ق 19.

هناك جدل كبير حول تفاصيل هذا الوصف وبالطبع حول مزايا النظام وطريقة عمله، لكن من أوائل ق 20 كان لرأسمالية capitalism في الإنجليزية وفي معظم اللغات مفهوم نظام اقتصادي مميز يمكن مقارنته بنظم أخرى : كمصطلح لا يبدو أن «رأسمالية» كانت أقدم من 1880 عندما بدأت تستعمل في الكتابات الاشتراكية الألمانية، وتوسعت من ثم إلى كتابات أخرى غير اشتراكية. يبدو أن استعمالاتها الإنجليزية والفرنسية الأولى لا ترجع إلا إلى السنوات الأولى من ق 20. في منتصف ق 20 وفي ردة فعل ضدّ الطرح الاشتراكي استبدل المدافعون عن النظام الكلمتين «رأسمالية» و«رأسمالي» بتعابير مثل «مشاريع خاصة» private enterprise ومشاريع حرة، غير خاضعة لضبط حكومي free enterprise. في استعادة لبعض ظروف الرأسمالية الأولى طبق هذان التعبيران دون تردد على مؤسسات كبيرة جداً أو شبه حكومية (عامة)، أو على نظام اقتصادي تتحكم فيه هذه المؤسسات. في أحيان أخرى، يتم الدفاع عن الرأسمالية تحت مسمّاها الشائع الآن. كذلك تطوّر استعمال «ما بعد رأسمالي post-capitalist وما بعد رأسمالية post-capitalism» لوصف تعديلات في النظام مثل نقل التحكم المفترض من حاملي الأسهم إلى الإدارة المهنية، أو الوجود الإضافي في نفس الوقت لصناعات معينة مؤممة NATIONALIZED (ا م) أو «مملوكة للدولة». تعتمد جدارة هذه الأوصاف بالتصديق على تعريف «رأسمالية» التي اختيرت لتعديله. رغم أنها تعدل أنواعا معينة من الرأسمالية إلا أنها هامشية فيما يتعلق بالمفهوم المركزي للنظام. في وسط ق 20 استعملت بشكل واسع عبارة جديدة «رأسمالية الدولة state-capitalism»، ولها سوابق من أوائل ق 20، لوصف أنواع من ملكية الدولة لم تتغير فيها الشروط الأصلية للتعريف - ملكية مركزية لوسائل الإنتاج موصلة إلى نظام عمالة مأجورة.

من الضروري أيضاً ملاحظة توسع الصفة «رأسمالي» capitalist لتشمل المجتمع ككل أو جوانب منه يسود فيها الاقتصاد الرأسمالي. يوجد هنا تشابك شديد وتشويش من وقت لآخر بين «رأسمالي» capitalist و«برجوازي» BOURGEOIS (ا م). في الاستعمال الماركسي الدقيق «رأسمالي» هو وصف لأسلوب الإنتاج و«برجوازي» وصف لنوع من المجتمع. في الجدال حول العلاقة بين وسيلة الإنتاج ونوع المجتمع تنشأ ظروف التشابك في المعنى.

انظر: **BOURGEOIS برجوازي، INDUSTRY صناعة/جهد، SOCIETY مجتمع**

مهنة/سيرة CAREER

تستعمل كلمة career الآن بانتظام لوصف تقدم الإنسان في الحياة أو، اشتقاقاً من ذلك، مهنته profession أو وظيفته vocation لدرجة أنه من الصعوبة، في نفس السياق، تذكّر معنييها الأصليين: مضمار سباق racecourse وعدو gallop رغم بقاء أثرهما في بعض السياقات كما في عبارة careering about (عدو، انطلاق، لكن مع about في ذلك تباطؤ).

ظهرت كلمة career في الإنجليزية من أوائل ق 16، من (س م) carriere، فرنسية، مضمار سباق، (س ب) carraria لاتينية - طريق عربات، من carrus، لاتينية - عربة. استعملت من ق 16 للمضمار والعدو وتوسع مدلولها إلى أي نشاط سريع متواصل، رغم أنها استعملت بطريقة حيادية كما في مسار الشمس، إلا أن لها معنى سائداً في ق 17 و ق 18 ليس لنشاط سريع فقط ولكن أيضاً غير مقيّد. كمثال، ليس من السهل التأكد من تغيّر الفحوى بين استعمال في 1767 - «فاتنة ... في سيرها الحثيث لتحقيق انتصاراتها» «... a beauty... in the career of her conquests» واستعمال ماكولي Macaulay في 1848: «في انطلاقة النجاح التامة in the full career of success». لكن الأرجح أنه من أوائل ق 19 بدأ الاستعمال الذي لا يتضمن انتقاصاً، خاصة فيما يتعلق بالدبلوماسيين ورجال الدولة. بحلول منتصف ق 19 أصبحت الكلمة شائعة كدالّ على التقدم في المهنة ومن ثم المهنة نفسها.

عند هذه النقطة، خاصة خلال ق 20، يصعب فصل career عن مجموعة كلمات صعبة أوضح أمثلة لها عمل WORK، شغل LABOUR (ام م) ومهمة job، خاصة الأخيرة. لا تزال career تستعمل بمفهوم السياسيين والمرفهين المجرّد والمثير، لكن في

الأعم تستعمل، مع بعض التمييز الطبقي المقصود أو غير المقصود، بمعنى عمل work أو مهمة job الذي يتضمّن شيئاً من الأمل في التقدم. استعملت بشكل عام للمهن jobs التي تتضمن تطوّراً داخلياً واضحاً - «عمل career في الخدمة المدنية» - لكن تم توسيع مدلولها ليشمل أية وظيفة مرغوبة أو مفضّلة أو ممتدحة - «مهنة career في استخراج الفحم». تتضمّن career في العادة الاستمرارية وإن لم يكن بالضرورة الترقية أو التقدم، ومع ذلك فإن التمييز بين career وjob يعتمد جزئياً فقط على ذلك ويرتبط غالباً بالتمايز الطبقي بين أنواع مختلفة من العمل. من ناحية أخرى يلغي أحياناً هذا الارتباط، توسيع مدلول التعبير، كما في «إرشاد وظائف» careers advice، وهناك وصف أمريكي لـ «العمال workers شبه المهرة» بأن لهم «مسار مهنة ثابت» flat career trajectory.

من اللافت أن شيئاً مشابهاً للاستعارة الأصلية بمفهومها الانتقاصي المرتبط بـ ق 17 وق 18 عاود الظهور في وصف مجالات العمل والترفيه كسباق جرذان. لكن بالطبع يظل المعنى الانتقاصي حاضراً فعلاً في الكلمتين المشتقّتين careerism التعلق بالمهنة وcareerist اللاهث وراء المهنة اللتين يتم إبقاؤهما بعيداً عن مدلولات career الإيجابية. سجلت careerist من 1917 و careerism من 1933؛ أشارت الاستعمالات الأولى للسياسة البرلمانية.

انظر: **LABOUR شغل ، WORK عمل**

إحسان/بر CHARITY

دخلت كلمة charity الإنجليزية في ق 12 من (س م) charité، فرنسية قديمة، caritas، لاتينية، (س ب) - carus عزيز. اكتسبت الصيغ اللاتينية للكلمة مفهوم ارتفاع الثمن (dearness) بالإضافة إلى العطف (وهو ارتباط تكرر واستمر في dear عزيز نفسها من الفرنسية القديمة فصاعداً). لكن الاستعمال السائد لاحسان كان في سياق الإنجيل. (تم تمييز اليونانية agape المحبة إلي dilectio وcaritas في الترجمة اللاتينية للإنجيل Vulgate، وترجم وكليف Wycliff الكلمتين كمحبة وإحسان. ترجم تنديل Tyndale «caritas» كمحبة، وفي النزاع العقائدي العنيف في ق 16 انتقدت هذه الترجمة واختيرت «إحسان» الكنسية كترجمة أفضل في إنجيل بيشوب Bishop ثم في النسخة المعتمدة The Authorized Version. كانت «محبة» هي إحدى الكلمات الأساسية للنسخة المعدّلة للإنجيل Revised Version في ق 19). كان الإحسان إذن حباً مسيحياً بين الإنسان والإله وبين الناس وجيرانهم. كان مفهوم البر بالجيران وبشكل خاص العطايا للمحتاجين مبكراً أيضاً لكن كان

ذلك يتعلق مباشرة بمفهوم المحبة المسيحي كما في الاستعمال البوليني (نسبة إلى الرسول بولص Paul): «رغم أني أمنح كل ممتلكاتي لإطعام الفقراء ... ولا أمتلك النزعة لعمل الخير فإن ذلك لا يفيدني شيئاً» (1 Corinthians 13 «الرسالة الأولى إلى الكورنثيين»)، حيث لا قيمة للفعل دونما إحساس به. مع ذلك فإن إحسان، في مفهومها السائد كمعونة للمحتاجين، برزت بشكل مضطرد؛ كانت على الأرجح سائدة فعلاً في ق 16 وتم استعمالها بمفهوم تجريدي جديد من أواخر ق 17 وأوائل ق 18. أنشئت أول «مبرة» charity كمؤسسة بحلول أواخر ق 17. استمرت بالطبع هذه المفاهيم.

لكن هناك توجها آخر للكلمة. كانت العبارة «charity begins at home ينشأ الإحسان في البيت» مقولة شعبية في أوائل ق 17 ولها سوابق من ق 14. أكثر أهمية هي عبارة «بارد مثل الإحسان» cold as charity التي هي عكس لافت لما كان على الأرجح الاستعمال الأصلي (إنجيل متى، الإصحاح 24)، حيث التنبؤ بـ «حروب وإشاعات عنها» وبظهور أنبياء كثير «أدعياء»، ثم يتوج ذلك : «لأن الجور سيعم» فإن حب الكثيرين سيزداد برودة». هذا هو المفهوم المسيحي العام. استُعملت ترجمات أسبق (مثلاً، ريميش Rhemish، 1852) : «إحسان الكثير سيزداد برودةً». كتب براون Brown (1642) عن «الشكوى العامة هذه الأيام أن الإحسان يزيد برودة». بحلول أواخر ق 18 انعكس المعنى. ليس هو الآن مفهوم نضوب أو جمود الحب أو البر؛ إنه المفهوم الأكثر تشويقاً المرتبط بماهية شعور متلقي عمل الإحسان من الخبرة المطولة مع تقاليد وأساليب معظم المؤسسات الخيرية. ظل هذا المفهوم مهما جداً ولا يزال بعض الناس يعلنون أنهم «لا يتلقون إحساناً take charity»، حتى من صناديق الأموال العامة public funds التي أسهموا هم أنفسهم فيها. صحيح أن هذا يتضمن شعوراً مستقلاً ضد تقبل عون الآخرين، لكن المقت الذي يتخلل الإحسان في هذا السياق ينبع من شعور جريح بالكبرياء واحترام الذات، ويرجع تاريخياً إلى تداخل الإحسان مع الشعور الطبقي من كلا جانبي عمل الإحسان. علامات حاسمة لهذا التداخل هي حصر الإحسان على الفقراء المستحقين (ليس حب الجيران، لكن مكافأة على سلوك اجتماعي مستحسن) والحسابات في الاقتصاد السياسي البرجوازي التي لخصها جافونز Javouns (1878) كما يلي: «كل ما يصرّ عليه الاقتصاد السياسي هو أن يكون الإحسان، فعلاً، إحساناً وأنه لن يسيء إلى الذين يقصد مساعدتهم» (ليس التفريج عن ضائقة، لكن استعمالها الانتقائي للإبقاء على حافز للعمل المأجور). ليس مدهشاً أن الكلمة التي كانت في وقت من الأوقات التعبير السائد لحب ورعاية الآخرين أصبحت (عدا سياقات خاصة،

تبعاً للتعريف القانوني القائم للمؤسسات الخيرية) عرضة للشبهة لدرجة أنه يتوجب على الحكومات الحديثة إعلان مزايا الرفاهية welfare benefits (وفي الذهن تاريخ اجتماعي غني خلف التمييز) على أنها «ليست إحساناً ولكن حقاً not a charity but a right».

مدينة CITY

وجدت كلمة city في الإنجليزية منذ ق 13 لكن يرجع تاريخ استعمالها الحديث المتميز للدلالة على بلدة town كبيرة جداً، وبدأ الاستعمال اللاحق للتفريق بين المناطق المدنية والمناطق القروية أو الريفية في ق 16. بوضوح ترتبط الدلالة والتمييز اللاحقين بالاهتمام المضطرد للحياة الحضرية من ق 16 فصاعداً، لكن حتى ق 19 انحصر هذا في الغالب على العاصمة (المدينة الرئيسية capital city)، لندن. يتوافق الاستعمال العام مع التطور السريع في الحياة الحضرية خلال الثورة الصناعية التي جعلت إنجلترا بحلول منتصف ق 19 أول مجتمع يعيش غالبيته في towns بلدات.

اشتقّت city من (س م) cité، فرنسية قديمة، (س ب) civitas، لاتينية لكن لم تكن civitas مدينة بالمعنى الحديث؛ الكلمة التي كانت تؤدى هذا المعنى هي urbs، لاتينية. كانت civitas الاسم العام المشتق من civis، لاتينية تعنى مواطن citizen، التي هي أقرب إلى مفهومنا الحديث لمواطن «national». كانت civitas إذن هي مجموع المواطنين بدلاً من مستوطنة معينة أو نوع من مستوطنة. بهذه الطريقة استعملها الكتّاب الرومانيون للإشارة إلى قبائل غال Gaul. في تطوّر طويل ومعقّد أصبحت civitas والكلمات المشتقة منها محصورة على البلدة الرئيسية للدولة وفي الاستعمال الكنسي وصفت المدينة التي تضم كاتدرائية. في الإنجليزية كان هناك borough، (س م) burh، إنجليزية قديمة و town، (س م) tun، إنجليزية قديمة. تطورتtown من استعمالها الأصلي كمنطقة ضرب حولها سياج، أو ساحة لمجموعة مباني في هذه المنطقة (تبقى كذلك في الأسماء الحديثة لبعض القرى أو أجزاء منها) إلى بدايات معناها الحديث في ق 13. أصبحت borough وcity مترادفتان إلا أن هناك تمييزات قانونية متعدّدة بينهما في الفترات والأنواع المختلفة للحكومة القروسطية وما بعد القروسطية. من ق 16 كان وجود كاتدرائية أحد مميزات city ولا يزال هناك إصرار متبق من ذلك لكنه خاطئ. عندما بدأت city تتميز عن town فيما يتعلق بالمساحة، وذلك بشكل رئيسي من ق 19، رغم وجود سوابق بخصوص مدينة لندن من ق 16، كان لا يزال كل منهما يعتبر إدارياً borough، وأصبحت هذه الكلمة مرتبطة بنوع معين من الحكومة أو الإدارة المحلّية. على أية حال، من ق 13 أصبحت city أعلى منزلة

من town؛ هكذا استعملت في الغالب بخصوص القرى الإنجيلية أو للإشارة إلى مستوطنة مثالية أو هامّة. بشكل أعم، بحلول ق 16 استعملت بشكل منتظم بالنسبة للندن وفي ق 17 شاع جداً التضاد بين مدَينة city والريف country. بشكل عام استعملت City بمعناها المحدّد كمركز مالي وتجاري بناء على موقع فعلي داخل مدينة لندن من أوائل ق 18 عندما توسع بطريقة ملحوظة النشاط المالي والتجاري.

لم تتوطد تماماً city مدينة، بمفاهيمها الحديثة كتنظيم استيطاني متميز فعلا ودالّ على طريقة حياة مختلفة تماماً إلا أوائل ق 19، رغم أن للفكرة تاريخ طويل من عصر النهضة، بل حتى من الفكر الكلاسيكي. يمكن تعقب التركيز الحديث في الكلمة في تجريد مدينة city المضطرد كصفة من أماكن محدّدة أو أساليب إدارية معينة، وكذلك في التعميمات المتزايدة لوصف حياة حضرية على مستوي كبير. هكذا تتميّز عموماً مدينة ملايين السّكان الحديثة، وإن بشكل غير دقيق عن أصناف عديدة من city ـ قارن مدينة كاتدرائية، مدينة جامعية، مدينة إقليمية - وهو تمييز يرجع إلى فترات وأنواع استيطان سابقة. في نفس الوقت، قسمت المدينة الحديثة ذاتها، كما في الاستعمال المعاصر للمدينة الداخلية inner city، وهو تعبير أصبح ضرورياً تبعاً للوضع المتغير لضاحية suburb. كانت هذه الأخيرة من منتصف ق 13 منطقة خارجية ووضيعة، ويبقى هذا المفهوم في بعض استعمالات suburban الصفة للدلالة على ضيق الأفق. لكن من أواخر ق 19 كان هناك تحّول طبقي في مجالات الأفضلية؛ جذبت الضواحي مقيمين وتركت المدينة الداخلية، في الغالب، للمكاتب والحوانيت والفقراء.

انظر: **COUNTRY ريف، CIVILIZATION حضارة**

حضارة CIVILIZATION

تستعمل حضارة civilization الآن لوصف حالة أو وضع منجز من الحياة الاجتماعية المنظمّة. دلّت في الأصل على «عملية»، وفي بعض السياقات لا يزال هذا المفهوم حاضراً كما هو في ثقافة CULTURE (ا م) التي يربطها معها تفاعل طويل ومعقد حتى الآن.

تلت civilization في الإنجليزية civilize، يحضّر، التي ظهرت في أوائل ق 17، من ق 16 civilizer، فرنسية، (س م) civilizare، لاتينية وسيطة : جعل الأمور الجنائية مدنية ومن ثم، استطراداً من ذلك، إدراجها ضمن شكل من التنظيم الاجتماعي. الأصل الأساسي (س ب) civil من civilis، لاتينية : ينتمي إلى أو يخص مواطنين citizens، من civis، لاتينية : مواطن. هكذا استعملت civil في الإنجليزية من ق 14، وبحلول ق 16 اكتسبت

مفاهيم «منظّم» و«حسن التربية». في 1594 كتب هوكر Hooker عن «مجتمع مدني «civil society» - عبارة ستصبح أساسية في ق 17 وبشكل أهم في ق 18 - لكن التطور الرئيسي نحو وصف مجتمع منظّم كان civility ـ (س م) civilitas، لاتينية ـ وسطي: جماعة community. في الغالب استعملت civility كياسة/لطف في ق 17 وق 18 في نفس المكان الذي تستعمل فيه الآن civilization حضارة. وحتى وقت متأخر عندما زار بوزول Boswell جونسون Johnson في 1772 «وجدته وحده مشغولاً بتحضير طبعة رابعة من قاموسه ... رافضاً إدراج civilization، مبقياً فقط على civility. مع تقديري العظيم له شعرت أن civilization، مِن «يمدّن» civilize، أفضل في مقابلة كلمة «بربرية» من civility». حدّد بوزول بدقة الاستعمال الرئيسي الذي كان على وشك التغلّب والذي أكّد حالة التنظيم والتهذيب أكثر من العملية، خاصة في تضاد ثقافي وتاريخي مقصود مع بربرية. ظهرت civilization في قاموس آش Ash في 1775 للدلالة على الحالة والعملية. أصبحت شائعة بحلول أواخر ق 18 ثم بشكل ملحوظ في ق 19.

من ناحية، مفهوم حضارة الجديدة هو جمع معيّن بين أفكار التقدم وحالات منجزة. وهو فهم كانت تدعمه روح عصر التنوير العامة بتركيزها على التطوير البشري العلماني والتقدمي. عبّرت civilization عن هذا المفهوم للعملية التاريخية بالإضافة إلى الاحتفاء بمفهوم الحداثة المصاحب: حالة منجزة من التهذيب والتنظيم. في رد فعل الرومانسيين ضد هذه الادعاءات للحضارة استحدثت كلمات بديلة للتعبير عن أنواع أخرى من التطوير البشرى ومعايير أخرى للرفاهية الإنسانية، وأهم هذه الكلمات هي ثقافة CULTURE (ا م). في أواخر ق 18 كان الربط بين حضارة civilization وتهذيب السلوك طبيعياً في كل من الإنجليزية والفرنسية. كتب بيرك Burke في Reflections on the French Revolution: «سلوكنا manners، حضارتنا وكل الأمور الصالحة التي تتعلق بالسلوك وبالحضارة». هنا الكلمتان مترادفتان لكن يجب ملاحظة أن manners لها معنى أشمل من الاستعمال الحديث المعتاد. من أوائل ق 19 تطورت civilization نحو معناها الحديث الذي فيه توكيد على كل من التنظيم الاجتماعي والمعرفة المنظمة (فيما بعد علم SCIENCE (ا م)) وبنفس الدرجة توكيد مماثل على تهذيب السلوك والتصرّف، وكان هذا التطور على العموم أسرع في الفرنسية من الإنجليزية. لكن كانت هناك لحظة حاسمة في الإنجليزية في ثلاثينات ق 19 عندما كتب مل«Mill» في مقالة عن كوليردج:

خذ مثلاً مسألة مدى استفادة الإنسانية من الحضارة civilization. يستوقف المشاهد

بشكل واضح تعدد أسباب الراحة الجسدية؛ تقدم وانتشار المعرفة؛ تلاشي الخرافات، وسائل الاتصال بين الأفراد، تهذيب السلوك؛ انحسار الحروب والنزاعات الشخصية؛ الحد بشكل متزايد من هيمنة القوي على الضعيف؛ الأعمال العظيمة التي أنجزت حول العالم عن طريق تعاون الجماهير ....

هذه سلسلة من الأمثلة الإيجابية للحضارة وهي سلسلة حديثة تماماً. استمر مِل ليصف نتائج سلبية: فقدان الاستقلال، خلق احتياجات مصطنعة؛ رتابة؛ فهم ميكانيكي ضيّق؛ تفاوت اجتماعي وفقر لا أمل في تخفيفه. كان هناك تعارض قدّمه كوليردج وآخرون بين حضارة civilization وثقافة culture أو تهذيب cultivation:

> التمييز الدائم والتعارض من حين لآخر قائم بين تهذيب cultivation وحضارة civilization .. يعتمد استمرار الأمة ... وتقدمها والحرية الشخصية على حضارة مستمرة وفي تقدم. لكن civilization نفسها ليست كلها حسنات، إن لم تكن ذات تأثير أكثر إفساداً: تورّد المرضي وليس رواء الصحة. وأمة هذه خصالها يمكن بطريقة أفضل وصفها بالمجمّلة بدلاً من المصقولة، حيث أن هذه حضارة ليست مؤسسة على التهذيب والتنمية المتناغمة لتلك الميزات والقدرات الدّالة على إنسانيتنا، (On the Constitution of Church and State,V).

بوضوح كان كوليردج على علم في هذه الفقرة بارتباط الحضارة بصقل polishing السلوك؛ هذا هو مغزى الملاحظة عن التجميل، ويذكّر هذا التمييز بالتداخل اللافت في إنجليزية وفرنسية ق 18 بين مصقول polished ومؤدب polite اللتان لهما نفس الأصل. لكن وصف حضارة بأنها «ليست كلها حسنات»، مثل وصف «مِل» الأكثر إسهابا للآثار الإيجابية والسلبية، يحدّد النقطة التي أصبحت فيها الكلمة تمثّل كل العملية الاجتماعية الحديثة. من هنا فصاعداً ساد هذا المفهوم سواء اعتبرت الآثار إيجابية أو سلبية أو خليطاً منهما.

مع ذلك اعتبرت بشكل رئيسي عملية عامة بل عالمية. كانت هناك لحظة حرجة عندما استعملت في الجمع. حصل هذا في حضارات civilizations بعد حصوله في ثقافات cultures؛ استعمالها الواضح الأول كان في الفرنسية (Ballanche) في 1819. سبقت ذلك في الإنجليزية استعمالات ضمنية للدلالة على حضارة مبكّرة، لكنها لم تصبح شائعة في أي مكان حتى ستينات ق 19 .في الإنجليزية الحديثة لا تزال حضارة تشير إلى حالة أو وضع ولا تزال تتم معارضتها مع وحشية savagery أو بربرية barbarism. لكن النسبية المتضمّنة

في الدراسات المقارنة والتي تنعكس في استعمال الجمع - حضارات - أثرّت على هذا المفهوم الرئيسي وتربط الكلمة الآن بانتظام بوصف محدد : حضارة غربية، حضارة حديثة، حضارة صناعية، حضارة علوم وتكنولوجيا. بهذا أصبحت نمطاً حيادياً نسبياً لأي تنظيم اجتماعي منجز أو طريقة حياة. وفي هذا المعنى لها علاقة معقدة ومثيرة جداً للجدل مع المفهوم الاجتماعي الحديث لثقافة. لكن لا يزال مفهومها كوضع منجز قوي بدرجة كافية لمنحه صفة معيارية؛ بهذا المعنى يمكن فقدان أو اكتساب حضارة civilization، طريقة حياة متحضرة أو شروط مجتمع متحضر .

انظر: **CITY مدينة، DEVLOPMENT تطور، MODERN حديث، SOCIETY مجتمع، WESTERN غربي**

طبقة CLASS

من الواضح أن class كلمة صعبة سواء في نطاق المعاني التي تشملها أو في تعقيدات معناها المحدّد الذي يصف فئة اجتماعية. دخلت الكلمة اللاتينية classis ـ «تقسيم اجتماعي» بناءً على ممتلكات سكان روما - الإنجليزية في أواخر ق 16 في صيغتها اللاتينية، والجمع هو إما classes أو classies. هناك مفهوم من أواخر ق 16 (King، 1594) له نبرة حديثة تقريباً: «كل تقسيمات classies وتصنيفات الغرور والزهو». لكن استعملت classis بشكل رئيسي في إشارة واضحة إلى التاريخ الروماني ومن ثم توسعت أولاً كمصطلح في تنظيم الكنيسة (التجمعات إما أن تكون طبقات classes أو مجمعات كنسية synods، 1593) وفيما بعد كمصطلح عام لفئة أو مجموعة («أصناف classis النباتات»، 1664). جدير بالملاحظة أن الكلمة اللاتينية المشتقة classicus، التي دخلت الإنجليزية في أوائل ق 17 بصيغة classic من (س م) classique، فرنسية، كان لها مفهوم اجتماعي ضمني قبل أن تكتسب معناها العام كسلطة معيارية ومن ثم معناها المحدد : انتماء إلى العصور اليونانية والرومانية العتيقة (الآن تتميز عادة في صيغة كلاسيكي classical التي كانت في البداية بديلاً لكلاسيك classic). كتب Gellius جليس: «non proletarius ،classicus ... scriptor» [الكتابة الكلاسيكية ليست هي البرولتارية]. لكن الصيغة class التي دخلت الإنجليزية في ق 17 اكتسبت ارتباطا خاصا بالتربية education. في شرحه لـ classe، شمل بلاونت Blount المفهوم الذي لا يزال رومانيا بشكل رئيسي كتصنيف وتوزيع الناس حسب درجاتهم المختلفة لكنه أضاف : «في المدارس (حيث تستعمل الكلمة أكثر من أي مكان آخر) صف أو محاضرة تقتصر على مجموعة معينة من الدارسين» وهذا الاستعمال لا يزال شائعاً في

التعليم. تأثر بشدة تطور كلاسيك classic وكلاسيكي classical بهذا الارتباط مع الأعمال الرسمية المقررة للدراسة.

من أواخر ق 17 زاد باضطراد شيوع استعمال class طبقة كتعبير عام لمجموعة أو فئة. لكن ما فاقم الصعوبة إذ ذاك هو أن class أصبحت تستعمل بهذه الطريقة مع الناس وكذلك مع النباتات والحيوانات، لكن دونما المفاهيم الاجتماعية المتضمنة في النوع الحديث. (قارن ستيل Steele، 1709 : «هذه الطبقة من الأذكياء»). ينتمي في الأساس تطور class في مفهومها الاجتماعي الحديث، بما فيه المسميات الثابتة نسبيا لطبقات معينة (الطبقة الدنيا، الطبقة الوسطي، الطبقة العليا، طبقة العمال ... الخ)، إلى الفترة بين 1770 و1840 التي هي أيضاً فترة الثورة الصناعية وإعادة تنظيمها الحاسم للمجتمع. في حديها الأقصيين لا توجد صعوبة في التمييز بين (1) طبقة كتعبير عام لأي تجمّع و(2) طبقة كوصف دقيق لتشكيل اجتماعي. ليست هناك صعوبة في التفريق بين قول Steele طبقة من الأذكياء» و، مثلا، بيان اتحاد برمنجهام السياسي (1830) : «بأن حقوق ومصالح الطبقتين الوسطي والدنيا من الشعب ليست ممثلة بشكل كاف في مجلس العموم من البرلمان». لكن في فترة الانتقال العصيبة بل حتى لوقت قبلها كانت هناك صعوبة حقيقية في التأكد من أن استعمالاً معينا يتبع (1) أو (2). حسب علمي أول استعمال - والذي يمكن قراءته بالمعنى الحديث - هو قول ديفو Defoe : «واضح أن ارتفاع الأجور يصنف شعبنا إلى طبقات أكثر مما يظهر لدى أمم أخرى» (Review، 14 أبريل، 1705). كذلك لا بد وأن يكون هناك بعض الشك حول عنوان هانواي Hanway في 1772 : «ملاحظات حول أسباب الفسق الذي يسود بين الطبقات الدنيا من الشعب». يمكننا أن نقرأ هذه كما نقرأ ديفو بالمفهوم الاجتماعي الدقيق، لكن هناك تداخلاً كبيراً بين معنى (1) ومعنى (2) يجعلنا نتأنى. السبب الحاسم لهذا التطور هو المفردات البديلة للتقسيم الاجتماعي؛ في الحقيقة أنه حتى أواخر ق 18 - بل وبطريقة أقل حتى وقت متأخر من ق 19 وق 20 - كانت الكلمات الأكثر انتشاراً هي rank مرتبة وorder رتبة، بينما كانت estate منزلة و degree درجة لا تزال أكثر شيوعاً من طبقة class. كانت منزلة estate ودرجة degree، ورتبة order تستعمل بشكل واسع لوصف الوضع الاجتماعي منذ القرون الوسطى. كانت order شائعة منذ أواخر ق 16. كانت هذه الكلمات هي المعتادة تقريبا في كل المجالات التي تستعمل فيها الآن طبقة. وأصبحت رتبة دنيا lower order ومراتب دنيا lower orders شائعتين بشكل خاص في ق 18.

يتعلق التاريخ الأساسي لدخول طبقة class ككلمة تنسخ الأسماء الأقدم للتصنيف الاجتماعي بالشعور المضطرد بأن الوضع الاجتماعي يُصنع بدلاً من أن يكون مجرد ميراث. كل الكلمات القديمة باستعاراتها الأساسية بالوقوف والتدرج والترتيب في صفوف ترجع إلى مجتمع يتحدد فيه الوضع بالولادة. ينظر إلى الحراك الفردي كانتقال من منزلة، درجة، أو رتبة إلى أخرى. لم يكن سبب تغيّر الشعور هو مجرّد الحراك الفردي المتزايد الذي يمكن استيعابه ضمن التعابير السابقة، لكن السبب هو المفهوم الجديد للمجتمع SOCIETY (ا م) أو نظام اجتماعي social system معين خلق فعلاً فئات اجتماعية، بما في ذلك أنواعا جديدة من الفئات. يظهر هذا جليا في أحد الاستعمالات الأولي الواضحة: استعمال ماديسون في الفدرالي The Federalist (امريكا، حوالي 1787): المصالح المالية والصناعية «تنمو بالضرورة في الأمم المتحضرة وتصنفهم إلى طبقات مختلفة تحرّكها مشاعر وآراء مختلفة». تحت ضغط هذا الشعور الذي ازداد حدة إلى درجة كبيرة بالتغيّرات الاقتصادية التي أحدثتها الثورة الصناعية والنزاعات السياسية للثورتين الأمريكية والفرنسية بدأت كلمة طبقة في السيطرة. لكن هذه كانت عملية بطيئة ومتفاوتة ليس فقط بسبب الألفة المتبقية للكلمات السابقة وليس فقط لأن المفكرين المحافظين كمسألة مبدأ استمروا في تجنب «طبقة» كلما أمكن ذلك وفي تفضيل التعبيرات السابقة. كانت عملية بطيئة ومتفاوتة وظلت صعبة وذلك بشكل رئيسي بسبب التداخل المحتوم بين استعمال طبقة، ليس كفئة اجتماعية محددة، ولكن كعبارة متوفرة عموماً وفي الغالب لأي غرض تصنيفي.

بمعرفة ذلك يمكن تتبع تكوين مفردة طبقة class المحدّدة مؤخراً. استعملت lower classes طبقات دنيا في 1772 وكانت lowest classes الطبقات الأدنى وlowest class الطبقة الأدنى شائعة من تسعينات ق 18. تحمل هذه الكلمات بعض آثار الانتقال لكنها لم تكمل بعد التحول التام. من اللافت وصف طبقات وسطى middle classes الجديد الذي هو بشكل متزايد ذاتي الوعي وذاتي الاستعمال لأنه أقل اعتمادا على مفهوم قديم عام، حيث لا تختلف كثيراً طبقات دنيا عن عامة الناس COMMON (ا م). لهذا التعبير سوابق في «رجال من حالة متوسطة» men of a middle condition (1796) و«المحطة الوسطى للحياة» The middle Station of life، (Defoe، 1719) و«أهل إنجلترا المتوسطون .. عموماً طيّبون وشجعان»، The Middling People of England ... generally Good-natured and Stout-hearted (1718) و«الطبقات الدنيا والوسطى» (1789). في 1795 كتب جيسبورن Gisborne «بحث في واجبات رجال من المرتبة العليا وطبقات المجتمع المتوسطة في بريطانيا الكبرى Enquiry into the Duties of Men in the Higher Rank

and Middle Classes of Society in Great Britain» . وفي 1796 كتب مور Hannah More عن «الطبقات المتوسطة» middling classes . في 1809، هناك عبارة يلقي «عبء الضريبة» بثقله «على الطبقات الوسطى» (Monthly Repository، 501)، وفي 1812 هناك اشارة إلى أناس من الطبقة الوسطى للمجتمع عصفت بهم الأيام (Examiner، أغسطس)؛ ظلت rank مرتبة تستعمل على الأقل بنسبة متساوية، كما هو عند مل James Mill (1820) «الطبقة التي توصف عموما بأنها الجزء الأحصف والأعف من المجتمع : المرتبة الوسطى middle rank» (Essay on Government)، لكن في هذه الفترة اكتسبت طبقة بالفعل مفهوماً اجتماعياً عاماً عندما استعملت بمفردها. وصل تضخّم التمجيد الذاتي ذروة مؤقتة في خطبة بروهام Brougham في 1831 : «بالشعب أعنى الطبقات الوسطى، ثروة وعقل البلد، مجد الاسم البريطاني».

هناك غرابة مستمرة في هذا التطور. تنتمي وسطى middle إلى حيّز بين دنيا وعليا؛ في الواقع كإقحام بين دنيا وعليا اللتين فقدتا بشكل متزايد أسباب وجودهما. في 1791 استعمل بيرك Burke (Thoughts on French Affairs) طبقات عليا higher classes وسجلت طبقات أعلى upper classes من عشرينات ق 19. في هذا النموذج لا يزال واضحاً التصنيف الهرمي القديم؛ «طبقة وسطى» هي تدخّل ذاتي الوعي يشغل حيزاً بين أفراد ذوي «مرتبة» و«العامة». هذه كانت دائماً، حسب التعريف، غير محددة : هذا هو أحد الأسباب التي جعلت في النهاية الكلمة التجميعية «طبقة» class بدلاً من الكلمة المحددة مرتبة rank تسود. لكن بوضوح عند Brougham وغالباً منذ ذلك الوقت اختفت تقريباً من التصنيف البادئة «عليا» higher أو upper أو بالأحرى أعطيت بعداً مختلفاً: تم حصرها على الأرستقراطية المتبقية والمحترمة لكن التي أزيحت بشكل أساسي.

هذه هي خلفية التعقيدات اللاحقة. في الجدل العنيف حول الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الفترة بين تسعينات ق 18 وثلاثينات ق 19 استعملت «طبقة» في نموذج آخر يبيّن تمييزاً بسيطاً : طبقات منتجة ومفيدة productive or useful classes ـ تعبير قوى ضد الأرستقراطية. في ترجمة واسعة الانتشار لكتاب فولني Voleny: (The Ruins, or A Survey of the Revolutions of Empires جزآن، 1795) هناك حوار بين الذين عن طريق «عملهم المفيد يسهمون في دعم المجتمع والمحافظة عليه» (معظم الناس: «العمال، الحرفيون، التجار وكل المهن المفيدة للمجتمع»، من ثم يسمّون الشعب People) والطبقات الموسرة («القساوسة، رجال البلاط، المسئولون العامّون، قادة الجند، باختصار

موظفو الحكومة المدنيين والعسكريين والدينيين»). هذا وصف ينطوي على مفهوم فرنسي للشعب the people يتعارض مع حكومة أرستقراطية، لكن تم تبنى هذا المفهوم بشكل واسع في عبارات إنجليزية مما نجم عنه نتيجة محدّدة تتوافق مع الوضع السياسي الفعلي لحركة الإصلاح بين تسعينات ق 18 وثلاثينات ق 19 : كل من الطبقات الوسطي الواعية لذاتها والناس المختلفين عنهم تماماً الذين يصفون أنفسهم بحلول نهاية الفترة كطبقات عاملة working classes تبنوا وصف «طبقات مفيدة ومنتجة» في تمييز وتضاد مع الطبقة الموسرة أو العاطلة. استمر هذا الاستعمال الذي لا ينسجم مع النموذج الآخر (دنيا، وسطى، عليا) مهماً ومشوّشاً.

تمت تسمية «طبقات عاملة working classes لأول مرة عن طريق الانتقال من مفهوم طبقات مفيدة ومنتجة. هناك تشابك كبير في ذلك : قارن «طبقات وسطى وكادّة «middle and industrious classes» (Monthly Magazine، 1797) و«طبقات فقيرة وعاملة» poor and working classes، (1813, Owen) - الأخيرة على الأرجح هي أول استعمال إنجليزي لطبقات عاملة working classes، لكنها كانت عامة. نشر أوين Owen في 1818 Two Memmorisls on Behalf of the Working Classes وفي نفس العام استعملت The Gorgon (28 نوفمبر) «طبقات عاملة» working classes في سياق واضح ومحدّد للعلاقات بين «عمال» workmen و«موظّفيهم» their employers. تطور الاستعمال بعد ذلك بسرعة وبحلول 1831 حدّدت نشرة The National Union of the Working Classes كعدو لها ليس الامتياز بالدرجة الأولى بل «القوانين التي وضعت لتحمي ... الممتلكات أو رأس المال». (ميزوا مثل هذه القوانين عن تلك التي لم توضع لتحمي الصناعة INDUSTRY (ا م) التي ما زالت على مفهومها القديم كعمل فعلي applied labour). كتب أوبراين O'Brian في The Poor Mans Guardian (19 أكتوبر، 1833) عن تكوين «سيطرة تامة للطبقات المنتجة على ثمرة عملها» واستمر يصف مثل هذا التغيير «كما تتصوره الطبقات العاملة»؛ العبارتان ـ «طبقات منتجة» و«طبقات عمال» - يمكن أن تحل إحداها محل الأخرى في هذا السياق. هناك تعقيدات في تعبيرات مثل الطبقات الكادحة labouring classes وطبقات عمال operative classes التي يبدو أنها وضعت للتمييز بين مجموعة وأخرى من الطبقات المفيدة تتماشى مع التمييز بين عمال وأرباب عمل، رجال وسادة : وهو تمييز كان محتوما اقتصاديا وكان فعّالاً من ثلاثينات ق 19 على الأقل. تبنوا تعبير «طبقات عاملة» الذي سماهم به آخرون واستعملوه بفخر، تماما كما حصل بالنسبة للطبقات الوسطي: «صنعت الطبقات العاملة working classes كل الثروة»

(نشرة رولز Rulez . لجمعية ريبوندن Ripponden التعاونية؛ ذكرها بريستلي J.H. Priestly في History of RCS؛ يرجع تاريخها إلى 1833أو 1839).

بحلول أربعينات ق 19، إذن، كانت «طبقات وسطى» middle classes و«طبقات عاملة» working classes تعبيرين شائعين. في البداية أصبحت الأولى مفردة؛ ومن أربعينات ق 19 أصبحت الأخيرة في صيغة المفرد، لكن لا تزال حتى اليوم تتراوح بين الجمع والمفرد وغالباً بأهمية أيديولوجية، المفرد مألوف في الاستعمالات الاشتراكية والجمع أكثر شيوعاً في الوصف المحافظ. لكن كان الأثر الأهم لهذا التاريخ المعقد هو توفر تعبيرين شائعين الآن، يستعملان للمقارنة والتمييز أو التعارض، نشآ ضمن نموذجين مختلفين. من ناحية، دلت وسط middle على هرمية ومن ثم تضمنت وجود «طبقة دنيا lower class»: ليس فقط نظرياً ولكن في ممارسة متكررة. من ناحية أخرى، تضمنت عاملة working نشاطاً منتجاً أو مفيداً وبالتالي جعلت كل من هم ليسوا في الطبقة العاملة غير منتجين أو عديمي الفائدة (سهل بدرجة كافية بالنسبة للأرستقراطية لكنه صعب التقبل من الطبقة الوسطى). حتى اليوم هناك صدى لهذا التشويش. في وقت مبكر، 1844، أشار كوكبرن Cockburn إلى «ما يعبر عنه بالطبقات العاملة كما لو أن العاملين الوحيدين هم الذين يصنعون بأيديهم». مع ذلك فإن «رجل عامل» working man أو workman تشير باستمرار إلى العمل اليدوي. في تشريع 1875 أعطيت هذه تعريفاً قانونياً : «يعني التعبير عامل .. workman أي شخص بصفته شغيلاً، خادماً في الزراعة، عاملاً يومياً، صانعاً، حرفياً، عامل منجم ،عاملاً في أي مجال بيديه ... يكون قد دخل في عقد أو يعمل حسب عقد مع صاحب عمل employer». هكذا كان الربط بين «عامل» و«طبقة عاملة» وثيقاً جداً، لكن من الملاحظ أن التعريف يشمل عقداً مع صاحب العمل بالإضافة إلى كونه عملاً يدوياً. ينص تشريع 1890 على أن «شروط فقرة 11 من تشريع إسكان الطبقات العاملة، 1885 ... سيكون لها مفعولها كما لو أن تعبير «طبقات عاملة» شمل كل طبقات الناس الذين يكسبون معيشتهم عن طريق الأجور أو الرواتب». سمح هذا بتمييز عن أولئك الذين اعتمدت معيشتهم على أتعاب fees (الطبقة المهنية professional class)، أرباح profits (طبقة التجار) وممتلكات property (المستقلون independent). مع ذلك وخصوصاً مع تطور المهن المكتبية والخدمية كان هناك التباس خطير حول الوضع الطبقي للذين يعملون مقابل راتب أو حتى أجر ولكن لم يقوموا بأي عمل يدوي. (ترجع راتب salary كجزاء ثابت إلى ق 14؛ «أجور ورواتب» wages and salaries هو تعبير مألوف من ق 19؛ لكن في 1868 «قيل إن مدير بنك أو سكة حديد - أو حتى مراقباً أو كاتبا في مصنع - يستلم راتباً»، وواضح هنا محاولة

التمييز الطبقي بين رواتب وأجور؛ بحلول أوائل ق 20 تم التمييز بين مستلمي الرواتب salariat والبروليتاريا proletariat). مرة أخرى هنا وفي لحظة حاسمة واضح أثر نموذجي «طبقي». الطبقة الوسطى التي ينحاز إليها أصحاب الرواتب هي تعبير عن وضع اجتماعي نسبي، وبالتالي تمييز اجتماعي. الطبقة العاملة، وهي محدّدة بناءً على مفهوم مختلف للطبقات المفيدة أو المنتجة، هي تعبير عن علاقات اقتصادية. هكذا يرتكز تعبيرا الطبقة الحديثة الشائعين على نموذجين مختلفين، ووضع أولئك الذين هم على علم بالموقع الاجتماعي النسبي وبالتالي التميز الاجتماعي ولكن، مع ذلك، يبيعون عملهم ويعتمدون عليه، ضمن علاقات اقتصادية، هو نقطة تداخل حاسمة بين النموذجين والتعبيرين. من العبث الاستنتاج بأن الطبقات العاملة هي الوحيدة التي تعمل WORK (ا م) لكن إذا وصف الذين يعملون في عمل غير يدوي أنفسهم بعبارات موقع اجتماعي نسبي («طبقة وسطي») فإن التشويش محتوم. أحد الآثار الجانبية لهذه الصعوبة كان التفصيل الإضافي لتصنيف حسب الطبقة classing ذاتها (الفترة من أواخر ق 19 إلى أواخر ق 19 زاخرة بهذه الكلمات المشتقة : «classify»، «classification»، «classifier»). من ستينات ق 19 بدأت الطبقة الوسطى تنقسم إلى قسمين دنيا lower وعليا upper وفيما بعد انقسمت الطبقة العاملة إلى مهرة skilled وشبه مهرة «semi-skilled» وعمالة labouring. تبعت ذلك نظم تصنيف أخرى مختلفة برزت منها «مجموعة اقتصادية اجتماعية» socio-economic group، التي يجب اعتبارها محاولة لمزاوجة نموذجي الطبقة والمنزلة STATUS (ام).

في الختام من الضروري دراسة صيغ «طبقة» كفكرة مجردة. في أحد الاستعمالات الأولى للتعبير الاجتماعي المفرد تكاد تكون «طبقة» في قول كراب Crabbe :

To every class we have a school assign'd لكل طبقة اخترنا مدرسة

Rules for all ranks and food for every وقواعد لكل مرتبة، وقوت لكل ذهن mind

معادلة لمرتبة «rank» وهكذا استعملت في تعريف طبقة وسطي «middle». لكن تأثير مفهوم (1) لطبقة كتعبير عام للتجميع كان لا يزال قويا بدرجة مساوية ونجم عن ذلك بشكل رئيسي طبقات «مفيدة أو منتجة». لكن تمييز «المنتجة» كإدراك لنظام اقتصادي فعّال أدى إلى مفهوم لطبقة ليس هو بالمرادف لمرتبة ولا هو طريقة تجميع وصفي، وإنما هو وصف علاقات اقتصادية سياسية. في الاستعمال الحديث، لا يزال مفهوم مرتبة، رغم أنه ضئيل، فعالاً؛ في استعمال من الاستعمالات، لا تزال «طبقة» تتحدد بشكل أساسي بالولادة. لكن تتوزع

الاستعمالات الجادّة بين تجميع وصفي وعلاقات اقتصادية. من الواضح أن مصطلح علاقات اقتصادية أساسية (كما هي بين أصحاب العمل والمستخدمين أو الملاك وعديمي الأملاك) سيعتبر غير دقيق وعاماً بالنسبة لغرض التجميع الوصفي الدقيق الذي هو مختلف تماماً. من ثم النقاش المستمر بين الذين يقترحون، مستعملين «طبقة» بمفهوم العلاقات الأساسية، اثنين أو ثلاث «طبقات» أساسية والذين يجدون، مستعملين «طبقة» للتجميع الوصفي، ضرورة تقسيم هذه التصنيفات إلى فئات أصغر وأصغر. يضم تاريخ الكلمة هذا الالتباس الأساسي.

يمكن ملاحظة كل النزعات عندما كانت تتطور تعابير «طبقة» في أوائل ق 19. أشارت The Gorgon 21 نوفمبر 1818) بطريقة طبيعية تماماً إلى طبقة صغرى من التجار تسمى عمال العليّات garretmasters. لكن في 1825 عرف كوبيت Cobett المفهوم الأحدث: «حتى تكون هناك طبقة من المجتمع متحدة لمعارضة طبقة أخرى». في 1805 جادل هول Charles Hall بأنه:

> «يمكن تقسيم الشعب في دولة متحضّرة إلى رتب orders مختلفة؛ لكن لغرض البحث في الطريقة التي يتمتعون فيها أو يحرمون من المتطلبات التي تسهم في صحة أبدانهم وعقولهم فإنه يجب تقسيمهم فقط إلى طبقتين: الأثرياء والفقراء». (The Effects of Civilization on the People in European States).

هنا يوجد تمييز بين رتب orders (مراتب ranks) وتجمعات اقتصادية فعالة (طبقات). في 1818 وصف غازل قطن (وردت في The Making of the English Working Class لمؤلفه E.P. Thompson، ص 199) أصحاب العمل والعمال «بطبقتين متميزتين من الناس». بطرق مختلفة أصبح هذا التصنيف الثنائي تقليدياً رغم أنه وجد بمحاذاة تجمعين ثلاثيين: «تجمع اجتماعي (عليا، وسطي، دنيا) وتجمع اقتصادي مستحدث: «ثلاث طبقات» جون ستيوارت مل J.S. Mill»: ملاك أراضي، رأسماليون وعمال» (Monthly Repository، 1834، 320) أو قول ماركس «ثلاث طبقات اجتماعية كبرى... عمال بالأجر، رأسماليون وملاك أراض (Capital، III). في التطور الفعلي للمجتمع الرأسمالي حل تقسيم ثنائي جديد محل التقسيم الثلاثي : في لغة ماركسية، البرجوازية، والبروليتارية (لتعقيدات التقسيم الثلاثي وبسبب التعريف الاجتماعي بشكل رئيسي للتعبير الإنجليزي «طبقة وسطى»، فإن برجوازي وحتى بروليتاري غالباً ما تكون صعبة الترجمة). تبرز بعد ذلك صعوبة إضافية: تكرار على مستوى آخر للاختلاف بين تجميع وصفي وعلاقة

اقتصادية. يمكن أن تكون «طبقة» تصنيفاً (كاسبي الأجر wage-earners) أو تشكيلاً (الطبقة العاملة) لو نظر إليها حسب العلاقات الاقتصادية. كان وصف ماركس للطبقات ينحو في اتجاه التشكيلات:

«يشكل الأفراد المستقلون طبقة فقط لأنه يتوجب عليهم مواصلة المجابهة ضد طبقة أخرى؛ عدا ذلك فهم في نزاع بينهم كمتنافسين. من ناحية أخرى، تكتسب الطبقة بدورها وجوداً مستقلا في مواجهة الأفراد بحيث أنهم يجدون ظروف معيشتهم مقررة مسبقاً ومن ثم يكون قد تم تحديد وضعهم في الحياة ونموهم الشخصي عن طريق طبقتهم ...»(German Ideology) .

يشمل هذا النقاش الصعب مرة أخرى تشويشاً. في بعض الأحيان «طبقة» هي تصنيف اقتصادي يضم كل الذين هم بطريقة موضوعية في ذلك الوضع الاقتصادي. لكن «طبقة» في أحيان أخرى (ولدى ماركس غالباً) هي تشكيل تطور فيه لأسباب تاريخية شعور بهذا الوضع وتنظيم للتعامل معه. هكذا نقرأ:

«بقدر ما يعيش ملايين من الأسر تحت ظروف معيشة اقتصادية تفصل أسلوب حياتهم واهتماماتهم وثقافاتهم عن تلك التي تخص طبقات أخرى وتضعهم في معارضة عدائية معها، فإنهم يكونون طبقة. بقدر ما يوجد مجرد تواصل محلي بين هؤلاء الفلاحين من صغار المستأجرين ولا يؤدى تطابق اهتماماتهم إلى تكوين مجتمع، أو رابطة وطنية ولا تنظيم سياسي بينهم فإنهم لا يشكلون طبقة (Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte).

هذا هو التمييز بين تصنيف وتشكيل، لكن حيث أن طبقة تستعمل لكليهما فقد نجم عن ذلك كثير من التشويش. لا تزال المسألة حرجة كونها تشكل أساس جدال متكرر حول علاقة وعي طبقي class consciousness مفترض بطبقة محددة موضوعياً وحول تقلبات وصف الذات وتحديدها بناءاً على مقياس طبقي. تعيد كثير من التعبيرات المشتقة هذا الالتباس. بوضوح لا يمكن أن يرتبط وعي طبقي إلا بالتشكيل. تعتمد صراع طبقي class struggle، ونزاع طبقي class conflict، حرب طبقية class war وتشريع طبقيclass legislation، وتحيز طبقي class bias على وجود تشكيلات (رغم أن هذا قد يكون متفاوتاً أو جزئياً بين الطبقات). من ناحية أخرى، يمكن لثقافة وطنية أن تتأرجح بين معنيين: ثقافة طبقة عاملة working-class culture يمكن أن تكون معاني وقيم ومؤسسات التشكيل، أو

ذوق وأسلوب حياة هذا التصنيف (انظر أيضاً ثقافة CULTURE). في نطاق واسع من الجدل والنقاش المعاصر يمكن ملاحظة كل هذه المعاني المتقلّبة لطبقة class مستعملة دونما أي تمييز واضح. لذا من المفيد تكرار المدى الأساسي (خارج نطاق المعاني غير الخلافية في التصنيف العام classification والتعليم):

(1) مجموعة group (موضوعي) : تصنيف اجتماعي أو اقتصادي على مستويات متفاوتة.

(2) مرتبة rank: وضع اجتماعي نسبي، بسبب الولادة أو الحراك الاجتماعي.

(3) تشكيل «formation» : علاقة اقتصادية مدركة؛ تنظيم اجتماعي وسياسي وثقافي.

انظر: **CULTURE ثقافة، INDUSTRY صناعة، MASSES جماهير، ORDINARY عادى، POPULAR شعبي، SOCIETY مجتمع، UNDERPREVILEDGED غير ميسور**

تجمع COLLECTIVE

ظهرت كلمة تجمع collective في الإنجليزية كصفة من ق 16 وكاسم من ق 17. بشكل رئيسي كانت تطوراً خاصّاً من collect يجمّع (س م) collectus، لاتينية : يضّم معاً (هناك أيضاً (س م) collecter، فرنسية قديمة: يجبي ضرائب أو أموالاً أخرى). استعملت collective كصفة منذ ظهورها المبكر لوصف أشخاص يعملون معاً ووجدت كذلك في تعابير مشابهة مثل «collective body» «هيئة متجمعة» (Hooker: Ecclesiastical Polity, VII, IV, 1600) كان أول استعمالات الاسم في النحو أو في الوصف الفيزيائي. يرتبط المفهوم الاجتماعي والسياسي لوحدة معينة - «إخوتكم في التجمّع Rural your brethren of the Collective» (Cobbett: Rides, II, 337, 1830)، - بالشعور الديمقراطي DEMOCRATIC (ا م) الجديد. أحيى هذا الاستعمال في فترات عدة لاحقة بما فيها وسط ق 20 لكنه ليس شائعاً بعد. أصبحت « collectivism جماعية»، التي استعملت بشكل رئيسي لوصف النظرية الاقتصادية الاشتراكية وبشكل اشتقاقي فقط بالمفهوم السياسي لتجمّعي collective، شائعة في أواخر ق 19؛ وصفت في ثمانينات ق 19 بأنها كلمة جديدة رغم أن استعمالها سجل من خمسينات ق 19. في فرنسا استعمل التعبير في 1869 كطريقة لمعارضة «اشتراكية الدولة».

انظر **COMMON عام، DEMOCRACY ديمقراطية، MASSES جماهير، SOCIETY مجتمع**

تجارية COMMERCIALISM

كانت commerce كلمة إنجليزية عادية للتجارة من ق 16؛ من (س م) commerce، فرنسية، commercium، لاتينية، (س ب) com، لاتينية: سويا، merx، لاتينية: سلعة أو بضاعة. توسعت commerce أيضاً من ق 16 لتشمل كل أنواع «التعاملات» dealings ـ اجتماعات، تفاعلات بين الرجال. ظهرت commercial تجاري من أواخر ق 17 في المفهوم الأكثر تحديداً : نشاطات ترتبط بالتجارة في تمييز لها عن النشاطات الأخرى. كانت في البداية وصفية بالدرجة الأولى لكن اكتسبت من وسط ق 18 معاني إضافية حاسمة. لكن الكلمة الحاسمة تماماً هي تجارية، من وسط ق 19، التي تدل على نظام يقدم الربح المالي على أية اعتبارات أخرى. في الوقت نفسه احتفظت commerce بمعناها الحيادي، ويمكن استعمال commercial إيجابياً أو سلبياً.

هناك استعمال معاصر لافت لتجاري commercial لوصف إعلان مذاع، وفي بعض الترفيه الشعبي المرتبط بذلك كان هناك من ستينات ق 20 استعمال لتجاري commercial يعني ليس فقط عملاً ناجحاً وإنما أيضاً مؤثراً ونافذاً كما في تعبير الموسيقى الشعبية الإيجابي: صوت تجاري commercial sound. لكن في الوقت نفسه، فضّلت الإذاعة التجارية «commercial broadcasting» وصف نفسها بالمستقلّة (قارن CAPITALISM رأسمالية ومشاريع خاصة أو حرة «free or private enterprise»).

عام/شائع/فج/مشترك COMMON

للكلمة common مجال شاسع من المعاني في الإنجليزية ولا يمكن عزل أي عدد من معانيها المحدّدة عن التاريخ الاجتماعي الذي ما زال فعالا. سابقتها المباشرة (س م) هي communis لاتينية، اشتقت إما من com لاتينية: سويا وmunis لاتينية: ملزم، أو من com و unus لاتينية: واحد. يمكن ملاحظة اندماج هذه المعاني في الاستعمالات الأولى بدء بـ common وcommunity (من ق 14: جماعة منظمة)، الى مجموعة محددة ومن ثم عموم البشر. هناك تمييزات في هذه الاستعمالات لكن أيضا هناك تداخلات كبيرة ومتشبثة. اللافت إذن هو استعمال « common» المبكر كصفة واسم لتصنيف اجتماعي ـ common وthe common وcommons (العموم) ـ معارض للوردات والنبالة. استمر هذا التوتر بين المعنيين. يمكن أن تدل common على مجموعة كاملة أو مصلحة شاملة أو مجموعة كبيرة محددة وتابعة. (قارن محاجّة إليوت Elyot Governor ، I، 153) ضد commune weale،

فيما بعد commonwealth: «يبدو أن هناك تنوعا مماثلا في الإنجليزية بين publike weale وcommune weale كما في اللاتينية بين Res puplica وres plebeia»).

يظهر نفس التوتر في استعمالات معنى المجموعة الكاملة: أي التعميم. يمكن استعمال common لتأكيد شيئ مشترك أو لوصف شيء معتاد ordinary (نفسها ملتبسة فهي تنتمي إلى order (رتبة) كسلسلة أو تتابع ومن ثم ordinary ـ مجرى الأمور المعتاد، لكن أيضا تنتمي إلى order كمرتبة اجتماعية وعسكرية ومن ثم ordinary (لنوع لا يمكن تمييزه)؛ أو لوصف شيء وضيع أو فج vulgar (التي تحدّد معناها من أصل مشابه، vulgus، لاتينية : عامة الناس common people). من الصعب تحديد تاريخ المعنى الازدرائي العام common. في المجتمع الإقطاعي كان الوصف منهجيا ولم يتضمن أية معاني إضافية. من المهم ان أعضاء في الجيش البرلماني في الحرب الأهلية في وسط ق 17 رفضوا التسمية بجنود عاميين « common soldiers» وأصرّوا على جنود خاصين « private soldiers». لابد وأن يدل هذا على مفهوم ازدرائي مهم كان للكلمة، رغم أن هذا الجيش نفسه كان يحارب من أجل العامة «the common» وواصل الحرب حتى انشأ كومنولث « commonwealth». لافت البديل الذي اختاروه حيث إنه أكد، تبعا للروح الحقيقية لثورتهم، أنهم هم القائمون على أمورهم. هناك عمق من التاريخ الاجتماعي في هذا الانتقال عبر سلسلة الوصف المعتاد من common إلى private: بطريقة ما كان التناقل بين معان كانت توّا متعارضة: كونهم جنوداً خاصين في قضية عامة. في الجيوش البريطانية اللاحقة فقدت private أهميتها وخفّضت الى مصطلح تقني عمّن هم في المرتبة الدنيا.

من أواخر ق 16 فصاعداً يتعذر تمييز استعمالات حيادية نسبيا للكلمة كما في «common ware» (سلع عامة) عن استعمالات مقصودة ولكن أكثر إبهاما تدل على فج «vulgar» أو غير مهذب unrefined وفي النهاية «low class» وضيع المنزلة. بالتأكيد يبدو أن الاستعمال الازدرائي الواضح يزداد من أوائل ق 19 في فترة يتعاظم فيها التمايز الطبقي لكن حتى ذلك الحين دونما تحديد (قارن CLASS طبقة). بحلول أواخر ق 19 كان لعبارة مثل «حديثهما common عادي تماما» وقع لا مجال فيه للخطأ واستمر هذا الاستعمال ليشمل نطاقا واسعا من السلوك. في الوقت نفسه كان هناك استعمال شائع لمعاني أخرى سواء حيادية أو إيجابية. يقول الناس إنه من غير الدماثة common أكل الآيس كريم في الشارع (وفي الواقع هذه في دورها أن تصبح common بمعنى آخر)؛ لكن أيضا من الشائع common التحدث عن حاجة الى مجهود مشترك common (الذي قد يكون صعب التحقيق لو اعتبر الناس المرجو مساهمتهم أفجاجاً common).

انظر : CLASS طبقة، FOLK شعب، MASSES جماهير، POPULAR شعبي، PRIVATE خاص

اتصالات/مواصلات COMMUNICATION

بمعناها الحديث الشامل وجدت كلمة communication في اللغة الإنجليزية منذ ق15. كانت سابقتها المباشرة communicacion، فرنسية قديمة من communcationem، لاتينية، اسم فعل من جذر من اسم المفعول لـ communicare، لاتينية، من (س ب) communis، لاتينية: عام common؛ ومن ثم «communicate»: يجعل مشاعاً لكثيرين، يبث. في البداية كانت communication هي هذا العمل ومن ثم من أواخر ق 15 الشيء الذي جعل عاما: a communication: اتصال، رسالة. استمر هذا كمجال أساسي لاستعمالها. لكن من أواخر القرن 17 كان هناك انتشار هام لوسائط means الاتصال، خاصة في عبارات مثل خطوط مواصلات «lines of communication». في فترة التطور الرئيسية للطرق والقنوات والسكك الحديدية كانت communications (مواصلات) التعبير العام المجرد لهذه الوسائل الفعلية. لم تصبح communications تدل وبشكل طاغ على وسائل اتصال MEDIA (ا م) مثل الصحافة والإذاعة إلا في ق20 مع تطور وسائل أخرى لنقل المعلومات والحفاظ على الاتصال الاجتماعي، رغم أن هذا الاستعمال (الذي كان أسبق في أمريكا من بريطانيا) لم يستقر قبل منتصف ق 20. هكذا تميزت عادة صناعة الاتصالات «communications industry» عن صناعة النقل «transport industry» communication: اتصالات للمعلومات والأفكار مطبوعة أو مذاعة؛ transport نقل لانتقال الناس والبضائع الفعلي.

من المفيد غالبا في الجدل حول نظم الاتصالات ونظرية الاتصال تذكر اسم الفعل الأصلي غير المحدد والذي يمثله في طرفيه الأقصيين (trasmit يرسل) وهي عملية أحادية الاتجاه وshare يشارك (قارن communion العشاء الرباني وخاصة communicant متناول هذا العشاء)، عملية مشتركة أو متبادلة. يمكن فهم المعاني الوسيطة ـ يجعل مشاعا لكثيرين، يبث ـ في أي من الاتجاهين، واختيار الاتجاه عادة ما يكون حاسما. من ثم هناك محاولة تعميم التمييز في عبارات متعارضة مثل «mainipulative communications» اتصالات موجّهة واتصالات مشاركة «participatory communications».

أنظر COMMON عام / مشترك

شيوعية COMMUNISM

ظهرت كلمة communism شيوعية و communist شيوعي في وسط ق19. أصولهما المعروفة على نطاق أوروبا هي البيان الشيوعي (Communist Manifesto) لماركس وإنجلز الصادر في 1848 والعصبة الشيوعية (Communist League) المرتبطة بذلك. لكن الكلمة كانت متداولة قبل ذلك. أسس بارمبي Goodwyn Barmby جمعية لندن للدعاية الشيوعية «The London Communist Propaganda Society» في1841 وهناك ارتباط واضح لهذا الاستعمال بالعشاء الرباني «communion يعطي الشيوعي مائدة العشاء Communion Table أهمية بالغة عن طريق اعتبارها نمطا من تلك الحياة الجماعية الألفية المقدسة». حيث أن هناك تشابهات وتداخلات للكلمات المشتقة من COMMON (ا م) فإنه من المتوقع وجود هذا النطاق الواسع من المعاني، وقد تبنّى اشتراكيون طوبائيون مسيحيون بعض هذه الدلالات. واضح كذلك التداخل مع اصطلاحات علمانية وجمهورية مستمدة بشكل أساسي من الثورة الفرنسية. زعم بارمبي Barmby أنه «أول من نطق اسم communism شيوعية التي اكتسبت من ذلك الوقت سمعة عالمية». كان هذا في1840، وقد تم «في حديث مع أكثر العقول تقدما في الحاضرة الفرنسية» وبشكل خاص «في صحبة طلاب Babeoeuf (هكذا وردت) الذين كانوا يسمون بمناصري المساواة Equalitarians. سجل استعمال كابيه Cabet للكلمة communiste أيضاً في1840 وتبعتها على وجه السرعة في نفس العقد communisme وcommunism (في الإنجليزية إضافة إلى ذلك كانت هناك communionism). في كل من فرنسا وألمانيا ولكن ليس في بريطانيا أصبحت communist كلمة أصعب من اشتراكي «SOCIALIST» (ا م). شرح انجلز فيما بعد كيف انه لم يكن في إمكانه وماركس تسمية البيان الشيوعي «مانيفستو اشتراكي» وذلك لأن إحداهما كانت حركة طبقة عاملة والأخرى كانت حركة طبقة وسطى: «كانت الاشتراكية محترمة، على الأقل في القارة الأوروبية وكانت الشيوعية عكس ذلك تماماً». يرجع التمييز الحديث بين شيوعي واشتراكي في الغالب لهذه الفترة لكن هذا مضلل ليس فقط لأن اشتراكية واشتراكي كانتا أكثر انتشاراً في الأحزاب الشيوعية ولكن أيضا لأن شيوعية كانت لا تزال تفهم بشكل واسع في إطار صلتها بجماعة community وبالتالي بتجارب في الملكية المشاعة. في ثمانينات ق19 كانت اشتراكية في الانجليزية هي الأصعب حيث أنها ارتبطت دون مواربة، مع كل نزاعاتها المختلفة، بإعادة تنظيم المجتمع ككل. استعملت communistفي مفهومها الحديث بعد تجربة كميون باريس Paris Commune في1870

لكن اعترض عليها البعض لعدم دقتها؛ كانت الكلمة الأدق هي communard. في تسعينات ق19 عبر وليام موريس William Morris عن معارضته للاشتراكية الفابية Fabian Socialism بتعبيري شيوعية Communism وشيوعيCommunist الصريحين.

ظل التعبير العام السائد socialism اشتراكية حتى قيام الثورة الروسية. في1918 غيّر حزب العمال الاجتماعي الديمقراطي الروسي اسمه من قبل القسم البلشفي المهيمن عندئذ إلى الحزب الشيوعي لكل روسيا (بلاشفة) وأصبحت كل الاستعمالات الحديثة تتبع ذلك. استرجعت إعادة التسمية التمييز الذي شعر به كل من ماركس وإنجلز، وذكرت بكميون باريس، لكنها كانت إعادة تكوين تاريخية للكلمة بدلا من استمرارية تدل على التواصل. ضمن هذا التراث أصبحت شيوعية عندئذ في مرحلة أعلى من اشتراكية التي يجب على الأولى أن تمر عبرها. كان لذلك أثر أدنى على المعاني العامة من التمييز الذي تلا عام 1918 (لكن مع سوابق مبكرة كثيرة وهامة وإن لم تكن تحمل أسماءً) بين اشتراكين ثوريين وديمقراطيين ثوريين Revolutionary and Democratic Socialists (ا م م). أنتجت الانشقاقات التالية في الشيوعية صيغا إضافية رغم أن «شيوعي» تستعمل غالبا للأحزاب المرتبطة بالتعريفات السوفيتية، وتشيع استعمالات ثوري وماركسي ـ لينيني -Marxist Leninst لوصف أحزاب شيوعية بديلة أو منشقة. في هذا التاريخ المعقد والحاد الجدل هناك استعمال ذو صعوبة معينة: ماركسي Marxist. تكاد تزعم كل الأحزاب والمجموعات الاشتراكية، بما فيها الأحزاب الشيوعية، أنها ماركسية Marxist رغم أنها في الغالب تنفي في الجدل هذه الصفة عن أحزاب أخرى منافسة مع أنها كلها تنضوي تحت نفس التصنيف العام. خارج الحركة الاشتراكية استعملت marxist أيضاً بشكل واسع؛ جزئيا كوصف شامل للأحزاب والمجموعات الاشتراكية والشيوعية والثورية المختلفة؛ جزئيا كطريقة لوصف اتجاهات وأعمال ثقافية ونظرية على وجه الخصوص، وذلك دونما معاني سياسية أو سياسية بشكل مباشر. (في هذا الاستعمال الأخير تكون ماركسي marxist تعبيرا مهذباً لشيوعي أو اشتراكي ثوري رغم أن المبدأ الماركسي لإقران النظرية والتطبيق يعطي انتشار استعمال marxist المعاصر شيئاً من الأهمية).

انظر: **SOCIALISM اشتراكية**

جماعة COMMUNITY

كانت كلمة community في اللغة الإنجليزية منذ القرن 14، من (س م) comuneté،

فرنسية قديمة، communitatem، لاتينية: اتحاد علاقات ومشاعر، من (س ب) communis، لاتينية: عام COMMON (ا م). توطدت في الانجليزية بمعاني متعددة : (1) العموم أو عامة الناس the common people أو the commons في تمييز لهم عن أصحاب المراتب (ق14 ـ ق17)؛ (2) دولة أو مجتمع منظم ـ في استعمالاتها اللاحقة كان هذا المعنى محدودا نسبيا (ق14 فما بعد)؛ (3) أهل منطقة (ق18 ـ)؛ (4) حالة ملكية مشتركة كما في اتحاد مصالح community of interests، جماعة مالكي سلع community of goods (ق 16 ـ)؛ (5) شعور بالهوية والخصال المشتركة (ق16 ـ). سنرى أن معاني (1) الى (3) تدل على مجموعات اجتماعية فعلية و(4) إلى (5) على طبيعة معينة لعلاقة كما في communitas. من (ق17) كانت هناك علامات على التمييز الذي أصبح هاما خصوصا من (ق19) والذي ظهر فيه أن جماعة community تدل على قرب ومباشرة أكثر من (مجتمع SOCIETY ا م)، رغم أنه يجب تذكر أن «مجتمع» نفسها كان لها هذا المفهوم المباشر حتى ق 18، وكذلك كانت في الأصل «مجتمع مدني civil society، (راجع CIVILIZATION)، مثلها مثل مجتمع وجماعة، محاولة لتمييز مجموعة العلاقات المباشرة عن المؤسسة المنظمة المتمثلة في مملكة realm أو دولة state. من ق 19 تطور مفهوم المباشرة أو المحلية في ظل المجتمعات الصناعية الأكبر والأكثر تعقيداً. كانت جماعة community هي الكلمة المحبذة عادة للتجارب في أي نوع بديل من الحياة المشتركة. لاتزال تستعمل كذلك وألحق بها، بمفهوم أكثر تحديدا، كميون commune (الفرنسية :commune أصغر الوحدات الإدارية، والألمانية Gemeinde: تقسيم مدني وكنسي. تفاعلت هاتان الكلمتان مع بعضهما ومع جماعة community وتسربت هذه الكلمات إلى الفكر الاشتراكي (خاصة commune) وإلى علم الاجتماع (خاصة Gemeinde) لتعبر عن أنواع معينة من العلاقات الاجتماعية). أضفى تونيز Tönnies في1887 بطرق فعالة شكلا رسميا على التعارض الذي تم الإفصاح عنه بشكل متزايد في ق 19، بين العلاقات الأكثر شمولية والأكثر مباشرة وبالتالي أكثر أهمية للجماعة، وبين العلاقات الأكثر رسمية والأكثر تجردا والأكثر نفعية للدولة state أو المجتمع society في مفهومها الجديد، ووسمه كتعارض بين Gemeinschaft وGesellschaft، ويستعمل هذان التعبيران اليوم أحيانا دون ترجمة في لغات أخرى. يتضح تمييز مشابه في استعمالات منتصف ق20 لجماعة community. في بعض الاستعمالات كان لها جانب جدلي، كما في سياسة الجماعة community politics التي تتميز ليس فقط عن السياسة الوطنية national politcs ولكن أيضاً عن السياسة المحلية local politcs الرسمية، والتي تتطلب

عادة أنواعاً مختلفة من العمل المباشر والتنظيم المحلي المباشر، «العمل مباشرة مع الناس»، وفي هذه الصيغة هي تختلف عن «خدمة الجماعة» service to the community التي لها مفهوم قديم كعمل طوعي يسند الدعم الرسمي أو الخدمة المأجورة.

هكذا يرتبط تعقيد community بالتفاعل المعقد بين نزعات تميزت أصلا في التطور التاريخي: من جانب، هناك مفهوم الاهتمام المشترك المباشر؛ ومن جانب آخر هناك تجسيد الأشكال المختلفة للتنظيم المشترك الذي قد يعبّر أو لا يعبر عن ذلك. قد تكون community كلمة مقنعة بشكل فعال لوصف مجموعة علاقات موجودة أو قد تكون كلمة مقنعة بشكل فعال لوصف مجموعة بديلة لتلك العلاقات. ربما الأكثر أهمية هو أنه، في مغايرة لكل تعابير التنظيم الاجتماعي (دولة، أمة nation، مجتمع ... إلخ)، يبدو أنها لا تستعمل أبداً بطريقة سلبية ولم يكن لها أبدا تعبير مقابل أو مميّز إيجابي.

انظر : CIVILIZATION حضارة، COMMON عام، COMMUNISM شيوعية، NATIONALIST قومي، SOCIETY مجتمع

إجماع CONSENSUS

دخلت consensus الإنجليزية في وسط ق19، في الأصل بمفهوم سيكولوجي ثم من ق 16 أصبح لها معنى محددا: (س م) consensus، لاتينية: اتفاق أو شعور مشترك: (س ب) con، لاتينية :سوياً، sentire: شعور. هكذا تستعمل في1861: «هناك علاقة عامة بين الأجزاء المختلفة في حضارة أمة؛ سمّها إن شئت اجماعاً consensus شريطة ألا يتسرب مفهوم مجموعة أعضاء بشرية إلى هذا التعبير». كانت consensual إجماعي أسبق، من وسط (ق 18)، في سياقيين خاصّين: قانوني (consensual contract) عقد بالتراضي في القانون الروماني؛ فسيولوجي: يرتبط بأفعال غير طوعية (سمباتية sympathetic) أو انعكاس لا إرادي للجهاز العصبي. تطورت consensus وتبعتها consensual باضطراد عن طريق التحول لتدل على اتفاق عام: «إجماع consensus المبشرين البروتستانت» (1861). هناك استعمالات ثانوية مساندة في صيغ أكثر تحديدا مثل consensus of evidence إجماع البينة، وهو من نفس الفترة.

شاعت الكلمة أكثر في (ق 20) وأصبحت منذ وسط القرن تعبيرا سياسيا مهما. في الغالب يتم بطريقة دقيقة تحوير الاستعمال العام، في مفهومه كاتفاق قائم في الرأي، عند تطبيقه في مجال السياسة. يمكن أن تعني « consensus politics سياسة الإجماع»، حسب

المعنى العام، سياسات يتم اتخاذها بناء على توافر جملة آراء متفق عليها. ويمكن أن تعني أيضا، وبالفعل عنت ذلك في الغالب، سياسة تجنب أو تهرب من اختلافات أو انقسامات الرأي في محاولة للاحتفاظ بالمركز أو احتلال الأرضية الوسطى. في الواقع، يختلف هذا كثيرا عن coalition تحالف (في الأساس، نمو متضافر للأجزاء، من ق 17؛ (س م) coalitionem، لاتينية من coalescere: نمو متضافر، وهو مفهوم لا يزال حاضرا في coalesce التئام، اندماج؛ لكن من ق 17، اتحاد أو تضافر الأجزاء، ومن ق 18 تضافر عن طريق الاتفاق المقصود وغالبا الرسمي). دلّ المفهوم السلبي لسياسة الإجماع consensus politics على التملّص المقصود من النزاعات التي تبنى على مبادئ أساسية، لكنه دل كذلك على العملية التي تقصى فيها بطريقة فعلية مواضيع معينة عن النقاش السياسي ـ ليس لوجود اتفاق عليها أو لأن تحالف الأطراف توصل إلى حل وسط، ولكن في التنافس على أرضية وسطى middle ground للاستيلاء عليها لا يوجد هناك حيز لمواضيع على قدر كبير من الأهمية (لأن هذه المواضيع بعيدة فعليا عن الحياة اليومية المألوفة ـ نائية أو أجنبية أو لأن أثرها طويل الأجل، أو لأنها لا تمس إلا الأقليات). إذن بينما تحتفظ consensus بمفهوم إيجابي عن الاتفاق العام فإنها اكتسبت أيضاً مفاهيم سلبية في التجنب اللامبالي والجائر لمواضيع أو مناقشات ضرورية. هي كلمة صعبة جداً في الاستعمال لأن نطاق مفهومها الفعلي يمتد من مفهوم ايجابي يدل على البحث عن اتفاق عام عبر مفهوم موافقة خاملة نسبيا أو حتى لاواعية UNCONSCIOUS (ا م) (قارن، رأى قويم محافظ orthodox opinion ومعرفة تقليدية conventional wisdom) إلى معنى نوع من السياسة الموجّهة «manipulative» التي تسعى إلى خلق أغلبية صامتة «silent majority» كمركز قوة يمكن كبت أو إقصاء أفكار أو حركات منشقة عنه. من اللافت أن تجذب كلمة في ظاهرها معتدلة مثل هذا الشعور العنيف، لكن يمكن أن تفسر ذلك تفسيراً واضحاً نسبياً عمليات سياسة الانتخابات الحديثة وسياسة الرأي العام «public opinion».

من الجدير بالملاحظة أن الكلمة تتم في الغالب تهجيتها الآن كالتالي «concensus» في مواضع مثيرة للدهشة، مثل كتابات بعض الذين يشكون عموما من عدم القدرة في الحاضر على التهجية الصحيحة. من الراجح أن هذا نشأ من ترابط الكلمة مع «census» إحصاء، ولو صح هذا الافتراض فإن ذلك لافت لأنه يدل على علاقة مألوفة الآن، إن لم تكن لاشعورية، تكمن في ممارسة إحصاء الآراء كما في استفتاءات أراء الجمهور. لكن هناك التباس منذ مدة طويلة بين الحرفين (s وc) في كلمات من هذا النوع (قارن البريطانية defence والأمريكية defense اللتين ترجعان إلى اختلافات تهجية من الانجليزية الوسطى).

تمت تهجية الكلمة consent نفسها في معظم الأحيان ك concent حتى ق 16.

انظر: CONVENTIONAL تقليدي

مستهلك CONSUMER

في الإنجليزية الحديثة الكلمتان consumer وconsumption استهلاك هما اسما الوصف السائدان في كل أنواع التعامل مع السلع والخدمات. هذا الانتشار مهم كونه يتعلق بنوع معين من النشاط الاقتصادي الذي ينشأ من طبيعة نظام اقتصادي معين كما يبين تاريخ الكلمة.

كانت consume يستهلك في الإنجليزية منذ ق 14، من (س م) consumer، فرنسية، والتهجية الأخرى consommer، فرنسية (لهذه الصيغ المختلفة تاريخ معقد لكن في النهاية مميز في الفرنسية)، (س ب) consumere، لاتينية: يستنفد، يلتهم، يتلف، يبدد. تقريبا في كل استعمالاتها الإنجليزية الأولى كان معنى consume سلبيا؛ عنت تدمير، استنفاد، إتلاف، استنزاف. لا يزال هذا المعنى حاضراً في consumed by fireأتلفته النار، وفي التسمية الشعبية للمرض الرئوي pulmonary phthisis: سل consumption. لاستعمالات consumer الأولى من ق 16 نفس معنى الدمار والتلف العام.

بدأت consumer من أواسط ق 18 تظهر كمفهوم حيادي في وصف الاقتصاد السياسي البرجوازي. في الهيمنة الجديدة لسوق منظم تم توا تعريف أعمال صنع واستعمال السلع والخدمات في ثنائية منتج producer ومستهلك consumer وإنتاج production واستهلاك consumption، ذات الطابع التجريدي باضطراد. لكن استمرت إيحاءات consumer السلبية على الأقل حتى أواخر ق 19، وفي الواقع لم تنتقل الكلمة حتى منتصف ق 20 من الاستعمال المحدد في الاقتصاد السياسي إلى الاستعمال الشعبي والعام. من هنا نلاحظ أفول customer زبون النسبي التي كانت مستعملة منذ ق 15 للدلالة على مشتر «buyer» و«purchaser»، حيث أنها أشارت دائما إلى قدر ما من العلاقة المنتظمة والمستمرة بالمموّن (supplier)، بينما توضح consumer الشكل الأكثر تجريداً في سوق أكثر تجريداً.

التطور الحديث أمريكي بشكل رئيسي لكنه انتشر بسرعة كبيرة. هيمنة التعبير كبيرة جدا لدرجة أن مجموعات مشترين ذوي معرفة وحصافة أنشأوا جمعيات مستهلكين Consumers' Associations). يرتبط التطور بشكل رئيسي بتنظيم الأسواق ومحاولة التحكم فيها، وهذا

يقع في صلب الإنتاج الرأسمالي (بما في ذلك الإنتاج الرأسمالي للدولة) الصناعي كبير الحجم حيث يرتبط التصنيع manufacture، خاصة منذ كساد أواخر ق 19، ليس فقط بتزويد الاحتياجات المعروفة (التي تصفها وصفاً مرض كلمة زبون consumer أو user مستعمل) وإنما أيضا بالتخطيط لأنواع وكميات إنتاج معينة تتطلب استثماراً كبيرا في مرحلة مبكرة وغالباً قراءة للمستقبل. يرتبط تطور الدعاية advertising (إقناع أو اقتحام وتغلغل في سوق) التجارية الحديثة إلى نفس المرحلة من الرأسمالية: خلق احتياجات ورغبات وطرق معينة لإشباعها في إضافة وتمييز لذلك عن الإشعار والإحاطة والتعريف notification بالمؤن المتوفرة الذي كان هو العمل الرئيسي السابق للدعاية (حيث يعتبر هذا النوع من الإقناع إطراء مسرفاً puff ومديحاً مبالغ فيه puffery). كتعبير مهيمن كانت consumer من اختراع مثل هؤلاء الصناع ووكلائهم. تعني الكلمة ضمنياً، والمفارقة هنا كما هو في المعاني السابقة، استنفاد ما سيتم إنتاجه رغم أنه أعطى، وقت توطد التعبير، مظهر الاستقلال (كما في العبارة اللافتة «اختيار المستهلك« consumer choice). من الملائم فيما يتعلق بتاريخ الكلمة أن نقد مجتمع مبذّر ومبدّد عبّر عنه في وقت لاحق الوصف consumer society مجتمع الاستهلاك. لكن هيمنة النموذج الرأسمالي كفلت انتشاره الواسع وغالباً الساحق إلى مجالات مثل السياسة والتعليم والصحة. في أي من هذه الحقول بالإضافة إلى المجال المعتاد في السلع والخدمات لا يزال استخدام user، مستعملا بدلا من consumer مستهلك، يعبر عن تميز ملائم.

انظر: WEALTH ثروة

تقليدي CONVENTIONAL

في الأصل عنت الكلمة conventional تقليدا اجتماعيا أو تجمعا، من (س م) convention، فرنسية، conventionem، لاتينية: اجتماع، (س ب) convenire، لاتينية: تجمع. استعملت كذلك في الانجليزية منذ ق 16 ولا تزال في الغالب تستعمل بهذا المعنى. هناك توسع طبيعي في الاستعمال يعني «اتفاق»، وهذا شائع في الانجليزية منذ ق 15.

ترتبط استعمالات convention الأكثر تعقيدا وبشكل أكبر استعمالات conventional بتوسع في معنى «اتفاق» إلى شيء يعنى ضمنيا «معتاد» أو «متفق عليه»، وبنوع آخر من التوسع خاصة في الأدب والفن إلى طريقة متفق عليها ضمنيا. يرجع التوسع إلى معنى «العادة» إلى أواخر ق 18. كان هذا مهما في الجدل السياسي حول الحقوق «rights» التي كانت للمفارقة تحدد في أماكن أخرى (الولايات المتحدة وفرنسا) بواسطة مواثيق

conventions. لكن الاستعمال الأكثر شيوعا كان في مواضيع التقاليد والسلوك وبرز في الحال مفهوم سلبي عنت فيه كلمة conventional مصطنع أو رسمي واستطراداً «مجرد محافظ»، old-fashioned عفي عليه الزمن. يمكن بسهولة من وسط ق 19 فصاعدا العثور على اعتراضات على conventional ideas أفكار بالية. معظم الاستعمالات المحددة المبكرة في الفن والأدب تأتي بنفس المفهوم كجانب من التفضيل الرومانسي ROMANTIC (ا م) المألوف للعفوية والابتداع. لكن يتضح أيضا منذ ق19 مفهوم أكثر تقنية تعتبر فيه جميع أنماط الفن محتوية تقاليد conventional جوهرية، غالبا ما تكون ضمنية، للمنهج والهدف، ومنذ ذلك الحين استمر هذا المفهوم مهما في النقاش المتخصص. تكاد تكون نسبة الرسمية التي كانت مهمة قد زالت تماما، إلا في هذا الاستعمال المحدد. في الاستعمال المعتاد تقابل convention اتفاق رسمي formal agreement، ويمكن استعمالها حياديا تماما. لكن الصفة conventional تقليدي تعطي عادة المفهوم السلبي. من ناحية أخرى، بعد اختراع القنابل الذرية والهيدروجينية، تعارضت (من 1950 تقريباً) بطريقة ايجابية «conventional weapons» أسلحة تقليدية مع «nuclear weapons» أسلحة نووية.

انظر: CONSENSUS إجماع

بلد/ريف COUNTRY

في الإنجليزية الحديثة هناك معنيان مختلفان لكلمة country: بشكل رئيسي أرض الوطن أو الأجزاء الريفية والزراعية منه. تاريخيا الكلمة لافتة جدا حيث إنها مشتقة من الصفة المؤنثة contrata، لاتينية وسيطة، (س ب) contra، لاتينية : ضد كما في عبارة «contra terra» التي تعني أرضا «تقع في المقابل، تجاه أو في مواجهة». في أول استعمال مستقل لها كانت تعني قطعة أرض تمتد أمام المشاهد. (قارن الاستعمال اللاحق «landskip»، ق 16، «landscape»، ق 18؛ في الإنجليزية القديمة landscipe بقعة أو قطعة أرض؛ تم تبنى الكلمة لاحقاً من landschap الهولندية كتعبير في الرسم.) دخلت «contrata» الإنجليزية عبر الكلمتين cuntrée وcontrée من الفرنسية القديمة. كان لها مفهوم أرض الوطن من ق13 والمساحات الريفية المتميزة من أواخر ق16. ترجم تينديل (Tyndale 1526) قسما من إنجيل مرقص (Marks 5:14) على أنه تم «ذكره في المدينة وفي الريف countre».

بدأ الاستعمال المتخصص الشائع لريف country كمضاد لمدينة city في أواخر ق

16 مع ازدياد التحضّر وخاصة نمو العاصمة لندن. في ذلك الحين تم تمييز التعبير country people أهل الريف و country house منزل أو مقر ريفي. من ناحية أخرى، كانت تريّف countryfied وcountry bumpkin عبيط من عامية (متروبول) حاضرة ق 17. في ق 19 أصبحت countryside، التي هي في الأصل تعبير اسكتلندي يدل على منطقة محددة، تعبيرا عاما لا يصف فقط المناطق الريفية وإنما جميع نواحي الحياة والاقتصاد الريفي .

في استعمالها العام بمعنى أرض الوطن للكلمة country (بلد) تداعيات أكثر ايجابية من أمة nation أو دولة state؛ قارن العبارة «يعمل شيئا من أجل الدولة» بـ «يعمل شيئاً من أجل الأمة» أو الدولة. في المعتاد تشمل country وطن الناس الذين يعيشون فيه، بينما أمة nation أكثر تجريداً، وتحمل state دولة مفهوم بنية السلطة. في الواقع يمكن لوطن country أن تحل محل شعب people في السياقات السياسية: قارن السيدة الانجليزية التي قالت في 1945 : «انتخبوا حكومة اشتراكية لكن country الوطن لن يؤيدها». في بعض الاستعمالات يتم بانتظام تمييز country وطن عن government حكومة : قارن «الرجوع للوطن country»: أي الدعوة لانتخابات. هناك أيضاً استعمال متروبولي محدد، كما في الخدمة البريدية، حيث تعتبر كل المناطق خارج العاصمة country ريف.

تحمل countryman معنيين أحدهما سياسي والآخر قروي لكن الأخير أقوى، ويتوسع الأول ليشمل التعبير fellow countryman، من أبناء الوطن.

انظر: **CITY مدينة، DIALECT لهجة، PEASANT فلاح، REGIONAL إقليمي.**

خلاق/إبداعي CREATIVE

في الإنجليزية الحديثة للكلمة creative معنى عام كأصيل ومبتدع ومعنى خاص إضافي هو منتج. تستعمل أيضا لتمييز أنواع معينة من العمل، كما في كتابة إبداعية writing creative والفنون الإبداعية the creative arts. من الجدير بالاهتمام تتبع الكيفية التي أصبحت تستعمل فيها هذه الكلمة العادية الآن والمدهشة عند تأملها، وارتباط ذلك ببعض صعوباتها الحالية.

دخلت creative الانجليزية من جذر اسم المفعول لكلمة (س ب) creare، لاتينية: يصنع أو ينتج. هذه الصلة الضمنية بمفهوم شيء تم عمله وبالتالي حدث ماض كان دقيقا لأن الكلمة استعملت في الأساس في السياق الدقيق للخلق الرباني الأول للعالم : للكلمتين Creation الخلق وcreative نفس الجذر. ضمن هذا التفكير الإيماني وكما أصر

أوغسطين، «creative non protest creare»: المخلوق the creature ـ الذي خُلق - لا يمكنه نفسه أن يخلق. ظل هذا التفكير حاسما حتى ق16 على الأقل، وتوسع الكلمة لتدل على صنع في الحاضر أو المستقبل ـ أي نوع من الصنع يقوم به الناس - هو جزء من التحول الفكري الرئيسي الذي نصفه الآن بإنسانية humanism عصر النهضة. كتب تورجواتو تاسو Torguato Tasso (95 ـ 1544): «هناك مبدعان creators: الله والشاعر». هذا المفهوم للإبداع الإنساني خاصة في الأعمال الخيالية، هو المصدر الحاسم للمعنى الحديث. في «دفاع عن الشعر Apologies for Poetrie» اعتبر فيليب سدني Sidney (86 ـ 1454) أن الله خلق الطبيعة لكن خلق أيضاً الإنسان في صورته معطيا إياه المقدرة «بقوة الروح الإلهية» أن يتخيل ويخلق أشياء سوى الطبيعة».

لكن استمر استعمال الكلمة صعبا بسبب السياق الأصلي. أشار دون Donne إلى الشعر كخلق زائف «counterfeit Creation» ولا يجب اعتبار counterfeit هنا بمعناها المتطرف كـ «زيف" وإنما يجب هنا تذكر مفهوم الفن القديم كمحاكاة imitation. لدى الكتاب اليزابيثيين Elizabethan عدة استعمالات ازدرائية لخلق creation ويخلق create:

Or art thou but	ما أنت إلا
A Dagger of the Mind, a false Creation	خنجر في العقل، مخلوق زائف
Proceeding from the heat-oppressed Brain. (Macbeth)	ينبع من مخ صهرته الحرارة
This is the very coinage of your Brain	ما هذا إلا اختلاق من ذهنك
This bodiless Creation extasie.	فالجنون جد بارع
Is very cunnying in. (Hamlet).	في تجسيد ما لا جسد له

Are you a God? Would you create me new — هل أنت إله؟ هل تعيد خلقي من جديد
(Comedy of Errors)

Translated thus from poor creature to a creator; for now must I Create intolerable sort of lies. *(Every Man in his Humour)*

حولت من مخلوق معدم إلى خالق؛ فالآن يجب أن أخلق (أختلق) كل أنواع الكذب الممجوج.

في الواقع كان التوسع الأوضح للكلمة «create» دونما ظلال سلبية إلى المنزلة الاجتماعية التي تمنح بسلطة الملك: «جلالة الملك جعله created دوقا» (1495)؛ «جعلتكم create أصدقاء لشخصي» (Cymbeline). لا يزال هذا ليس تماما خلقا إنسانيا.

لكن بحلول أواخر ق 17 انتشرت كل من «create» و«creation» بالمعنى الحديث

وخلال ق18 اكتسبت الكلمتان ارتباطا بالفن Art (ا م)، وكانت هذه الأخيرة نفسها كلمة تتحور في اتجاه متمم. ضمن هذه العلاقة تم سك كلمة creative خلاق/ إبداعي. وحيث أن الكلمة كما هو بين تدل على قدرة فإنه كان لا بد وأن تنتظر تقبل الناس عموما لخلق creation ويخلق create كأفعال بشرية دونما الرجوع بالضرورة إلى حدث إلهي سابق. بحلول 1815 استطاع وردزورث Wordsworth أن يكتب بثقة إلى الرسام : Hayden مهنتنا سامية، يا صديقي، الفن الإبداعي Creative art». هذا يرجعنا إلى الإشارة الخاصة الأولى التي صادفتها: «رفيق آلهة الفن، القوة الإبداعية Creative Power، الخيال Imagination Mallet، (1728). هناك استعمال اسبق (1678) للكلمة creative عند كدورث Cudworth وإن كان في جملة لم تزل تحمل جزئيا المعنى القديم : «هذه القدرة الإبداعية creative power الإلهية الخارقة». كان التطور الحاسم هو الارتباط المقصود ثم المألوف لخلاق creative مع فن art وفكر. بحلول أوائل ق 19 كان ذلك مقصودا وفعالاً. تبعت ذلك في ق 20 إبداع creativity، كاسم عام للقدرة.

بوضوح هذا تاريخ مهم جدا، وفي توكيده على المقدرة البشرية أصبح التعبير باضطراد أكثر أهمية لكن هناك صعوبات واضحة. تضع الكلمة تركيزاً ضرورياً على الأصالة والتجديد وعندما نتذكر التاريخ يمكننا أن نلاحظ أن هذه ليست ادعاءات تافهة. في الواقع نحاول أن نوضح ذلك عن طريق التمييز بين innovation تجديد و novelty جدة، رغم أن للأخيرة معنيين، أحدهما تافه والآخر جاد. تنشأ الصعوبة عندما يقصد من كلمة أن تجسد فكرا جادا وساميا لكنها تصبح تقليدية جدا، كصفة لأنواع معينة من النشاط، لدرجة أنها تستعمل لممارسات لا يمكن لأحد في غياب هذا التقليد أن يدعى لها مثل هذا الادعاء. هكذا يمكن تسمية عمل أدبي مقلّد أو نمطي، حسب التقليد، كتابة إبداعية creative writing، ويصف كتاب الإعلانات أنفسهم رسميا كمبدعين creative. مع وجود عناصر كبيرة من عملية بسيطة لإعادة الإنتاج الايدولوجية والمهيمنة IDEOLOGICAL وHEGOMONIC (ا م م) في معظم الأعمال الفنية المكتوبة والمرئية فإن وصف كل شيء من هذا النوع بأنه خلاق creative يمكن أن يكون مشوشا وفي بعض الأحيان مضللا تماما. إضافة إلى ذلك حين تصبح creative كلمة نفاق مبتذلة يكون من الصعب التفكير بوضوح عن التركيز الذي قصد من الكلمة أن ترسخه: ما يصنعه الإنسان ويبتدعه. لا يمكن عزل هذه الصعوبة عن الصعوبة المرتبطة بمعاني imagination خيال التي يمكن أن تتجه نحو حلم dreaming وفنتازيا fantasy دونما صلة ضرورية بالممارسات المحددة التي تسمى «فنون خيالية» imaginative أو إبداعية creative أو، من ناحية أخرى، نحو extension بسط وانطلاق،

innovation تجديد و foresight بصيرة التي ليس لها فقط آثار ونتائج عملية وإنما يمكن أن تكون أيضا ملموسة في بعض النشاطات والأعمال الإبداعية. تكون الصعوبة واضحة بشكل خاص عندما تتوسع creative لتشمل، بطريقة صحيحة حسب التطور التاريخي، نشاطات في الفكر واللغة والممارسة الاجتماعية لا يكون فيها معنى imagination خيال المحدد تعبيراً مناسباً. مع ذلك فإن مثل هذه الصعوبات محتومة عندما ندرك حجم وتعقيد تفسير نشاط الإنسان الذي تجسده الآن بطريقة لا بديل لها كلمة creative.

انظر: **ART فن، IMAGE صورة، FICTION عمل خيالي**

نقد CRTICISM

أصبحت criticism كلمة صعبة جدا لأنه بالرغم من أن معناها العام هو تصيد الأخطاء إلا أن لها مفهوما ضمنيا كحكم، ومعنى مشوشا جدا فيما يتعلق بالفن والأدب يعتمد على افتراضات قد تكون الآن في طور التفكك. دخلت الكلمة الإنجليزية في أوائل ق 17 من critic ناقد وcritical نقدي/ حاسم، منتصف ق 16، (س م) criticus لاتينية، kritikos يونانية، من (س ب) krités يونانية: قاض. كان معناها السائد السابق ترصد الأخطاء: «قف عند العلامة .. criticisme. لتتلقى التصويبات» (Dekker، 1607). كذلك استعملت في التعليق على الأدب وخصوصاً من أواخر ق17 كمفهوم لعملية الحكم على الأدب وكذلك الكتابة التي جسدت هذه العملية. إن الأكثر إثارة للاهتمام هو أن المعنى العام كترصد أخطاء أو على الأقل تقييم سلبي استمر كمفهوم رئيسي. أدى ذلك إلى اختيار appreciation تذوق، ككلمة ألطف لتقييم الأدب. لكن المهم في تطور criticism وcritic وcritical هو افتراض الحكم كاستجابة سائدة بل حتى طبيعية. (هناك استعمال آخر محدد لكنه مهم ومستمر للكلمة critical لا يصف الحكم لكنه يدل، بناء على استعمال محدد في الطب، على نقطة تحول؛ ومن ثم حاسم. بالطبع توسعت الكلمة القريبة crisis أزمة لتشمل أية صعوبة، بالإضافة إلى معناها كنقطة تحول.)

بينما تطورت criticism في مفهومها العام نحو censure لوم/استهجان (التي اكتسبت نفسها من ق17 معنى معاديا بدلا من حيادي) تطورت criticism في معناها المحدد نحو TASTE ذوق (ا م) و cultivationتهذيب، وفيما بعد CULTURE ثقافة (ا م) وتمييز discrimination (وهذه نفسها كلمة منفصمة بمعنى ايجابي للتنظيم الجيد أو الحكم المبني على معرفة، لكن أيضاً بمعنى سلبي للغاية للعزل غير العقلاني أو المعاملة الجائرة لمجموعة غيرية ـ قارن RACIAL عرقي). من الصعب جداً فهم التشكيل الذي كان خلف

التطور العام لأنه استولى بشدة على عقولنا. في المرحلة الأولى كان المعنى متعلقا بقدرة مكتسبة أو مبنية على معرفة. لاتزال تحاول في الغالب الاحتفاظ بهذا المعنى. لكن اعتمد تطورها الحاسم من منتصف ق17 على عزل تلقي الانطباعات : قد يجوز القول الآن أن القارئ مستهلك CONSUMER (ا م) لسلسة من الأعمال. اعتمد تعميمها ضمن مهنة وطبقة معينة على افتراضات أحسن ممثل لها هو taste ذوق وcultivation تهذيب: نوع من التطور الاجتماعي والاستجابات الشخصية يصل إلى الدرجة التي يمكن فيها تقديم هذه الانطباعات والاستجابات على أنها STANDARDS (ا م) معايير الحكم. يبدو أن هذا الاستعمال استقر بحلول زمن كتاب Elements of Criticism : Kames (1762). بالطبع اعتمدت فكرة كون الاستجابة تقييما على الثقة الاجتماعية لطبقة وفيما بعد لمهنة. تحددت الثقة بطرق مختلفة: في الأصل كتعلم learning أو بحث وفيما بعد كتهذيب وذوق وبعد ذلك كحساسية SENSIBILITY (ا م). تحطمت أنواع من هذه الثقة في مراحل معينة وبشكل خاص في ق 20 كانت هناك محاولات لاستبدالها بطرق بحث موضوعية objective (قارن SUBJECTIVE)، مقدمة بذلك نوعا آخر من ركائز التقييم. ما لم يوضع موضع المساءلة هو افتراض «الحكم الموثوق authoritative judgment». بالطبع تم الاعتراض باستمرار على زعمها بالسلطة، واكتسبت ناقد critic في أكثر صيغها الشائعة لهذا المفهوم المحدد ـ كمراجع reviewer مسرحيات، أفلام، كتب ... الخ ـ معنى ملتبساً يمكن إدراك أسبابه. لكن هذا لا يمكن حسمه بالتمييز بين منزلتي ناقد critic ومراجع reviewr. ليس موضوع النقاش مجرد الارتباط بين criticism وترصد الأخطاء وإنما أيضا الارتباط الأكثر التصاقا بين criticism والحكم «الموثوق»، واعتبار هذه الارتباطات وكأنها عمليات عامة وطبيعية. أصبحت criticism أيديولوجية كتعبير للتعميم الاجتماعي أو المهني لعمليات التلقي لأي نوع من الاتصال COMMUNICATION (ا م)، لكن خاصة للأنواع الرسمية جداً، ليس فقط عندما تأخذ دور المستهلك consumer ولكن أيضا عندما تحجب هذا الدور عن طريق سلسلة من تجريدات لعبارة الاستجابة الفعلية (مثل حكم، ذوق، تهذيب، تمييز، حساسية؛ نزيه، كفؤ، صارم ... الخ). إن معنى نقد criticism كترصد للأخطاء هو المؤثر اللغوي الأكثر إفادة ضد وثوقية هذه العادة، لكن هناك أيضا علامات، من خلال رفض criticism من حين لآخر كتعريف للاستجابة المقصودة، على رفض أكثر أهمية للعادة نفسها. الهدف يكون إذن ليس الحصول على تعبير آخر يحل محلها بينما يستمر نفس النشاط ولكن التخلص من العادة التي تعتمد في الأساس على تجريد الاستجابة من وضعها وظروفها الفعلية: الارتفاع إلى «حكم» وإلى عملية في ظاهرها عامة في الوقت الذي ما

يتوجب إدراكه هو خصوصية الاستجابة التي هي ليست «حكما مجردا» بل حتى عندما تشتمل، كما هو ضروري في الغالب، استجابات ايجابية أو سلبية فإنها لا تزال ممارسة محددة في علاقات فعالة ومعقدة مع الوضع والمحيط ككل.

انظر: AESTHETIC جمالية، CONSUMER مستهلك، SENSIBILITY حساسية، TASTE ذوق

ثقافة CULTURE

هذه كلمة من اثنين أو ثلاث كلمات هي الأعقد في اللغة الإنجليزية. يرجع ذلك جزئيا إلى تطورها في التاريخ الشائك في عدة لغات أوربية لكن السبب الرئيسي هو أنها أصبحت تستعمل لمفاهيم هامة في مجالات ثقافية عديدة وفي نظم تفكير مختلفة بل حتى متضاربة.

الكلمة السابقة مباشرة لها (س م) هي cultura، لاتينية، من (س ب) colere، لاتينية. كان لهذه الأخيرة عدد من المعاني: يسكن، يهذب، يحمي، يقدّر لدرجة العبادة. في النهاية استقل بعض هذه المعاني في الأسماء المشتقة لكن مع تداخل من حين لآخر. هكذا تطورت يسكن inhabit عبر colonus، لاتينية، إلى colony، مستعمرة. تطورت «يقدّر لدرجة العبادة» عبر cultus، لاتينية إلى cult، جماعة المعجبين. اكتسبت culture معنى رئيسيا هو حراثة / رعاية أو عناية بما في ذلك كما لدى شيشرون cultura animi، لكن مع معاني ثانوية قروسطية متعلقة بالعبادة والاحترام (قارن culture في الإنجليزية «كعبادة» عند Caxton (1483). كانت الصيغتان الفرنسيتان للكلمة cultura هي couture، فرنسية قديمة، التي طوّرت منذ ذلك الحين معنى خاصا، وفيما بعد culture التي بحلول أوائل ق15 عبرت إلى الإنجليزية. كان المعنى الرئيسي إذن في رعاية الحيوان والنبات والعناية بالنمو الطبيعي.

في جميع استعمالاتها الأولى كانت culture اسم عملية: العناية بشيء ما وبشكل أساسي محصولات وحيوانات. انتقل الاسم الثانوي coulter شفرة المحراث عبر طريق لغوي مختلف، من culter، لاتينية : شفرة محراث إلى culter، إنجليزية قديمة ثم إلى تهجيات إنجليزية مختلفة : culter، colter، coulter وحتى وقت متأخر في أوائل ق17 - culter - شفرة محراث حارقة hot burning culture وردت في مسرحية Webster: Duchess of Malfi III,ii. قدمت هذه قاعدة إضافية للمرحلة التالية المهمة للمعنى وذلك عن طريق المجاز. من أوائل ق16 توسع مفهوم العناية بالنمو الطبيعي ليشمل عملية التطور

البشري وكان هذا، بمحاذاة المعنى الأساسي في رعاية النباتات والحيوانات، هو المعنى الرئيسي حتى أواخر ق18 وأوائل ق19. هكذا كتب مور More: لرعاية وفائدة عقولهم «to the culture and profit of their minds» وبيكون Bacon: رعاية وإخصاب العقول «a culture and manurance of minds» (1605) وهوبز Hobbes: رعاية عقولهم «culture of their minds» (1651)، وجونسون Johnson: أهملت العناية بإدراكها she neglected the culture of her understanding (1759). عند نقاط مختلفة في هذا التطور حدث تحولان حاسمان: أولا، جعل قدر من التعّود على الاستعارة مفهوم الرعاية البشرية مباشرا. ثانيا، توسع عمليات معينة إلى عملية عامة مما مكن الكلمة من حملها بطريقة مجردة. بدأ بالطبع من هذا التطور الأخير الاسم المستقل culture تاريخه الحديث المعقد، لكن عملية التحوّل صعبة جدا والمعاني الكامنة في أحيان متشابهة جدا لدرجة أنه لا يمكن وضع أي تاريخ محدد لتلك البداية. لم تكن culture كاسم مستقل وعملية مجرّدة أو نتيجة مثل هذه العملية مهمة قبل أواخر ق18 ولم تصبح منتشرة قبل منتصف ق19. لكن مراحل هذا التطور المبكر لم تكن مفاجئة. هناك استعمال لافت عند ملتون، في الطبعة الثانية (المعدلة) لمنشوره (1660) The Readie and Easie Way to Establish a Free Commonwealth «انشر معرفة وكياسة أكثر، ليس هذا فحسب بل ديناً كذلك عبر كل أجزاء البلاد عن طريق إيصال حرارة الحكومة والثقافة الطبيعية بطريقة عادلة لكل الأطراف القاصية التي تقبع الآن مهملة ومتبلدة». يبدو هنا أن المعنى المجازي «حرارة طبيعية» لا يزال حاضرا ولاتزال كياسة civility (قارن حضارة CIVILIZATION) تستعمل بينما في ق19 نتوقع مكانها في العادة «ثقافة» culture. لكن يمكن أيضا قراءة «حكومة» و«ثقافة» بمفهوم حديث جدا. من فحوى نقاشه يكتب ملتون عن عملية اجتماعية عامة وهذه بالتأكيد مرحلة من التطور. في ق18 اكتسبت هذه العملية العامة في إنجلترا ارتباطاً طبقياً واضحاً رغم أن تهذيب cultivation ومهذب cultivated كانتا تستعملان بشكل واسع. لكن هناك خطاب من 1730 (قسيس Killala إلى Mrs Clayton أورده Plumb في England in the Eighteenth Century فيه هذا المفهوم الواضح: «لم يكن من المعتاد لأشخاص من محتد كريم أو ثقافة أن يهيؤا أطفالهم للكنيسة». كتب أكنسايد Akenside سنة1744 Pleasures of Imagination«. . . لا الحالة الأرجوانية (أي الكنيسة) ولا الثقافة يمكن أن تمنحه». كتب وردزورث: «حيث لم تكن معروفة أبدا لا الرشاقة ولا الثقافة» (1805)، وكتبت جين اوستن (Emma، 1816) «كل ميزة من ميزات التهذيب والثقافة».

هكذا واضح أن culture كانت تتطور في الإنجليزية نحو بعض معانيها الحديثة قبل

الآثار الحاسمة لحركة ثقافية واجتماعية جديدة. لكن لمتابعة هذا التطور خلال هذه الحركة حتى أواخر ق 18 وأوائل ق 19 يجب اعتبار التطورات في لغات أخرى وفي الألمانية على وجه الخصوص.

حتى ق 18 كانت culture في الفرنسية دائما مصحوبة بصيغة نحوية توضح موضوع التهذيب، كما لوحظ توّا في الاستعمال الإنجليزي. يرجع استعمالها من حين لاخر كاسم مستقل إلى منتصف ق 18، متأخرا نوعا ما عن الاستعمالات المشابهة في الإنجليزية. كذلك يظهر في وسط ق 18 الاسم المستقل civilization حضارة، وصلته بثقافة culture معقدة جدا. (قارن CIVILIZATION والنقاش الذي يلي هنا.) عند هذه النقطة كان هناك تطور مهم في الألمانية: استعيرت الكلمة من الفرنسية وتهجيتها في البداية (أواخر ق18) هي CULTUR ومن ق19 KULTUR. مازال استعمالها كمرادفة لحضارة: أولاً، في المفهوم المجرد لعملية صيرورة الإنسان متحضراً «civlized» أو مهذبا «cultivated»؛ ثانياً، في المفهوم الذي تم ترسيخه لحضارة civilization من قبل مؤرخي عصر الأنوار، في صيغة ق 18 الشعبية للتواريخ الشاملة كوصف للعملية العلمانية للتطور البشري. ثم كان هناك تطور حاسم في استعمال هيردر Herder. في كتابه الذي لم يكتمل Ideas on the Philosophy of the History of Mankind (91 ـ 1784) كتب عن ثقافة culture: «لا شيء أكثر غموضا من هذه الكلمة ولا شيء أكثر تضليلا من استعمالها لكل الأمم والفترات». هاجم فرضية التواريخ الشاملة في قولها بأن «حضارة civilization» أو ثقافة ـ culture - التطور الذاتي التاريخي للبشرية ـ كانت ما نسميه الآن عملية أحادية الاتجاه تؤدي إلى الموقع السامي والمهيمن الذي يتمثل في ثقافة أوروبا في ق 18. في الحقيقة هاجم ما أسماه هيمنة واستعبادا أوربيا للعالم، وكتب: «يا رجال المعمورة الذين هلكوا عبر العصور لم تعيشوا فقط لتخصبوا الأرض برماد كم حتى تجبر ذريتكم في نهاية الزمن على أن تكون سعيدة بالثقافة الأوربية. مجرد فكرة ثقافة أوربية متفوقة هي إهانة سمجة لعظمة الطبيعة». جادل بأنه من الضروري، وكان هذا تجديد حاسم، التحدث عن ثقافات «cultures» بصيغة الجمع: ثقافات معينة ومتغيرة لأمم وفترات مختلفة، لكن أيضا ثقافات معينة ومتغيرة لفئات اجتماعية واقتصادية ضمن الأمة الواحدة. تطور هذا المفهوم بشكل واسع في الحركة الرومانسية كبديل لحضارة civilization المهيمنة والمألوفة. استعملت أولا لتأكيد الثقافات الوطنية والتقليدية بما في ذلك المفهوم الجديد «folkculture» (قارن Folk) ثقافة الفولك/الشعب. استعملت لاحقا لمهاجمة ما اعتبر طبيعية ميكانيكية MECHANICAL (ا م) للحضارة الجديدة التي هي في طور الظهور: لعقلانيتها التجريدية

ولعدم «إنسانية» التطور الصناعي الحالي. استعملت للتمييز بين التطور«الإنساني» و«المادي». سياسيا تأرجحت، كما هو الحال غالبا في هذه الفترة، بين الاشتراكية والرجعية وغالبا مادمجت، في خضم التغيير الاجتماعي الكبير، عناصر من الإثنين. (رغم أن هذا يضيف إلى التعقيد الفعلي، فإنه يجب كذلك ملاحظة أن نفس النوع من التمييز خاصة بين تطور «روحاني spiritual» ومادي «material» قام به von Humboldt وآخرون في وقت متأخر ـ 1900 ـ مع عكس للتعبيرين حيث أصبحت ثقافة مادية وحضارة روحانية. لكن بشكل عام كان التمييز الأصلي هو السائد.)

من ناحية أخرى كانت Kultur، من أربعينيات ق19 في ألمانيا، تستعمل إلى حد كبير بنفس مفهوم civilization الذي كان يستعمل في التواريخ الشاملة في ق 18. كان التجديد الحاسم هو كتاب G.F.Klemm كلم Allgemeine Kulturgeschichte der Menscheit: «التاريخ الثقافي للبشرية» (1843 ـ 52) الذي تتبع التطور الانساني من الهمجية إلى التمدن ثم الحرية. رغم أن الأنثروبولوجي الأمريكي مورجان Morgan في تعقبه المراحل المشابهة استعمل «المجتمع القديم» الذي يبلغ أوجه في civilzation حضارة، فإن مفهوم كلم استمر وتبعه في الإنجليزية مباشرة تايلور Tylor في Primitive Culture (1870). من خلال هذه السلسلة من الإسناد يجب تتبع المفهوم السائد في العلوم الاجتماعية الحديثة .

عندئذ يمكن تقدير التطور الحديث للكلمة واستعمالها الحديث. بسهولة يمكننا تمييز المعنى الذي يعتمد على الاستمرار الحرفي للعملية الطبيعية كما هو الآن في «حراثة الشمندر«culture sugar-beet» أو كما في الاستعمال الطبيعي المتخصص في علم البكتيريا منذ ثمانينات ق 19، مزرعة ميكروب (germ culture). لكن حينما نتخطى العلاقة الطبيعية علينا أن ندرك ثلاثة أصناف عريضة من الاستعمال:(1) الاسم المستقل والمجرد الذي يصف عملية عامة للتطور الثقافي والروحي والجمالي، من ق18؛ (2) الاسم المستقل، سواء استعمل بشكل عام أو محدد، الدال على طريقة حياة معينة سواء لشعب أو لحقبة أو لمجموعة أو للبشرية ككل، من هردر وكلم. لكن يجب علينا أيضا إدراك (3) الاسم المستقل والمجرد الذي يصف أعمال وممارسات النشاط الفكري والفني وخاصة الأخيرة. يبدو أن هذا (3) في الغالب هو الاستعمال الأكثر انتشاراً: الثقافة هي الموسيقى، الأدب، الرسم، النحت، المسرح والسينما. تشير «وزارة الثقافة» إلى هذه النشاطات التي تشمل أحيانا الفلسفة والمعرفة scholarship والتاريخ. هذا الاستعمال الأخير (3) في الحقيقة جاء متأخراً نسبياً. من الصعب تأريخه بدقة لأنه في الأصل أحد الاستعمالات التطبيقية

لمعنى(1) : استعملت بطريقة فعالة ونقلت فكرة عملية عامة للتطور الثقافي والروحي والجمالي إلى أعمال وممارسات تمثلها وتدعمها. لكن أيضا تطورت من معنى أسبق للعملية. قارن ثقافة الفنون الجميلة التقدمية «progressive culture of fine art» عند Millar ميللر (Historical View of English Government، iv، 314، 1812). في الإنجليزية لا يزال معنيا (1) و(2) متشابهين؛ ولا يمكن تمييزهما أحيانا، لأسباب داخلية، كما عند آرنولد Culture and Anarchy (Arnold 1867)، بينما قدم تايلر Tylor بطريقة حاسمة معنى (3) في كتابه Primitive Culture مقتفياً أثر كلم. أتى التطور الحاسم لمعنى(3) في الإنجليزية في أواخر ق19 وأوائل ق20 .

في مواجهة هذا التاريخ المعقد والذي لا يزال نشطا للكلمة فإنه من السهل القيام باختيار مفهوم واحد «صحيح» أو «ملائم» أو «علمي» ورفض المفاهيم الأخرى على أنها مشوشة وغير دقيقة. هناك دليل على هذا الاختيار حتى في الدراسة المتميزة التي قام بها Kroeber كروبر وKluckhon كلكهون: Culture: A Critical Review of Concepts and Definitions، حيث يعطى فعلياً الاستعمال في أنثروبولوجيا شمال أمريكا كمعيار. من البين أنه ضمن أي حقل لابد من إيضاح الاستعمال المفهومي. لكن المهم عموما هو نطاق المعاني وتداخلها. يوضح تعقيد المفاهيم جدلاً معقداً حول العلاقة بين التطور البشري العام وطريقة حياة معينة وبين كل منهما وأعمال وممارسات الفن والفكر. من اللافت بشكل خاص أنه في الأركيولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية تعني الإشارة إلى ثقافة culture أو a culture ثقافة ما (ثقافة مادية)، بينما في التاريخ والدراسات الثقافية تكون الإشارة بشكل رئيسي إلى نظم رمزية أو دلالية. كثيراً ما يشوش هذا بل حتى كثيرا ما يحجب السؤال الرئيسي عن العلاقة بين الإنتاج«المادي» «material» أو الرمزي «symbolic» الذي يجب أن يتّصلا دائما، كما في بعض الكتابات الحديثة (قارن كتاب المؤلف Culture)، بدلا من أن يتضادا. ضمن هذا الجدل المعقد هناك مواقف متعارضة بشكل جذري بالإضافة إلى مواقف فعليا متداخلة؛ كذلك هناك، كما يمكن تقديره، أسئلة كثيرة لم تحل وأجوبة مشوشة. لكن لا يمكن حل هذه الأسئلة والجدل عن طريق تخفيف حدة تعقيد الاستعمال الفعلي. هذه الملاحظة ملائمة كذلك بالنسبة لاستعمالات صيغ من الكلمة في لغات أخرى غير الإنجليزية حيث هناك تفاوتات كبيرة. يشيع الاستعمال الأنثروبولجي في مجموعات اللغات الألمانية والاسكندينافية والسلافونية، لكنه بالتأكيد ثانوي بالنسبة لمفاهيم الفن والمعرفة أو العملية العامة للتطور البشرى في الإيطالية والفرنسية. بين اللغات كما هو ضمن اللغة الواحدة يبرز نطاق وتعقيد المعنى والإسناد اختلافا في الموقع الفكري وبعض الضبابية

أو التداخل. بالضرورة تنطوي هذه التفاوتات، أيا كان نوعها، على آراء بديلة للنشاطات والعلاقات والعمليات التي تدل عليها هذه الكلمة المعقدة. بعبارة أخرى، في النهاية التعقيد ليس في الكلمة ولكن في المشاكل التي تدل عليها بشكل ذا مغزى تفاوتات استعمالها.

من الضروري أيضا اعتبار بعض الكلمات المشتقة والقريبة. مرت كل منcultization وcultivated عبر نفس التوسع المجازي من مفهوم طبيعي إلى مفهوم اجتماعي وتعليمي في ق17 وأصبحتا كلمتين هامتين بشكل خاص في ق18. كتب كولريدج في تمييز كلاسيكي معبر عن فترة أوائل ق19 بين حضارة وثقافة (1830): «التمييز الدائم والتعارض الظرفي بين cultivation تهذيب وحضارة civilization». اندثر فعليا الإسم في هذا المفهوم لكن الصفة cultivated ما زالت شائعة جدا خاصة بالنسبة للسلوك والأذواق. يبدو أن الصفة المهمة cultural ثقافي، التي ترجع إلى سبعينات ق 19، لم تصبح سائدة إلا في تسعينات ذلك القرن. لم تكن الكلمة موجودة في مفهومها الحديث إلا عندما أصبح الاسم المستقل بمعانيه الفنية والفكرية والأنثروبولوجية مألوفا. يبدو أن العداء للكلمة culture في الإنجليزية يرجع إلى فترة الجدل حول آراء آرنولد. اشتدت قوته في أواخر ق19 وأوائل ق20 بالتعاضد مع عداء مشابه ضد aesthete (محبّ أو مدّعي الفن) و AESTHETIC جمالي (ا م). أنتج ارتباطها بالتمييز الطبقي الكلمة المقلّدة «culchah» نطق متهكم للكلمة الإنجليزية ثقافة. كذلك كان هناك مجال عداء مرتبط بالشعور المناوئ لألمانيا خلال وبعد حرب 1914 ـ 1918، مرتبط بالدعاية المبالغة عن «Kultur». استمر المجال الرئيسي للعداء وتؤكد أحد عناصره العبارة الأمريكية الحديثة [«culture-vulture» نهاش الثقافة، متلهف لبديق الثقافة]. إنه لذو دلالة أن كل العداء تقريباً (مع الاستثناء الوحيد فيما يتعلق بالشعور المعاصر المعارض لألمانيا) ارتبط باستعمالات تتصل بادعاءات معرفة أسمي (قارن INTELLECTUAL فكري)، أو (صقل culchah)، أو تمييز بين فن «سام» «high (culture)» من ناحية وترفيه وفن شعبي من الناحية الأخرى. هكذا تسجل الكلمة تاريخا اجتماعيا فعليا ومرحلة صعبة جدا ومشوشة في التطور الثقافي والاجتماعي .

من اللافت أن الاستعمال الاجتماعي والأنثروبولجي المتزايد لكل من culture وcultural وصيغ مثل sub-culture ثقافة أقلية (ثقافة مجموعة صغيرة مختلفة) إما تجاهل أو بطريقة فعلية قلّص، عدا في مجالات معينة (بطريقة ملحوظة الترفيه الشعبي)، العداء وعدم الارتياح المصاحب والارتباك. يحتفظ الاستعمال الحديث للكلمة culturalism (ثقافية) للدلالة على تعارض منهجي مع بنيوية structuralism في التحليل الاجتماعي بكثير من الصعوبات السابقة ولا يتجنب دائما العداء .

انـظـر : AESTHETIC جـمـالـي، ANTHEOPOLOGY أنـثـروبـولـجـيـا، ART فـن، CIVILGATION حضارة، FOLK شعب، DEVELOPMENTتطور، SCIENCE علم، WESTERN غربي

ديمقراطية DEMOCRACY

هذه كلمة قديمة لكن معانيها كانت دائما معقدة. دخلت الانجليزية في ق 16 من (س م) démocratie، فرنسية، democratia، لاتينية وسيطة: ترجمة للكلمة democratia، يونانية، من (س ب) demos، شعب، kratos، حكم. في 1531 عرفها إليوت Elyot في إشارة خاصة إلى المثال اليونانى: «مجتمع عام آخر كان بين الأثينيين حيث مساواة الوضع بين الناس ... سميت طريقة الحكم هذه في اليونانية ديمقراطية Democratia وفي اللاتينية حكم عام Popularis potentia وفي الإنجليزية حكم شعبي «rule of the comminaltie». واضح مباشرة من الاستعمالات اليونانية أن كل شئ يعتمد على المعاني المعطاة لناس people وحكم rule. تتفاوت الأمثلة السابقة سواء مشكوكة الأصل أو معروفة المصدر من طاعة «القانون ولا حاكم سواه» (صولون؟ ?Solon) إلى «من الشعب، بالشعب، للشعب (كليون؟ ?Cleon). تقارن أمثلة أحدث بين «غطرسة الطاغية» و«وقاحة العامة الجامحة» (اقتبسها هيرودوتس) أو تعرّف الحكومة بأنها ديمقراطية «لأن إدارتها في أيدي الأكثرية وليس الأقلية»؛ كذلك «كل ما يعارض السلطة المستبدة يسمى ديمقراطية (أوردها ثيوسيددس Thucydides). كتب أرسطو (الشعر، ج4) : «الديمقراطية هي وضع يمنح فيه الأحرار والفقراء الذين لهم الأغلبية السلطة في الدولة». لكن الكثير هنا يعتمد على معنى «منحت لهم السلطة»: عما إذا كانت سيادة مطلقة أو، في الطرف الآخر، الحكم الفعلي الذي لا مشاركة فيه. قال أفلاطون على لسان سقراط (في الجمهورية، ج 8) إن «الديمقراطية تنشأ بعدما يدحر الفقراء خصومهم، يقتلون وينفون البعض، بينما في الوقت نفسه يمنحون المتبقيين قدرا مساويا من الحرية والسلطة».

هذا النطاق من الاستعمالات القريبة من أصول التعبير يجعل من المتعذر صياغة أية اشتقاقات بسيطة. لكن يمكن القول حالا إن عددا من هذه الاستعمالات ـ خاصة تلك التي تشير إلى حكم طبقة شعبية - بعيد عن أي تعريف«غربي» WESTERN (ا م) مألوف للديمقراطية. في الواقع ما يجب تتبعه هو ظهور هذا التعريف التقليدي، الذي له غموضه أيضا. في الغالب ما يتم الآن هو تقفي «ديمقراطية» إلى سوابقها القروسطية وتعطى مرجعية يونانية. لكن الحقيقة هي أنه في الوثائق التي لدينا كانت الكلمة «ديمقراطية»، مع استثناءات

ظرفية، تعبيرا سلبيا للغاية حتى ق 19 وأنه فقط من أواخر ق 19 وأوائل ق 20 توحدت الأحزاب والأهواء السياسية في إعلان الإيمان بها. هذه هي أهم الحقائق التاريخية اللافتة .

عرّف توماس الأكويني Aquainas الديمقراطية بالسلطة الشعبية حيث حكم - اضطهد - الناس العاديون بسبب كثرة عددهم الأغنياء، فعل الناس مجتمعين فعل طاغية. ظل هذا المفهوم الطبقي القوي مهيمنا حتى أواخر ق 18 وأوائل ق 19 واستمر فعالا في النقاش حتى منتصف ق 19. هكذا نجد «الديمقراطية هي عندما تكون الحكومة للعامة»، فلمنج Fleming (1576) (للمفهوم الطبقي لحشد multitude انظر MASSES)؛ «الديمقراطية هي حيث يكون الرجال الأحرار والفقراء الذين هم أكثر عددا سادة الأرض، (1586)؛ «الديمقراطية ليست سوى سلطة العامة»، فِلْمر Filmer في Patriarcha) (1680). أضيف إلى هذا التعريف لـ«ناس» people كعامة multitude مفهوم عام للنوع الناجم عن هذا الحكم rule: الديمقراطية هي الدولة التي كان للكل فيها الحق في الحكم وبالفعل حكموا؛ تمت معارضتها (كما فعل سبينوزا Spinoza، مثلا) مع دولة يكون فيها الحكم من قبل ممثلين، بمن فيهم المنتخبين. بهذا المعنى فهِم الدستور السياسي الأول تعبير ديمقراطية - دستور رود آيلاند «Rhode Island» في (1641) : «الحكومة الشعبية» «popular government»؛ أي أنه في سلطة هيئة المجتمعين بطريقة منظمة أو معظمهم وضع أو صياغة قوانين عادلة، تلك التي عن طريقها يتم تنظيمهم وأن ينتدبوا من بينهم ممثلين يكون لهم متابعة تنفيذها بأمانة بين الأفراد» .

يجب التركيز على هذه الفقرة الأخيرة حيث أنه تم التوصل في النهاية إلى معنى آخر للديمقراطية عن طريق تحوير الممارسة التي أوضحت هنا. في حالة رود آيلاند صاغ الشعب أو معظمه قوانين في تجمّع منظم؛ قام الممثلون بـ «تطبيقها بأمانة». هذه ليست شبيهة بالديمقراطية التمثيلية representative democracy التي عرّفها هاملتون Hamilton في 1777. كان يشير إلى مفهوم أسبق للديمقراطية عندما لاحظ أنه «عندما تُمنح السلطات القضائية judicial والتشاورية deliberative كليا أو جزئيا للهيئة الجماعية collective للشعب فلا بد أن نتوقع أخطاء والتباسا وزعزعة. لكن الديمقراطية التمثيلية هي حيث يكون حق الانتخاب مضمون ومنظّم وحيث تمنح ممارسة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لأشخاص مختارين... الخ». من هذا الاستعمال الأمريكي المعدّل تطور مفهوم حديث سائد. صاغ بنثام Bentham مفهوماً عاماً للديمقراطية كحكم أغلبية الشعب وميّز بعد ذلك بين «ديمقراطية مباشرة direct democracy» و«ديمقراطية تمثيلية representative democracy»

موصيا بالأخيرة لأنها توفر الاستمرارية ويمكن تطبيقها في مجتمعات كبيرة. تم منذ ذلك الوقت التسليم بصحة هذه الأسباب العملية المهمة كما تم أيضا التخلي عنها بحيث أنه في وسط ق20 يمكن وصف أي إصرار على الديمقراطية حسب مفهوم رود آيلاند أو مفهوم بنثام «المباشر» بأنه معارض للديمقراطية anti-democracy حيث أن الحكم من قبل ممثلين منتخبين يعتبر أول مبادئ الديمقراطية. المناقشات العملية جادة بالطبع وفي بعض الأحيان حاسمة لكن أحد أهم التغيرين في معنى ديمقراطية هو الارتباط الحصري بأحد أشكالها المشتقة ومحاولة استبعاد أحد صيغها الأصلية؛ في إحدى الفترات كانت هذه هي الصيغة الوحيدة.

يتعلق التغيير الكبير بتفسير«الشعب» the people. هناك سجل مهم لمحاولات مختلفة لقصر «الشعب» على مجموعات معينة مؤهلة: أحرار، أصحاب ممتلكات، العقلاء، رجال ذو بشرة بيضاء، رجال، وهكذا. حيث تتحدد الديمقراطية بعملية الانتخاب فإنه يمكن الادعاء بأن هذه الدساتير المقيدة كاملة الديمقراطية: تعتبر طريقة اختيار الممثلين أكثر أهمية من نسبة «الشعب» الذي يشارك في ذلك. يتم تتبع تطور الديمقراطية عبر مؤسسات تستعمل هذه الأسلوب بدلا من العلاقات بين كل الناس ونظام الحكم. هذا هو التفسير المعتمد في معظم التقارير عن تطور الديمقراطية الانجليزية. في الواقع يُدعى أن الديمقراطية «توسعت» extended تدريجيا بينما المقصود بوضوح هو التصويت لممثلين بدلا من المفهوم القديم لسلطة الشعب والذي كان حتى أوائل ق19 هو المفهوم الانجليزي المعتاد. أصبح التمييز حاسما في فترة الثورة الفرنسية. كان بيرك Burke يعبر عن وجهة النظر التقليدية عندما كتب: «الديمقراطية الكاملة كانت أكثر شيء مخز في العالم» Reflections on the Revolution in France، (1790) لأن «ديمقراطية» كانت تعتبر سلطة شعبية «هائجة» يتم فيها، ضمن أشياء أخرى، اضطهاد أو قمع الأقليات (خاصة الأقلية التي لديها ممتلكات كبيرة). كانت «ديمقراطية» لا تزال حتى منتصف ق 19 تعبيراً ثورياً أو على الأقل متطرفا وكان التطور المتخصص لديمقراطية تمثيلية representative democracy، على الأقل جزئيا، ردة فعل مقصودة لذلك علاوة على أسباب الاستمرار ومدى شموليتها العملية. من هذه النقطة في النقاش يمكن ملاحظة تشعب المعنيين الحديثين لديمقراطية. في التراث الاشتراكي استمرت ديمقراطية تعني سلطة شعبية popular power: دولة تكون فيها مصالح أغلبية الشعب هي الأعلى وتقوم الأغلبية فيها بشكل يكاد تاما بالاستفادة من هذه المصالح وتتحكم فيها. في التراث الليبرالي، عنت ديمقراطية انتخابات عامة لممثلين وشروطا معينة (حقوق ديمقراطية democratic rights مثل حرية التعبير) حافظت على انفتاح الانتخابات

والنقاش السياسي. هذان المفهومان في شكليهما المتطرفين يواجه أحدهما الآخر كعدوين. لو كان المعيار هو سلطة الشعب في المصلحة الشعبية فالمعايير الأخرى تعتبر ثانوية (كما في الديمقراطيات الشعبية People's Democracies) ويكون تركيز هذه المعايير محصوراً في «ديمقراطية رأسمالية» أو «ديمقراطية برجوازية». لو كان المعيار هو انتخابات وحرية تعبير فان المعايير الأخرى تكون ثانوية أو مرفوضة؛ فمحاولة ممارسة سلطة شعبية من أجل مصلحة شعبية عن طريق إضراب عام، مثلا، توصف بأنها معادية للديمقراطية حيث أن الديمقراطية قد تحققت بطرق أخرى؛ اعتبار الادعاء بأن المساواة EQUALITY (ا م) الاقتصادية جوهر الديمقراطية، هو الطريق المؤدي إلى اضطراب أو ديمقراطية شمولية totalitarian democracy أو حكومة اتحاد عمال. يشمل هذان الموقفان، مع تفاوتات كثيرة لهما، معاني ديمقراطية الحديثة، لكن لا يعتبر هذا عادة تنوعاً تاريخيا للكلمة: كل موقف في العادة يوصف بأنه «المعنى الصحيح الوحيد»، والاستعمال البديل يعتبر دعاية مبالغة أو نفاقا.

ديمقراطي democratic (من أوائل ق 19) هي الصفة المعتادة لأي من نوعي الاعتقاد أو أي من هاتين المؤسستين. لكن يجب ملاحظة معنيين إضافيين. هناك استعمال ملحوظ لديمقراطي democratic لوصف ظروف النقاش المفتوح دونما الإشارة بالضرورة إلى انتخابات أو سلطة. في الواقع، في استعمال مميز تعتبر حرية التعبير والتجمع حقوقاً ديمقراطية كافية بذاتها دونما إشارة إلى مؤسسة أو طبيعة السلطة السياسية. هذا مفهوم مقيّد مستمد من التركيز الليبرالي الذي يتوجب في صيغته الكاملة وجود انتخابات وسيادة شعبية (وليس حكماً شعبياً)، لكن الذي يعارض غالباً نشاطاً ديمقراطياً مستمراً مثل اعتراضات على انتخابات قائد أو سياسته في ظروف غير رسمية أو«مناسبة». هناك أيضاً مفهوم مشتق من الإشارة الطبقية السابقة للعامة multitude: أن يكون لك أسلوب «ديمقراطي» يعني أن تكون في شعورك غير واع بالتميز الطبقي أو عن قصد تهمل هذا الشعور أو تتغلب عليه في السلوك اليومي: تتصرف كما لو أن كل الناس متساويين ويستحقون تقديرا متساويا سواء كان هذا صحيحاً أم لا. هكذا يمكن للإنسان أن يكون في علاقات «بسيطة وطبيعية» مع كل من يلاقي ويمكنه أيضاً أن يؤمن بحرية التعبير وحرية التجمع لكن، في انصياعه لهذا الشعور، يمكنه أن يعارض حق الاقتراع الشامل ويقف ضد حكومة تتوجه كلية لمصالح الأغلبية. توسعت جزئياً المفاهيم، وجزئياً بعدت عن هذا المفهوم السابق والذي لا يزال على الأرجح هو المفهوم الرئيسي لطبيعة السلطة السياسية. في الوقت نفسه، حملت «demagogy» و «demoagogie» ـ (س م) «demagogás»، يونانية، (س ب) demos

ناس/ شعب، agogós قائد، agein يقود ـ من اليونانية المعنى السلبي السائد: المهيّج اللامسئول، بدلا من «قائد شعبي» في صيغة مألوفة من التحيز السياسي. استعملت الكلمة بشكل مشابه في الانجليزية من ق17 واستعملت مهيج/مؤجج «agitator» في البداية بمعنى «agent» وكيل، موظف من قبل مندوبي الجنود في برلمان 1647 ـ 1649، لكن أعطيت المفهوم الازدرائي بشكل رئيسي من ق 18.

لا توجد مسائل أكثر صعوبة من تلك التي تتعلق بديمقراطية في أي من معانيها الأساسية. تحليل التفاوتات لن يحلها لكن قد يوضحها أحيانا. في قرن لا مثيل له تدّعى فيه تقريبا كل الحركات السياسية تمثيل «ديمقراطية» أو «ديمقراطية صحيحة» يجب أن نضيف للمعاني الايجابية المتعارضة في التراثين الاشتراكي والليبرالي تحريفات مقصودة لا حصر لها: اختزال مفاهيم انتخاب وتمثيل وتفويض mandate إلى شكليات مقصودة أو مجرد صيغ موجهة؛ اختزال مفهوم سلطة شعبية أو حكومة مصلحة شعبية إلى شعارات اسمية تحجب حكم بيروقراطية أو حكم أقلية. أحياناً قد يكون من السهل الإيمان بالديموقراطية أو مؤازرتها لو أن تغيير ق 19 لم يحدث وأنها مازالت تعبيراً سلبياً وحزبياً. لكن سلك التاريخ طريقه ومعانيها المعاصرة هي السجل المشوش الذي لا يزال فعالاً .

انظر : **Anarchism فوضوية، Class طبقة، Equality مساواة، Liberal ليبرالي، Masses جماهير، Popular شعبي، Representative ممثل، Revolution ثورة، Socialist اشتراكي، Society مجتمع**

يحدد/يحتم DETERMINE

للكلمة determine نطاق معقد من المعاني في الإنجليزية الحديثة وضمن هذا النطاق هناك صعوبة خاصة عندما يرتبط الفعل بكل من determinant محدِّد وdeterminism حتمية واستعمال معين لمحدَّد determined. هذه الصعوبة الخاصة هامة لأنها تتصل باتجاهات مهمة مختلفة في الفكر الحديث.

دخلت determine الإنجليزية في ق 14 من (س م) determiner، فرنسية قديمة، determinare، لاتينية، (س ب) terminare، لاتينية: «يضع حدودا». هناك صيغ عدة تتقدمها البادئة اللاتينية de معقدة في معانيها، لكن في هذه الحالة معنى «وضع حدود» هو السائد في كل الاستعمالات الأولى. برزت الصعوبة والالتباس اللاحق عندما اكتسب أحد المفاهيم المستعملة، الذي يتعلق بوضع حد وبالتالي نهاية لعملية ما، أهمية نهاية مطلقة.

هناك عمليات كثيرة لها حد أو نهاية معتادة كانت تستعمل بالنسبة لها determine ومشتقاتها بانتظام : تحدد determined مشكلة أو خلاف من قبل سلطة، ومن هذا الاستعمال والاستعمال القانوني المرتبط به، في أمور مثل عقود الإيجار، هناك مفهوم أكثر عمومية معادل لـ«يقرر» decide: مثلا، «في تاريخ سيحدد to be determined». يرتبط بهذا معنى يعادل «يحسم مسألة» settle؛ يعطى شكلا ثابتا عن طريق الملاحظة أو الحساب أو التعريف definition. ما يميز كل هذه الاستعمالات هو أن determining تحديد هي نقطة أو عمل ثابت عند نهاية العملية وأن هذا المفهوم لا يحمل أي معاني ضمنية ضرورية وفي العادة ليست هناك معاني ضمنية البتة، وأن الطبيعة الخاصة للقرار أو الحسم أو الحكم النهائي هي في صلب طبيعة العملية. تحسم أو تتمم determination عملية ما؛ لكنها لا تتحكم فيها أو تتنبأ بها.

لكن كما هو واضح هناك احتمال تداخل مع معنى عملية مهيأة بطريقة تجعل من الممكن اعتبار أن تحديدها determination النهائي أو المنظور هو الذي يعرفها. من هذا التداخل تنبع كل المعاني الحديثة الصعبة. المصدر الرئيسي لهذا التوكيد ثيولوجي: يمكن اعتبار أن الإله (في مفهوم توسع من قرار معين لسلطة) حدّد determined ظروف الحياة البشرية بما فيها استحالة تجنب الموت، وبهذا المفهوم يكون حدد مصير الإنسان. من أوائل ق 16، عند تنديل Tyndale مثلا، لدينا العبارة الإنجيلية «علم الله بالغيب وقصده المحدد determinat counsell and foreknowledge of God». بالطبع هناك جدل طويل ومعقد حول مدى وطبيعة مثل هذه النهايات المقررة preordained وحول مضامينها ونتائجها. عموماً في هذه النقاش استعملت بشكل أكبر كثيراً الكلمة predistination قضاء وقدر (ومعها الكلمة المخففة حرية الإرادة free-will) من determination تحديد لكن بوضوح في أحيان كثيرة ارتبطت الكلمتان. هذا هو المصدر الرئيسي لتحديد/حد determination كأمر تم حسمه وتثبيته بطريقة قطعية، لكن لم يسيطر المفهوم القطعي تماماً أبداً حتى في هذا المجال من الاستعمال. لكن بوضوح كان هناك مجال كبير للتشويش عندما تنقل النقاش بين مفهومي ظروف تحدّد عملية، وعملية تتحكم فيها نهاية متطورة أو معروفة.

عندما بدأ استعمال determination تحديد/حد في العلوم منذ منتصف ق17 نشأ نطاق مقابل من المعاني. كانت determination حد من حين لآخر الحالة النهائية أو الأساسية لمادة ما، لكن في علم الطبيعة المبكر (Boyle بويل، 1660) كانت تعني فعلياً

ميولاً واضحة: «أخرى حركتها لها اتجاه معاكس opposite determination». كتب كلارك Clarke في 1710: «عندما يتحرك جسم بطريقة معينة، هذا هو ما نسميه اتجاه determination». هنا النزعة الواضحة هي في صلب طبيعة الجسم وبالتالي لا تزال العوامل المحدِّدة determinants لأية عملية لها صبغة معينة. في الفترة اللاحقة التي تمت فيها صياغة القوانين العامة، سواء في العلم science أو، كما في السابق، في أصناف من قوانين الله أو الطبيعة، توسع المفهوم وامتد إلى المبدأ المجرد: من فكرة أسباب ونتائج معينة إلى فكرة عملية «مستحيلة التجنب inevitable ومحدَّدة «determined». لكن من الصعب جدا عند الوصول إلى هذا المفهوم المجرد أن نميز بوضوح بين أنواع من عمليات يحكمها قانون أو قوانين عامة وأنواع من النتائج، التي ـ سواء استنبطت من عنصر جوهري أو، كما هو محتمل، عرضي ـ تعتبر مستحيلة التجنب. تزيد الصعوبة تعقيدا عندما ندرك أن يحدد determine تستعمل بنفس القدر في النظر إلى المستقبل كما هي في النظر إلى الماضي prospect/retrospect؛ يصبح مفهوم استحالة التجنب الذي يمكن أن يكون نتيجة ملحوظة لاستعادة الماضي شيئاً مختلفاً عندما يُسقط على أحداث مستقبلية.

لعدة قرون دارت أنواع مختلفة من النقاش، في الغالب بصعوبة، حول هذه المعاني ليحدد determine: في الثيولوجيا، والأخلاق ethics، وفي الفيزياء وختاماً في النظرية theory الاجتماعية والاقتصادية. أعطت صياغة determinism حتمية/ جبرية في منتصف ق19 تحريفاً خاصاً لكل النقاش. في معناها الأكثر استعمالا تفترض «حتمية» ظروفاً سابقة الوجود، عموماً «خارجية»، تقرر عملية أو حدثاً ما. غالباً تعني «خارجية» مجرد خارجة عن رغبة أو مشيئة الأفراد المرتبطين بعملية كهذه؛ لا تزال الشروط المحدِّدة determining في صلب العملية العامة نفسها. لكن هناك أيضاً استعمال مستمد من حجم بعض هذه العمليات التي يتم فيها، بطريقة واضحة في الغالب، توكيد الطبيعة الخارجية المحدِّدة determining. لا يتحكم الناس في عمليات محدَّدة determinate مثل النظام الشمسي في طرف، أو عمليات النشوء والارتقاء والتوريث البيولوجي في مرحلة وسطى، وفي الطرف الآخر نظام اقتصادي. استعملت حتمية/ جبرية determinism، التي كانت في السابق (رغم أنها لم تعط هذا الاسم) مذهباً ثيولوجيا أو مبدأ فلسفياً، خصوصاً من منتصف ق19 في البيولوجيا والاقتصاد رغم أن استعمالها الأوثق كان لا يزال في الفيزياء. في حالة الفيزياء، أصبح المعنى الأكثر تقييدا لحتمية - determinism أحداث تم التنبؤ بها تماماً بناء على الأسباب المعروفة ـ مألوفا لدرجة أن مشاهدة الأحداث التي لا يمكن ضمنياً التنبؤ بها أو أنها مجرد مرجحة حثت على سك تعبير سلبي جديد: indeterminism لا حتمية الذي توسع استعماله

فيما بعد منتصف ق20 بطريقة متلاحقة إلى حقول أخرى بطريقة مماثلة لما حدث للتعبير السابق البسيط determinism. بحلول هذه الفترة كان واضحاً في الاستعمال العام أن حتمية لم تحمل فقط معنى السبب الذي لا يمكن تجنبه وإنما أيضاً السبب الخارجي في جوهره. لهذا كان توسع لا حتمية indeterminism من عمليات مشاهدة معينة إلى ظروف الحياة الأشمل متهور ومثير للاهتمام في نفس الوقت.

أصبحت determinism في مفهومها العام مرتبطة بظروف الحياة العامة، سواء البيولوجية أو الاقتصادية. هذه العمليات قد تكون ضمن المعرفة الإنسانية لكن خارج تحكم البشر؛ لقد ترسخت أساليبها. في الواقع في كل المناقشات ذات العلاقة كانت هناك محاولات تمييز دقيقة بين determination تحديد، مهما كانت مطلقة، والمفهوم اللاعقلاني irrational القديم المتجسد في fate قدر(في الأصل حكم الآلهة، (س ب) fari أتكلم؛ لاحقاً عملية محدِّدة، لا شخصانية ومن ق14 نهاية محدَّدة؛ اكتسبت من ق17 مفهوم كارثة في fatal مهلك بينما نهايات أخرى مقرّرة تم وصفها بالحظ fortune ـ صدفة تنحصر في الحظ الطيب ـ أو providence: التحكم العطوف والحاني. تشير طروحات من أجل حتمية عقلانية «rational determinism» إلى مقدرة فهم العمليات العامة وعبر هذا الفهم اكتساب بعض السيطرة عليها، مهما كان ذلك محدودا. المفهوم، إذن، أكثر تمييزا كونه يسمح بالتفريق ضمن العمليات العامة بين ظروف محدِّدة determining أو محدِّدات determinants ـ عوامل أساسية تضع، كما في استعمالات سابقة، حدودا معينة أو تمارس ضغوطا معينة ـ وعوامل أخرى عرضية أو لا يمكن التنبؤ بها أو طوعية. يعتمد معظم النقاش العقلاني لظروف محددة أو محددات على إيضاح هذا التمييز. خلاف ذلك، يمكن لمشاهدة عوامل فعلية محدِّدة ـ قوى تضع حدودا أو تمارس ضغوطا ـ أن تتضخم بسرعة إلى fatalism قدرية (determinism حتمية/ جبرية) يكون فيها كل شيء قد تقرر ـ قُرّر مسبقاً predetermined كما تصاغ في العادة بغرض التوكيد ـ وليس علينا إلا ترقب حدوثها. بطريقة بديلة، يمكن أن يوهننا شعور بالصعوبات إلى حالة غموض ولا مبالاة لا يمكن فيها الاعتراف بوجود عوامل ضرورية، ليس فقط افتراضيا ولكن عمليا. في الواقع، هذا ضرب من الجنون؛ لا يجعل من الممكن تجنب التعرف على تلك الطريقة إلا الوصف الواثق المتخصص لوجهات نظر أخرى على أنها حتمية. كان هذا الطرح مهما بشكل خاص في الماركسية حيث تم في الغالب تشجيع الحد determination الاقتصادي المطلق، سويا مع العواقب السياسية والاجتماعية والثقافية التابعة ـ قوانين التاريخ وقانون القاعدة «base»

(بنية المجتمع الاقتصادي) والبنية الفوقية «superstructure» (كل الحياة الاجتماعية الأخرى) ـ بينما في طروحات ماركسية أخرى كان هناك مفهوم محددات معينة يتصرف الناس ضمنها أو في علاقة معها لصنع تاريخهم. أنتجت الأنواع الوضعية POSITIVIST (ا م) الأكثر تطرفا لعمليات تم التنبؤ بها تماما أو بشكل عام أنواعاً مقابلة مختزلة لتلاعب الأحداث«play of events» (سير الأمور) تسمى (بتخصص شعبي مقابل للمعاني الدقيقة) امبريقية EMPRICICISM وبراجمتية PRAGMATISM (ا م م) .

لا يمكن حسم أمور على هذه الدرجة من الجدية والتعقيد عن طريق تعريف الكلمات، لكن يمكن أن يكون النقاش حول هذه الأمور مشوشاً تماماً باستعمال ملح وشبه جازم لمعنى ثابت لهذه الكلمة شديدة التقلب ومشتقاتها. في النهاية، يشمل تاريخ الكلمة كذلك مسارا آخر من المعاني ترتبط فيه determination وdetermined وdetermine، ليس بحدود أو نهايات وليس بأسباب خارجية ولكن بشكل معين بقرارات أو أفعال الإرادة «acts of will» كما في «قررت أن أحقق ذلك I am determined to». في البداية يبدو أن هذا المعنى استنبط من المعنى السابق المذكور أعلاه : الوصول إلى قرار «come to a decision»؛ هناك عدة استعمالات سابقة في صيغة يقرر مع نفسه determine with oneself، كما هو الحال في تطور مشابه ليحسم resolve وحسم resolution. ربما لم يقل أحد بعد «قررت ألا أتحدد I'm determined not to be determined»، لكن هذا يبين نطاق المعاني الفعلي. منذ أوائل ق 16 تستعمل determined وdetermine بشكل عام بمعنى قرار ثابت أو حاسم اتخذه شخص بناء على رغبته. على الأقل بحلول ق 19 نشأ مفهوم اشتقاقي عام لا يتطلب عادة تعريفاً إضافيا للفعل ـ قررت determined فعل أو عدم فعل شيء ـ في صيغته صفة عامة تدل على «مستمر بتشبث persistent» أو غير متردد unwavering: مفهوم يرتبط بالتأكيد بمعنى عملية محسومة settled ومتعذر تجنبها inevitable، لكن كذلك يعطى في الاستعمال الفعلي نوعا معاكسا من التفسير للأفعال والأحداث البشرية. للأغراض العامة الكثيرة يبقي التمييز الفعلي الحديث بين determinism وdetermination، بدرجة كافية من الوضوح، على هذا المدى من التفاوت والتعارض، لكن يصعب إدراك التمييز الأكثر صعوبة في استعمالات determine وdetermined كما نشاهد بانتظام.

انظر : **DEVLOPMENT نمو، EMPIRICAL إمبيريقي، EVOLUTION نشوء وارتقاء، PRAGMATIC برجماتي**

تنمية/تطور DEVELOPMENT

دخلت develop(ed) الإنجليزية في منتصف ق 17 في أعقاب كلمة إنجليزية سابقة disvelop (أواخر ق 16) من (س م) développer، فرنسية desvolper، فرنسية قديمة، بمعنى في جذر الكلمة معاكس ليغلف wrap، يحزم - bundle بالتالي يفض unfold، يبسط unroll. توسع المعنى مجازيا في ق 18 وأصبح يشمل مفهوم تنمية «قدرات ... الإنسان العقلية»، واربرتون Warburton، 1750 (قارن CULTURE ثقافة، ادخل، ونشوء وارتقاء EVOLUTION). تبعت ذلك development في منتصف ق 18، لكنها مازالت تستعمل من قبل شسترفيلد Chesterfield، 1752، في صيغتها الفرنسية. كان أول توسع رئيسي لها في البيولوجيا الجديدة في علاقة قريبة لأفكار نشوء EVOLUTION (ا م).

يتعلق الاستعمال الجديد اللافت لمجموعة كلمات تتمحور حول develop بأفكار معينة عن طبيعة التحول الاقتصادي. في منتصف ق19 تم التعبير بهذه الطريقة عن فكرة مجتمع يمر خلال مراحل تطورية evolutionary محددة : «تتقدم الأمم على طريقة تنمية Development، سماتها اللاحقة لها جذور في العناصر الأولى». علاوة على ذلك، المفهوم الضمني في هذه الفكرة هو «التنمية التقدمية «progressive development التي سجلت من 1861 (انظر PROGRESSIVE). من 1878 هناك إشارة إلى صناعة INDUSTRY (ا م) : «يرجع التطور development الحقيقي للصناعة الاسكتلندية إلى اتحاد 1707»، (ليكي Lecky)، بينما تقول جريدة في 1885 «يمكن تنمية development التجارة إلى أي مدى تقريبا».

بوضوح تعزز هذا الاستعمال لعمليات الاقتصاد الصناعي والتجاري من أواخر ق 19 وأصبح معتاداً في ق 20. قد يكون لها مقابل بسيط في undeveloped، لكن التحول المهم حدث بعد 1945 مع الكلمة الجديدة والمؤثرة underdeveloped. يرتبط هذا مع الفكرتين: (1) الأراضي التي لم تتم تنمية أو استغلال EXPLOIT (ا م) الموارد الطبيعية «natural resources» فيها بقدر كاف؛ من أواخر ق 18 استعملت resources في صيغة الجمع بهذا المعنى وعُرّفت «natural resources» في 1870: «الركاز في المنجم، الحجارة التي لم تقتلع، الأشجار التي لم تقطع، ... الخ؛ (2) اقتصاد ومجتمعات مقرر لها أن تمر بمراحل من التطور يمكن التنبؤ بها حسب نموذج معروف. من المثير للاهتمام أن المفهوم الموازي لتطور developmentوتطوري developmental في علم النفس، الذي يصف عمليات النمو «growing-up» يمكن أن يؤثر في مفهوم مجتمعات نامية (دون تطور)

underdeveloped، بشكل علني أو خفي، سواء كتفضّل ورعاية أو كتحديد لوضعها بالنسبة للاقتصاد المتطور developed. تم في السابق التعبير عن ذلك بطريقة أقل حصافة، وذلك بوصف تلك المجتمعات بالمتخلفة backward، التي هي نفسها تعبير تطوري developmental. ارتبط كل مفهوم لنامية underdeveloped باعتبار المجتمعات الفقيرة والمستعمرة أو المستعمرة سابقا مواقع يجب فيها تطبيق الأفكار الراسخة للتنمية. تبع هذا الوصف المجامل لهذه المجتمعات بأنها نامية developing أو في طريقها إلى النمو «in the course of development».

حجبت البساطة الظاهرة لهذه التعبيرات أمورا اقتصادية وسياسية صعبة جداً ومثيرة للنزاع. هكذا يمكن تطوير أرض معينة لأغراض خاصة بها، كما في بعض أنواع اقتصاد الكفاف، لكن تعتبر دون تطور underdeveloped بالنسبة للسوق العالمي الذي يسيطر عليه آخرون. ثم اعتبر اقتصاديون راديكاليون underdevelopment التطور المتدني حالة ناجمة عن ضغط اقتصادي خارجي حيث أن التنمية يمكن أن تكون إما استغلال مجتمع لموارده لأغراضه الذاتية أو - وهذا يؤدي إلى نتائج اقتصادية مختلفة تماماً ـ استغلال بعض موارده حسب السوق والطلب الخارجي. تخضع في الواقع فكرة «مناطق تنمية development areas» في دول لنفس البديلين. من وجهة نظر فُضلت dependent تابعة على developing نامية، كوصف للحقائق المفروضة في عملية التطور المتدني underdevelopment، لكن تكمن هناك أيضا مشاكل فعلية في أن التنمية التي تتولد داخليا قد لا تكون فقط مختلفة عن تلك التي تفرض من الخارج، ولكن قد تكون، حسب اختلاف مصالح داخلية، متفاوتة.

من الواضح، من خلال هذا التشابك اللفظي، تشوش فكرة مساعدة الدول النامية «aid to the developing countries»، التي عادة ما تكون نبيلة، بممارسات تفقد كل سخاء وتلغي هويات الآخرين عن طريق تعريف تلك الدول بأنها underdeveloped دول نامية أو «less developed» أقل نمواً، وبعمليات تنمية مفروضة تلبي حاجة سوق عالمي يتحكم فيه آخرون. هناك شكوك مماثلة حول معاني سائدة لتعبير «عالم ثالث Third World» الذي يرجع أصله إلى «Tiers Monde» في فرنسا في أوائل خمسينات ق 20، قياسا بالسلطة الثالثة «Third Estate» في الثورة الفرنسية. في اللغة السياسية الحديثة، يعتمد الوصف على افتراض وجود «عالمين» أول وثاني، والزعم أنهما رأسمالية واشتراكية، رغم أن هذا لم يفضّل في الغالب. التعبير في الغالب كريم في مقصده لكن في التداخل المتكرر مع underdeveloped يمكن أن يدل إما على منطقة عامة يعمل ويتنافس فيها

«العالمان» الأول والثاني أو على بلدان مختلفة جدا تقبع في حالة غير متمايزة في جوهرها. يمكن أن يحجب مقدار اعتماد «عالم ثالث» على تعاريف شرق/غرب East-West (قارن WESTERN غربي) السائدة، كما في التعبير المقارب في الغالب non-aligned (دول عدم الانحياز)، علاقات أكثر حسما من النوع الذي يدل عليه الآن باضطراد وصف شمال/جنوب North-South، رغم أن له صعوباته الخاصة. في الواقع يمكن أن يقيد ويشوش ضغط فكرة التنمية development، التي في الغالب لم تفحص، أي وصف معمم للنظام الاقتصادي العالمي الحالي. لا يكون مزيد من التمييز المحدد ضرورياً وممكنا إلّا في تحليل الممارسات الفعلية التي تنضوي تحت تنمية development.

انظر : **EVOLUTION نشوء / تطور، EXPLOITATION استغلال، IMPERALIASM امبريالية، NATIVE وطني / محلي، WESTERN غربي**

لهجة DIALECT

دخلت dialect الإنجليزية في أواخر ق 16 من (س م) dialecte، فرنسية، (س ب) dialektos، يونانية. كان المعنى اليوناني الأصلي حديث «discourse» أو محادثة conversation قد توسع فعلاً ليدل كذلك على طريقة الكلام أو لغة بلد أو منطقة. بخلاف استعمالات عرضية، أصبحت الكلمة متخصصة من ق 17 وخاصة من ق 18 في معناها الحديث السائد الذي ليس هو مجرد لغة منطقة، بل كما يعرفها قاموس أكسفورد OED، «إحدى الصيغ أو التنويعات الثانوية التابعة للغة التي تنتج عن خصوصيات محلية للمفردات والنطق والاصطلاح». الكلمة الأساسية هنا «ثانوية» أو تابعة «subordinate» التي يجب فهمها في سياق تعريف «OED» الإضافي: «نوع من الكلام يختلف عن «اللغة» الفصحى أو الأدبية».

يمكن اعتبار وضع «لغة» بين مزدوجتين في التعريف السابق كفكرة تالية متبصرة. تاريخياً ليست نقطة الخلاف الحقيقية الواضحة أن أساليب الكلام تختلف في أجزاء مختلفة من البلد أو مناطق لغوية أخرى، لكن الجرأة تكمن في تسميتها «تابعة». يرتبط ذلك بشكل وثيق بتطور فكرة لغة إنجليزية فصحى STANDARD (ا م) أو أية لغة أخرى فصحى، يكون فيها استعمال منتقى (في الإنجليزية مبني على أساس طبقي) رسمي وسائد correct. ليست الإشارة البديلة «للغة أدبية» إشارة بشكل رئيسي للغة الأدب «LITERATURE» (ا م) في معناها الحديث ككتابة إبداعية، لكن للمفهوم القديم للغة مناسبة في «المعرفة الرفيعة» وأهم من ذلك في هذا النوع من الكتابة المؤدبة .

الالتباس إذن واضح. لا تحمل الاستعمالات الأولى مفهوم «تابع» لكنها تحدد موقعاً يدل على تنويع. في الواقع هناك استعمال من 1635 يمكن أن تسمى فيه لغات، حسب تصنيفنا الحالي، «لهجات»: «فاللغة السلافية تشمل لهجات كثيرة، مثل الروسية، البولندية، البويهمية، الأليرية ...» حيث نتحدث الآن عن «عائلة لغات قومية». بالفعل في إقرار لغة «قومية» ومن ثم ضمن عملية تمركز «فصحى» هذه أصبحت تصنف تنويعات قومية «NATIVE» (ا م) أصيلة وقديمة تماماً على أنها تابعة ثقافياً. عندما ننظر إليها نظرة حيادية، توجد اللغة في هذه التنويعات. لكن ضمن عملية الهيمنة الثقافية، ما يتم تقديمه ليس فقط صنفاً رسمياً مختارا يمكن منه الحكم على كل التنويعات الأخرى بالوضيعة أو في الواقع غير دقيقة، لكن أيضاً مفهوماً شبه ميتافيزيقي للغة وكأنها توجد خارج تنويعاتها الفعلية. ليس فقط هناك انجليزية فصحى ثم لهجات، لكن هناك أيضاً، عبر هذا التقديم، إنجليزية فريدة ثم لهجات للإنجليزية.

من اللافت ملاحظة تعديلات في هذا النوع من الوصف حسب تغير علاقات اجتماعية أخرى. مثال دال هو الانتقال من «لهجة يانكية Yankee dialect» من الجزء الشمالي من أميركا إلى إنجليزية أمريكية «American English» الذي لم يكتمل (على هذا الجانب من المحيط الأطلنطي) إلا في منتصف ق 20. الحالة مشابهة في العبارة الشائعة «لغات ثانوية/ أقليات «minority languages» التي تحمل ضمنياً معنى «أقل أهمية» في اقترانها المألوف بلغات رئيسية «major languages». هذا أيضاً شكل من الهيمنة. فعلا هناك لغات أقليات، غالباً أقليات في ذلك الوضع الاجتماعي لأن وطنهم أو إقليمهم تم ضمّه أو دمجه في الوحدة السياسية الأكبر. هذا لا يجعلها «لغات أقليات» سوى من منظور الهيمنة. في موقعهم (لو تمكنوا من مقاومة ما يكون في الغالب ضغوطا هائلة) هي لغتهم ـ لغة خاصة مثل أية لغة أخرى. بطريقة مشابهة، اللهجة ببساطة هي طريقة الكلام في مكان معين .

انظر: LITERATURE أدب، NATIONAL وطني/قومي، REGIONAL جهوي، STANDARDS معايير

جدلي/ديالكتيكي DIALECTIC

ظهرت dialectic في الإنجليزية من ق 14 في معناها اللاتيني المقبول لوصف ما نسميه الآن منطق logic. في معانيها الأساسية كانت dialectique، فرنسية قديمة، dialectica، لاتينية، dialektike، يونانية تعني فن النقاش والمناظرة ومن ثم، بالاستنتاج، تحري الحقيقة عن طريق النقاش. فسرتها المدارس المختلفة تفاسير مختلفة ولشرح أفلاطون

تاريخ لاحق هام: عنت dialektike فن تعريف الأفكار وكذلك طريقة تحديد العلاقة بين الأفكار في ضوء مبدأ واحد. بالتالي سيتم تمييز هذين المفهومين فيما بعد كمنطق logic وميتافيزيا metaphysics. في الاستعمال الإنجليزي المبكر كما في الاستعمال القروسطي عموما، كانت dialectic هي فن التفكير المنهجي: «العلم الثاني المنطق الذي يسمى جدل» (Caxton ، 1481)؛ «ديالكتيك أو المنطق، أي معرفة الحقيقة في كل شيء عن طريق الجدال» (1586)؛ «ديالكتيك هي فن المحادثة حيث يؤكد أو يدحض أي شيء عن طريق سؤال وإجابة المتجادلين» (Stanly، 1656). كان هناك مفهوم أشمل للكلمات dialectic وdialectics وdialectical من ق 17 يتصل بالنقاش بشكل أعم واستمر هذا المفهوم.

كان هناك استعمال خاص ومؤثر لجدلي dialectic في الفلسفة المثالية الألمانية. وسع ذلك مفهوم التناقض خلال النقاش أو الجدل إلى مفهوم التناقض في الواقع. عبر سلسلة معقدة من النقاش انتقل هذا المفهوم الموسع للكلمة (الذي له صلة بمفهوم أفلاطون : تحديد العلاقة بين الأفكار في ضوء مبدأ واحد) إلى الاستعمال العام نسبيا لكن الذي تكتنفه في الغالب صعوبة. بالنسبة لكانط يبين النقد الديالكتيكي dialectical الطبيعة التبادلية المتناقضة لمبادئ المعرفة عندما يتم تطبيق هذه المبادئ على الوقائع الميتافيزيائية. بالنسبة لهيجل، تم تجاوز هذه التناقضات، في كل من الفكر وفي تاريخ العالم الذي كان سمته الموضوعية، في حقيقة واحدة أسمي : كانت العملية الديلكتيكية إذن، الاتحاد المستمر للأضداد في علاقة الأجزاء المعقدة بالكل. أعطى فيخته Fichte صيغة من صيغ العملية الثلاثية المشهورة: «الطريحة thesis، النقيضة antithesis، الجميعة synthesis. ثم أعطت الماركسية معنى ديالكتيك، الذي يدل على اتحاد متنام progressive عن طريق تناقض الأضداد، مرجعية معينة في ما أسماه انجلز المادية الجدلية dialectic materialism. جعلت صيغة هيجل العملية الجدلية الروح في المقام الأول أما العالم فكان ثانويا. تم عكس هذا الترتيب وأصبحت الجدلية dialectics «علم قوانين الحركة العامة لكل من العالم الخارجي والفكر البشري ـ مجموعتان من القوانين المتطابقة في جوهرها لكن المختلفة في صياغتها» (Engles, Essay on Feurbach). كانت هذه هي الجدلية المادية «materialist dialectic» التي أعيدت صياغتها فيما بعد كمادية جدلية «dialectical materialism» وطبقت على كل من التاريخ والطبيعة (Dialectics of Nature جدلية الطبيعة). اعتبرت المبادئ الأساسية التي تكمن في صلب هذه العملية هي تحول الكمية إلى نوعية، تحديد هوية الأضداد أو دحض النقيضة؛ هذه هي «قوانين» التاريخ والطبيعة.

كان هناك خلاف شديد حول علاقة «المادية الجدلية» بفكر ماركس الذي لم يستعمل هذا التعبير، وكذلك علاقتها بأصولها المثالية، وعلاقتها بالعلوم الطبيعية. يفضل بعض الماركسيين التعبير الأدق: مادية تاريخية «historical materialism» ولا يرغبون في توسيع نطاق صفة جدلي dialectical لتشمل العمليات الطبيعية، بينما يصر آخرون على أن نفس القوانين تنطبق على الاثنين. هناك أيضا أقسام من الفكر الماركسي ترفض فكرة القوانين الجدلية برمتها في الوقت الذي تحتفظ فيه بمفهوم فضفاض لجدلي dialectic يصف تفاعلات القوى المتناقضة أو المتعارضة. وجد هذا المفهوم الفضفاض طريقه إلى الاستعمال العام، بمحاذاة مفهوم عملية النقاش أو طريقة النقاش الأقدم. ليس من اليسير في الغالب ملاحظة أي من هذه المعاني المختلفة هو المستعمل وبأية تضيمنات خلال النقاش المعاصر.

انظر: MATIRIALISM مادية، SCIENCE علم

نظري/لا عملي DOCTRINAIRE

هذه الكلمة غريبة لأنها تستعمل الآن بشكل واسع في سياق سياسي لتدل على مجموعة أو فرد أو موقف يمكن اعتباره معتمداً على مجموعة أفكار معينة؛ المعنى الضمني، السلبي دائما، هو أن الأفعال أو المواقف التي لها هذا المرتكز غير مفضلة وسخيفة. هذا تحول مهم من معنى التعبير في مجال السياسة. دخلت الكلمة الفرنسية من 1815 تقريبا لتصف طرفا يحاول التوفيق بين موقفين على طرفي نقيض، وكان الازدراء في «نظري/ لا علمي doctrinaire» تعبيرا عن الاعتقاد بالطبيعة النظرية فحسب لهذه المحاولات التي لم تشمل أي فهم فعلي لمصالح وأفكار الطرفين المتعارضين الحقيقية. يمكن القول أن اللانظريين doctrinaires الأصليين حاولوا التوسط والوصول إلى تسوية بين ما يسمون الآن doctrinaires الطرفين الملتزمين بمواقف سخيفة. يصعب تتبع التحول لكنه ترسخ بحلول أواخر ق 19 وأصبح شائعا بشكل خاص في منتصف ق20 وعلى الأرجح اعتمد هذا التحول على تدهور معنى doctrine (مذهب، عقيدة، تعليم) من مجموعة تعاليم (حيادية أو ايجابية) إلى وضع مجرد جامد (قارن التطور المقارب لدوغما dogma التي لها الآن معنى أكثر سلبية). حدث هذا خاصة بالنسبة للمذاهب الثيولوجية وانتقل بشكل كبير إلى السياسة خلال ق 19. طورت الكلمتان indoctrinate (يعلّم مبادئ المعرفة، يلقّن) و indoctrination، اللتان كان لهما من ق 13 معنى حيادياً أو ايجابياً يدل على تدريس أو تعليم، مفهوما سلبيا بشكل واضح من أوائل ق 19 وهما الآن مثل doctrinaire سلبيتان

تماماً. من الملفت قراءة ما ذكره مارك باتيسون Mark Pattison في 1868: «لا يمكن أن يعلم indoctrinate العلوم الفيزيائية إلا مدرس قدير». يتم الآن التمييز بشكل واضح بين تعليمنا our teaching وتلقينهم indoctrination، ويتضمن ذلك معنى مصاحبا ولكنه ليس قاطعاً بوجود توجيه وضغط في التعبير السلبي. في نفس الوقت يعتمد معنى doctrinaire الحديث على تضاده الواضح غالباً مع التعبيرات المحددة(التي عادة ما تكون ذاتية الاستعمال) مثل sensible (واع، معقول)، practical (عملي)، وفي الغالب كذلك PRAGMATIC برجماتي (ا م). لهذا صلة وثيقة جدا بالتمييز بين أفكاري ومبادئى my ideas or principles، وأيديولوجية ودوغماتية الآخر. أصبحت الصيغة مهمة في السياسة منذ نمو حركات وأفكار تعتمد على مواقف ومبادئ على خلاف أو في تعارض مع تلك التي تحكم النظام الاجتماعي القائم. عورضت تهمة doctrinaire باستعمال متخصص مشابه يميز بين برامج وأعمال سياسية principled (ذات مبادئ محددة من المثل) وأخرى unprincipled (مجردة من المبادئ).

انظر: **IDEOLOGY أيديولوجيا**

دراماتيكي DRAMATIC

هذه واحدة من مجموعة كلمات لافتة توسعت من استعمالها الأصلي والمستمر في فن معين إلى استعمال أشمل كوصف لأحداث وأوضاع فعلية. بشكل رئيسي ترجع dramatic دراماتيكي بمعنى حدث أو وضع له صفات مشهد لافت spectacle أو دهشة مشابهة لتلك المرتبطة بالدراما المكتوبة أو الممسرحة إلى ق 18. كذلك الوضع بالنسبة للكلمة picturesque رائع: منظر أو زِيّ أو فعل يعادل مشاهدة صورة أو له خصائص واضحة تجمعه مع صورة .picture يبدو أن theatrical مسرحي التي تصف خصلة معينة مبالغ فيها في فعل ما ترجع إلى ق 19. على الأرجح يعود تاريخ tragic تراجيدي/ مأساوي التي تصف حدثا فاجعا بنفس الدرجة مثل ذلك الذي يحدث عادة في التراجيديا إلى ق 16، لكن أصبحت أكثر شيوعاً من أوائل ق 19. تم توسيع role (دور) مشاركة شخصية في مسرحية ليصف وظيفة اجتماعية أو نوعا من النشاط الاجتماعي حسب مدرسة مثالية idealist سائدة في علم الاجتماع ومن ثم استعملت بشكل عام منذ أوائل ق20. في منتصف ق20 توسعت scenario سيناريو، من خطة للعمل الدرامي، خاصة في الأوبرا، لتصف تنبؤاً سياسيا أو عسكريا وبشكل متزايد خطة فعلية للأحداث .

بعض المعاني الضمنية في الاستعمالات الموسعة في هذه المجموعة مثير للجدل.

ينتمي بعضها مثل picturesque إلى عادة ذهنية يمكن تقفيها، وتتم فيها مشاهدة الحياة أو يُزعم فيها مشاهدة الحياة عن طريق الفن. يبدو أن معاني ضمنية أخرى مثل دراماتيكي أو تراجيدي تطورت بطريقة طبيعية من خلال الترافق الناشئ عن العادة. رغم أنها تستعمل الآن دونما أية إيحاءات معينة فإنه يبدو أن role دور تعتمد على نوع معين مجرد من الفعل والتنظيم الاجتماعي وتعتمد كذلك بشكل خاص، كما في أغلب استعمالات سيناريو، على نوع شكلاني formalist من النشاط الاجتماعي. الصفة theatrical مسرحي فظة لكنها ربما تكون ضرورية.

أهم أمثلة على كل هذه المجموعة هو بالطبع«person» شخص وشخصية «personality» اللتان تتطلبان نقاشا مستمرا.

انظر : **PERSONALITY شخصية**

إيكولوجيا/علم البيئة ECOLOGY

لم تكن ecology شائعة في اللغة الإنجليزية قبل منتصف ق 20 رغم أن استعمالها العلمي (في الأصل oecology) يرجع إلى سبعينات ق 19، بشكل رئيسي عبر ترجمة عن عالم الحيوان الألماني هيكيل Haeckel. لكن هناك استعمالا واضح الاستقلال، وللغرابة ملائما، لدى ثورو Thoreau من 1858. جاء عن (س ب) oiko، يونانية: أهل البيت ومعها اللاحقة logy من logos: حديث، ومن ثم دراسة منظمة. تشاركها economy نفس الإسناد مع اللاحقة البديلة nomy (قارن Astronomyعلم الفلك) من nomia، يونانية: إدارة، nomos، يونانية: قانون (ناموس). تطورت economy اقتصاد من معناها الأصلي كإدارة منزل (ق16) إلى اقتصاد سياسي political economy (من الفرنسية، ق 16 ـ ق 17) وإلى economics علم اقتصاد في معناها الحديث العام من أواخر ق 18. طورت ecology (عند oklogie Haeckel) معنى habitat بيئة/موطن (اسم لموقع إقامة متميز من ق 18 عن صيغة الفعل اللاتيني «يعيش») وأصبحت دراسة علاقات النباتات والحيوانات بعضها ببعض وبموطنها. تبع ذلك في الاستعمال العلمي: ecotone (منطقة انتقالية بين مجتمعين نباتيين مختلفين) ecotype (نموذج بيئي)، ecospecies (نوع بيئي). في 1931 اعتبر هـ.ج. ولز H. G. Wells أن علم الاقتصاد هو «فرع من علم البيئة ... علم بيئة الجنس البشرى the ecology of the human species». يمهد هذا لتطورات لاحقة مهمة تكون فيها ecology محط اهتمام اجتماعي عام، لكن في البداية كانت الكلمة الأكثر ذيوعا لهذا الاهتمام بالموطن البشري والطبيعي هي environmentalism بيئية. في الواقع كان مصطلح

environmentalismأكثر دقة كمبدأ تأثير المحيط الطبيعي على التطور؛ ارتبط أحيانا بالنظرة اللاماركية Lamarkian أكثر من ارتباطها بالنظرة الداروينية للنشوء EVOLUTION (ا م). ترجع environment بمعنى محيط، كما في environs ضواحي إلى أوائل ق19 من(س م) environner، فرنسية: يحيط، (س ب) viron، فرنسية قديمة: دائرة؛ توسعت كما لدى كارلايل Carlyle (1827): «محيط من الظروف environment of circumstances». أصبحت environmentalist بيئي/ خبير بيئي وكلمات مزاملة لها شائعة من خمسينات ق 20 للتعبير عن اهتمام بالمحافظة conservation («preservation» الإبقاء) واتخاذ إجراءات ضد التلوث. بشكل كبير حلت ecology وكلمات مرافقة لها محل environment ومشتقاتها من أواخر ستينات ق 20 وواصلت هذه الاهتمامات وزادت منها. من هذه الفترة نجد الكلمات: ecocrisis أزمة بيئية، ecocatastrophe كارثة بيئية، ecopolitics سياسة بيئية وecoactivist ناشط بيئي، وتشكيلات أكثر تحديدا لمجموعات وأحزاب إيكولوجية. أعيد النظر في تفسير علم الاقتصاد والسياسة والتنظير الاجتماعي بسبب هذا الاتجاه المهم والمتنامي وذلك من منطلق اهتمام مركزي بعلاقات الإنسان بالعالم الطبيعي كأساس ضروري للسياسة الاقتصادية والاجتماعية.

انظر: CONSUMER مستهلك، EVOLUTION نشوء، EXPLOITATION استغلال، NATURE طبيعة، WORK عمل

متعلم EDUCATED

في الأصل كانت educate تعني ينشئ rear ويربي أطفالاً، من (س ب) educare لاتينية: يرعى، ينشئ (وليس من educere: يقود، ينمي، التي منها صيغة التأكيد: educare) و(س م) educationem، لاتينية، بنفس المعنى العام. لم يُفقد أبداً المعنى العام، لكن تم حصره على التعليم والتدريس المنظمين منذ أوائل ق17، وبشكل سائد منذ أواخر ق 18. فإذا لم يتحصل معظم الأطفال على مثل هذا التعليم المنظم كان التمييز بين متعلم educated وuneducated غير متعلم، واضحا إلى حد معقول، لكن من المثير أن هذا التمييز أصبح أكثر شيوعاً منذ تطور التعليم النظامي بشكل عام بل حتى منذ تطور التعليم العام. هناك مفهوم طبقي واضح في هذا الاستعمال وتم باستمرار تعديل المستوى الذي تشير إليه متعلم educated ليتسنى إسقاط معظم الناس الذين تلقوا تعليماً دونه. أسهم في هذا الوضع على الأرجح المعنى الباقي لتنشئة كما في القول حسن النشأة properly brought-up التي يمكن أن تدل على ما تحدده أية مجموعة بذاتها. الكلمتان over-

educated زائد التعلم و half-educated نصف متعلم هما صفتان من منتصف ق 19 وبشكل خاص من أواخر ذلك القرن؛ هما ضروريتان للاحتفاظ باستعمال مميز لمتعلم educated ذاتها. يتفاعل هذا الاستعمال مع استعمال متخصص لكلمة intelligent ذكي، ليميز مستوى أو قدراً معيناً من المقدرة يختلف عن المقدرة العامة التي كانت الكلمة تدل عليها في الأصل. يظل جديرا بالملاحظة أنه بعد قرن تقريباً من التعليم العام في بريطانيا فإن معظم السكان، حسب هذا الاستعمال، يعتبرون غير متعلمين أو أنصاف متعلمين ولكن الحكم متروك للمتعلمين إن كانوا ينظرون إلى هذا في زهو أو في تأنيب الذات أو في تبرم من سخف هذا الاستعمال.

انظر: CULTURE ثقافة، INTELLECTUAL مفكر

نخبة ELITE

هذه كلمة قديمة أعطيت منذ منتصف ق18 معنى اجتماعياً معيناً وأعطيت منذ أوائل ق20 معنى اجتماعياً آخر مشابها لكنه مختلف. في الأصل وصفت elite شخصاً منتخباً أو تم اختياره بطريقة رسمية، من (س م) elit، فرنسية قديمة، من elire: ينتخب، من (س ب) eligere، لاتينية: يختار ومنها electus، لاتينية: مختار وكل مجموعة الكلمات الإنجليزية elect ينتخب، electionانتخاب، electoral انتخابي. توسعت elect في ق 15 من أشخاص تم اختيارهم بطريقة رسمية في عملية اجتماعية إلى مفهوم كونهم منتخبين بشكل خاص من قبل الإله («the elect» الصفوة المنتخبة في الثيولوجيا والفكر الاجتماعي المرتبط بها)، وفي اتجاه مختلف، إلى مختار select أو منتقى choice، الأشخاص المفضلين والبارزين. هكذا اتسع ما كان في الثيولوجيا أو في النشاط الاجتماعي نوعا من الاختيار الرسمي إلى عملية امتياز أو تمييز discrimination، حيث لم يعد هناك تفريق بين elect منتخب والأفضل best والأهم «most important». وبين كثير من هذه الكلمات التي تصف هذه العمليات المعقدة والمتشابكة ـ distinguished متميز، preferred مفضَّل، select مختار، choice منتقى (كلها صفات) ـ نفس التعقيد والتداخل.

صارت كلمة electعموما معادلة (عدا استعمالها الخاص كنتيجة الانتخاب election) لاستعمال elite بعد منتصف ق 18 والتي أصبحت المفضلة بشكل شبه دائم بهذا المعنى. لكن على الأرجح، كنتيجة لاستعمال elect الثيولوجي المثير للجدل الذي تميز بشكل محدد عن «الاختيار الاجتماعي أو البروز الاجتماعي»، تمت إعادة تبني الصيغة الفرنسية elite التي حلت في النهاية محل elect في كل معانيها العامة كاسم. استمر بالطبع الفعل وبقيت

elected منتخب و the elected المنتخب لتصف المختارين رسميا (سوى المتبقي في Bishop-Elect الأسقف المنتخب أو Professor-Elect الأستاذ المنتخب وأمثالهما).

عبّرت elite من منتصف ق 18، وبشكل أكثر شيوعا من أوائل ق 19، في المقام الأول عن التميز الاجتماعي عن طريق الرتب، لكنها كانت تستخدم كذلك للتفريق بين أعضاء المجموعة الواحدة. قارن قول بايرون في 1823: «في تصنيف واحد مع كونتيسات بلانك الأخريات إلا في الرتبة؛ في الوقت نفسه كذبة lie الناس ونخبتهم elite» (Don Juan XIII)، حيث المعنى سلبي والكلمة ما زالت نسبياً جديدة، مع بعض الالتباس في نطقها بالإنجليزية)؛ «نخبة النبالة الروسية the elite of the Russian nobility» في ترجمة إنجليزية لكتاب فرنسي، 1848)؛ «ونخبة جيل متحضر بالمقارنة بسواه» (1880). أصبحت elite في تطورها على هذا المنوال مساوية تقريباً للأفضل best وكانت لها أهمية في ظروف مجتمع ق 19 الجديدة ولفها غموض مثل أنواع أخرى من التمايز تجسدها مرتبة rank مرتبة، order رتبة، وCLASS طبقة (ا م).

لم يكن مدهشاً إذن ظهور الكلمة بمعنى حديث محدد يتصل بالمناقشات الدائرة حول طبقة class. ولذلك عنصران رئيسيان: الشعور بأن هناك تفككا في أساليب اختيار الأنسب للحكم، أو لممارسة نفوذ عن طريق مرتبة أو وراثة، وفشل في إيجاد طرق جديدة لاختيار مثل هؤلاء الأشخاص عن طريق انتخاب رسمي (برلماني أو ديمقراطي)؛ ثانياً: في رد على الأفكار الإشتراكية عن الحكم من قبل طبقات، أو عن السياسة كصراع بين الطبقات، كان هناك القول بأن التشكيلات الفعالة في الحكومة والنفوذ ليست هي الطبقات وإنما النخب. يمثل المفهوم الأول وهو الأقل رسمية في ق 19 كلمات بديلة كثيرة ـ clerisy أهل المعرفة (كوليردج)، الحكماء the wisest (مل Mill) وقول آرنولد «the best» الأفضل و«the remnant» البقية الباقية. الأهمية في كل حالة تكمن في التمييز المفترض لتجمعات كهذه عن تشكيلات اجتماعية نافذة وقائمة. في استعمال ق20 العام، وجدت كل هذه الافتراضات طريقها إلى elite، رغم أنه ذو دلالة كون الكلمة ما زالت تستبعد بسبب بعض تداعياتها (غالباً تستعمل الآن مفاهيم excellence امتياز أو STANDARDS معايير (ا م) المجردة للتعبير عن أفكار مشابهة أو مقاربة). استعمل فعليا المعنى الثاني الأكثر رسمية في اتجاه في النظرية الاجتماعية مستمد من Pareto باريتو و Mosca موسكا. ميز باريتو بين نخب حاكمة governing elites وأخرى غير حاكمة، لكنه أصر كذلك على أن الثورة وغيرها من طرق التغيير السياسي إنما تنجم عن انحطاط وعدم ملاءمة نخبة سابقة، ومن ثم

معارضتها وإزاحتها أو إسقاطها من قبل نخبة فعلية جديدة كثيرا ما تدعى أنها تقوم بذلك لمصلحة طبقة. يشير معنى نخبة هذا إلى مجموعة صغيرة مؤثرة تبقى نخبة فقط عن طريق التداول والتعزيز بأعضاء جدد؛ إن الاستمرارية التبادلية للمراتب والطبقات يحول دون تكوين نخبة حقيقية أو استمرارية فعاليتها. واعتبر موسكا ظهور ونجاح النخب بديلا ضروريا للثورات. تتضافر بقايا نظرية «صراع طبقي» مع أفكار مجتمع فيه منافسة مفتوحة لتنتج عندئذ نخبا متنافسة competitive elites وهكذا تكون إما مجموعات قديرة تمثل مصالح اجتماعية متنافسة أو متعارضة وتستعملها، أو بطريقة أكثر حيادية، مجموعات قديرة بديلة تتنافس في سبيل السلطة السياسية. استعملت كل من هاتين الصيغتين في الأحزاب السياسية الحديثة وكل منهما مراجعة جذرية (لا تكون دائماً واعية بذلك) لنظرية الحكومة الديمقراطية DEMOCRACY (ا م) العامة المفترضة، وخصوصاً للديمقراطية النيابية REPRESENTATIVE (ا م). مثل هذه النخب لا «تمثل» represent؛ هي تعبر عن أو تستعمل مصالح أخرى (سواء لأغراضها الأنانية أم لا، وهذا مجال خلاف لأن مناصري النظرية يدعون أن أهدافهم الفعلية كنخب هي التوجهات الضرورية الأنسب للمجتمع ككل).

أنتج الهجوم على هذه المواقف، منذ 1945، الصفتين السلبيتين عادة: elitism نخبوية و elitist نخبوي. تجمع معظم الاستعمالات المعاصرة لهاتين الكلمتين معارضة المفهوم غير الرسمي للحكم أو النفوذ من قبل الأفضل «the best» مع معارضة الإجراءات السياسية والتعليمية المصممة لإنتاج نخب في مفهوم أكثر رسمية. هذه إذن إما (1) معارضة حكم أقلية أو تعليم خاص بتلك الأقلية بما في ذلك جميع الإجراءات والمواقف المتوافقة مع هذه العمليات أو (2) معارضة أعم لكل أنواع التمييز الاجتماعي سواء وضع وموروس رسميا أم لا. هناك التباس بين هذين المفهومين وقد يكون هذا مهما في العلاقة بين أفكار نخبة وأفكار طبقة class أو طبقة حاكمة ruling class حيث يبدو أن النقاش الاجتماعي الحقيقي يتمركز. إن وجود كلمات ايجابية بديلة للأقلية السياسية المؤثرة مثل vanguard طليعة و cadres كوادر أمر ذو معنى. تتداخل هذه بشدة في بعض الاستعمالات مع المفهوم الرسمي لكلمة نخبة رغم أن هناك تمييزا (يتعلق بالأغراض النهائية) بين أحزاب اليمين وأحزاب اليسار (مع ذلك قارن leaderslip قيادة كاسم جمعي وهو يستعمل في الإثنين). في نفس الوقت للارتباط الإتيمولوجي المنسي بين elite وelected اهتمام معين ساخر .

انظر: CLASS **طبقة**، DEMOCRACY **ديمقراطية**، REPRESENTATIVE **نائب، ممثل**، STANDARDS **معايير**

امبيريقي/تجريبى EMPRICAL

امبيريقي empircalوالكلمة اللصيقة بها empiricism امبيريقية/ تجريبية هما الآن في بعض السياقات من أصعب الكلمات في اللغة الإنجليزية. دخلت empirical (مع empiric) الإنجليزية في ق 16 من (س م) empiricus، لاتينية، من empeirikos، يونانية، من (س ب) empeiria، يونانية: خبرة experience، من empeiros، يونانية: ماهر skilled، peira يونانية: اختبار trial، تجربة experiment. لكن هذا التطور العام قد تأثر بطريقة جذرية في معظم الاستعمالات الإنجليزية الأولى باستعمال متخصص للمصطلح في الطب اليوناني حيث كانت هناك مدارس متنافسة: Empiriki تجريبية، Dogmatiki دوغماتية و Methodiki ميثودية/ منهجية. اعتمدت الامبيريقية على الملاحظة والأساليب المقبولة وكانت تشكك في التعليل التنظيري. تكرر هذا الاستعمال في الإنجليزية في المجال الطبي غالبا واكتسب بالإضافة إلى معناه الحيادي معنى ازدرائياً: «مشعوذون، أطباء دجالون، امبيريقيون Empiricks (Browne ، 1621). توسع هذا المعنى فيما بعد إلى نشاطات أخرى غير الطب ليدل على جهل أو ادعاء واستعملت empiricism التجريبية في البداية، من ق 17، بهذا المعنى الذي تغلب عليه السلبية.

الجدل الواسع الذي أثر في النهاية في معاني empirical امبيريقي وempiricism امبيريقية هو جزء من حركة علمية وفلسفية شديدة التعقيد. تدل المعاني الحديثة الأبسط على الاعتماد على التجربة experience تحت الملاحظة، لكن كل شيء يرتكز على كيفية فهم «experience». من بين معانيها الرئيسية أنها كانت حتى أواخر ق 18 مرادفة لاختبار experiment (قارن الفرنسية الحديثة)، عن المصدر المشترك (س ب) expiri، لاتينية: يجرب ويضع تحت الفحص. لم تعد « experience اختبارا» أو «فحصا مقصودا» فقط وإنما شعوراً بما تم فحصه أو اختباره ومن ثم شعور بأثر أو حالة. اكتسبت من ق 16 معنى أشمل تم فيه ضم متعمد للماضي (المجرّب والذي تم فحصه) يدل على معرفة مستمدة من أحداث فعلية بالإضافة إلى تلك المستمدة من ملاحظة معينة. احتفظت experiment تجربة بالمعنى الأبسط: الفحص والاختبار.

تكمن الصعوبة في أن empirical وإلى حد ما empiricism استعملتا تحت تأثير هذه المعاني المعقدة والمتداخلة. هكذا وبمحاذاة معنى امبيريقي الازدرائي كدجال كان هناك استعمال أصبح مهما خاصة في الطب وعلم ق 17 الجديدين: «امبيريقي، هو ذلك الذي يعتمد عمليا على الاختبارات العملية experiments (1569)؛ «كان لديه مختبر، وعرف

كثيرا من الأدوية الامبيريقية (empirical medicines» 1685). استعملت empiricals امبيريقيات لمواد التجريب العلمي. استمرت امبيريقية بمعنى مهم يتعلق بالملاحظة والتجريب كاجراء علمي أساسي مألوفة في الإنجليزية إلى اليوم.

أصبحت الكلمة معقدة بسبب عاملين: أولهما، دل معنى Empiriks المحدد والمعنى الإنجليزي المستنبط: «غير مدرب» و«جاهل» ليس فقط على الاعتماد على الملاحظة والتجريب لكن أيضاً على لامبالاة ومعارضة قاطعة للتنظير. ثانياً، أنتج الجدل الفلسفي المعقد حول الإسهام النسبي للتجربة experience والعقل reason في صنع الأفكار، كوصف لجانب من الجدل. يدل المصطلحان empiricism امبيريقية وempiricist امبيريقي على أن نظريات المعرفة تستمد كلية من الحواس ـ أي من experience تجربة (وليس experiment تجريب/اختبار) بمعناها المحدد الآن. كانت هناك ولا تزال تنويعات كثيرة على هذا الجدل لكن النقطة الحاسمة لفهم تطور الكلمة هي سلسلة المعاني بدءا من الإيجابية «ملاحظة مباشرة direct observation» (قارن معرفة وضعية positive knowledge ووضعية POSITIVISM (ا م) إلى السلبية «ملاحظة عشوائية «random observation أو مجرد ملاحظة دونما مبدأ أو نظرية موجهة. أدى نقاش متخصص ومعقد في نظرية المعرفة إلى استعمال تاريخي محدد، ذلك المرتبط بالفلاسفة الإنجليز الامبيريقين empirical أو empiricist من لوك Locke إلى هيوم Hume. لكن الاستعمال الحديث العام لا يرتبط بتفاصيل الجدل الفلسفي بقدر ما يرتبط بالتمييز العريض بين معرفة تعتمد على الملاحظة (experience خبرة وexpirement تجربة) ومعرفة تعتمد على استعمال آراء ومبادئ موجهة تم التوصل إليها بالعقل أو أن العقل يحكمها. يقود هذا التمييز الصعب أحياناً إلى استعمال فضفاض لامبيريقي empirical لتعنى لا نظري atheoretical أو ضد التنظير anti-theoretical وهذا يتفاعل مع التمييز الأكثر شيوعاً بين عملي practical ونظري THEORETICAL (ا م).

من الصعب التعمق في الإنجليزية الحديثة دون مواجهة استعمالات مشوشة أو على الأقل صعبة لإمبيريقي وامبيريقية. النظرية أو الفرضية يتم وضعها تحت فحص إمبيريقى (يعنى هذا عادة أن تختبر الملحوظة، إن لم تكن النظرية بالتحديد هي التي تختبر). يوصف تقرير بأنه «امبيريقي بشكل فج» بمعنى ليس ببعيد عن معنى أوائل ق17 : غير مدرب أو جاهل، يشير في الدرجة الأولى إلى غياب أية أفكار أو مبادئ موجهة أو ضابطة (أو أنها ليس كافية)؛ بينما يكون تقرير آخر ملائما إمبيريقيا أو «مقنعا بشكل إمبيريقي» ويفهم من ذلك أن المعلومات

موثوقة أو أن فرضية ما قد أثبتت. توضع بعض المواضيع الحاسمة على المحك في النقاشات التي تطورت من خلالها الكلمات، لكن عادة ما تُحجب هذه المواضيع بدلا من أن توضّح بالاستعمال الشائع الآن لامبيريقي وامبيريقية كمتقابلتين بسيطتين للمدح واللوم. فإذا ما امتد تحديد الكلمات أكثر بإضفاء صفات قومية ـ «الميول الإنجليزية الامبيريقية»، «الامبيريقية الأنجلوسكونية رديئة السمعة» ـ يفقد النقاش عادة كل جدية.

انظر : **EXPERIENCE خبرة/تجربة، POSITIVISM وضعية، RATIONAL عقلاني، SCIENCE علم، THEORY نظرية**

مساواة EQUALITY

كانت equality تستعمل بانتظام في الإنجليزية منذ أوائل ق 15، وترجع إلى (س م) equalité، فرنسية قديمة، aequalitatem، لاتينية، (س ب) aequalis، لاتينية من aequus ـ مستو، متكافئ، عادل. ارتبطت استعمالات equality الأولى بكميات مادية لكن وجد استعمال اجتماعي للكلمة، خاصة بمعنى تكافؤ المرتبة من ق15 وأصبح أكثر انتشارا من ق16. تطورت من ذلك equality التي تشير إلى حالة عامة ومثّل ذلك نقلة حاسمة. لم تعد تعني مقارنة مراتب ولكن توكيداً على حالة أكثر عمومية، طبيعية كانت أم معيارية. يتضح هذا الاستعمال عند ميلتون Milton (Paradise Lost xii,26)

... not contenet
With faire equalitie، fraternal state

... لم يكن قنوعاً
بالمساواة العادلة، بالوضع الأخوي

لكن بعد منتصف ق17 لم تعد شائعة مرة أخرى بهذا المعنى حتى أواخر ق 18 عندما أعطيت توكيداً محدداً في الثورتين الأمريكية والفرنسية. أما ما تم الإصرار عليه فقد كان أولاً «حالة جوهرية» - «خلق كل الناس سواسية» ـ وأخيراً مجموعة مطالب محددة، كما في المساواة أمام القانون، أي تعديل التمييزات التشريعية السابقة بشأن مزايا ومراتب الإقطاع وما بعد الإقطاع. ولعلاقة كلمة مساواة equality بالفكر الاجتماعي فرعان رئيسيان: أولاً : عملية المساواة equalization المبنية على المبدأ الأساسي القائل إن كل الناس متساوون طبيعيا كبشر، لكن ليسوا متساوين بالضرورة في صفات معينة. ثانيا: عملية إنتفاء المزايا الموروثة المتأصلة المبنية على مبدأ أن كل الناس يجب أن تكون «بدايتهم متساوية equal start» رغم أن هدف أو نتيجة هذه العملية قد تكون أنهم فيما بعد قد يصبحون غير

متساويين في الانجاز أو الوضع. بالطبع هناك تداخل كبير بين هذين الاستعمالين، لكن هناك في نهاية الأمر تمييزا بين (1) عملية مساواة متواصلة تتم فيها إزالة أو تخفيف أي وضع ـ سواء موروثا أم جديد التكوين، يميز فيه أناس على آخرين أو يمنحهم سلطة عليهم ـ باسم المبدأ المعياري (الذي يقرّب معنى المساواة من معنى الأخوة، كما في استعمال ملتون)؛ و(2) عملية إزالة أو تخفيض ميزات تكون فيها فكرة المساواة الأخلاقية محصورة على وجه العموم في الظروف المبكرة بينما تعتبر عدم المساواة inequalities اللاحقة أمراً محتوماً أو منصفا. والمعنى الأكثر شيوعاً من (2) هو مساواة في الفرص equality of opportunity التي يمكن أن تفسر بأنها منح فرصة متساوية للناس ليصبحوا غير متساويين «equal opportunity to become unequal». (قارن استعمال underpreviledged غير ميسور/ فاقد الميزات، حيث privilege الامتياز هو المعيار لكن هناك من يحصل على قدر منه أقل من الآخرين، لوصف مجموعة فقيرة أو محرومة أو حتى مضطهدة). ترتبط الشكوى المألوفة ضد مفهوم (1) الذي يسعى لجعل كل الناس متساويين تماماً ببرنامج المساواة الاقتصادية الايجابي الذي شكل في انجلترا في منتصف ق 17 مبدأ المساواتيين Levellers. هناك قطيعة تاريخية واضحة ضمن كل من هذين المفهومين بين برامج تقتصر على حقوق سياسية وقانونية وبرامج تشمل أيضا مساواة اقتصادية في أي من صيغها المختلفة. في أوائل ق 19 طرح الرأى بأن استمرار عدم المساواة الاقتصادي، كما هو موجود في نظم ملكية ملاك الأراضي أو ملكية الرأسمالية لوسائل الإنتاج، جعل المساواة القانونية أو السياسية مثالية محضة.

تم إبدال الصيغة الإنجليزية الأقدم equalitarian، التي ترجع إلى منتصف ق 19 تحت تأثير نقاش مستمر من الثورة الفرنسية، بنصير المساواة egalitarian المشتقة من الصيغة الفرنسية الحديثة.

فى النقاش الاجتماعي الدائر حول «مساواة» كان هناك تشبث واضح بالمفهوم المادّي للكلمة كمصطلح للقياس، ولا يزال هذا الاعتراض قائما حول برامج المساواة الاقتصادية أو حتى برامج المساواة القانونية والسياسية (رغم أن ذلك قد خف الآن) بالقول صراحة إن الناس غير متساوين في صفاتهم القابلة للقياس (كطول القامة، والنشاط، والذكاء، الخ). وكان الرد على ذلك هو أن ما يجب إثباته هو أن للفرق القابل للقياس صلة بعدم مساواة محدد حسب المفهوم الاجتماعي: لن يكون للطول صلة به، أما لون البشرة فقد ظل ذا صلة، أما للنشاط أو الذكاء فهناك صلة واضحة، وحول هذه النقطة يتمحور أخطر الجدل

المعاصر. تتعلق معظم الفروق القابلة للقياس من هذا النوع بمعنى (2) وتعتبر، حتى عندما تكون حقيقية ويمكن إثباتها، أنها تابعة لمعنى (1) الذي لا يمكن فيه بطريقة معقولة استعمال أي فرق بين الناس أو بين الرجال والنساء لمنح بعض الرجال سلطة على رجال آخرين أو، وهذا حاسم الآن، على نساء.

انظر: **DEMOCRACY ديمقراطية، ELITE نخبة**

اثني ETHNIC

الكلمة موجودة في اللغة الإنجليزية منذ منتصف ق 14. يرجع أصلها إلى (س م) ethnikos يونانية: وثنى، همجي (هناك علاقة محتملة وإن لم تكن مثبتة بين ethnic وبين heathen وثنى (س م) haethen، انجليزية قديمة). استعملت بشكل واسع بمعاني همجي، وثنى وغير يهودي gentileحتى ق 19 عندما تجاوز هذا المفهوم معنى آخر هو الصفة الجنسية RACIACL (ا م). أصبحت ethnics تستعمل في الولايات الأمريكية فيما وصف في 1961 بأنه «تعبير مهذّب يوصف به اليهود والإيطاليون والسلالات الأخرى الأدنى». يرجع ethnology علم الأعراق البشرية والاثنوغرافيا ethnography وصف الأعراق، وكلمات أخرى مرتبطة بهما إلى ثلاثينات وأربعينات ق 19، على الأرجح تحت تأثير ألماني، أما الصلات المبكرة مع أنثروبولوجيا ANTHROPOLOGY (ا م) فهى معقدة. تنحصر الاستعمالات العلمية الآن في مجالات متخصصة ضمن الأنثروبولجيا؛ بشكل نموذجي الاثنوغرافيا للدراسة الوصفية للعادات والاثنولوجيا لنظريات التطور الثقافي.

ثم عادت ethnic للظهور في منتصف ق 20، على الأرجح بتأثير من الاستعمال الأمريكي السابق للكلمة ethnics بمعنى أقرب إلى FOLK (ا م) فولك/ شعب كأسلوب معاصر متيسر يتمثل بشكل عام في الملابس والموسيقى والطعام. يمتد الاستعمال من انتساب وثيق إلى تراث (وطني NATIVE (ا م) وثانوي أو تابع subordinate)، كما هو موجود عند مجموعات اجتماعية في أمريكا، إلى تعبير للنمط السائد المفضل fashion الموضة في التجارة الميتروبولوتية.

انظر: **ANTHROPOLOGY انثروبولوجيا، CULTURE ثقافة، FOLK فولك/شعب، RACIAL عرقى**

نشوء/تطور/ترقي EVOLUTION

نشأت evolution من معنى نشر أو بسط شيء ما لتدل في النهاية على شيء يتم بسطه.

وهي الآن مألوفة بمعنيين شائعين لكن في أحدهما وفي مقابلته المحددة لثورة REVOLUTION (ا م)، يبرز مدى أهمية تاريخها المعقد.

ترجع evolve إلى (س م) evolvere، لاتينية: يبسط، ينشر، ينهض، من (س ب) volvere لاتينية: يطوي. ظهرت في الإنجليزية، مع evolution، في منتصف ق 17. ترجع evolution إلى (س م) évolution، فرنسية، من evolutionem، لاتينية، سجلت بمعنى: بسط كتاب. كانت استعمالاتها الأولى فيزيائية ورياضية بمعنى جذر الكلمة، لكن سريعا مااستعملت مجازياً لكل من الخلق الإلهي وكذلك الاستنباط أو التشكيل المتنامى لأفكار Ideas أو مبادئ مثالية Ideal Principles. واضح من معنى الجذر ومن الاستعمالات الأولى أن المفهوم المتضمن هو بسط شيء موجود فعلاً. يدرك الإله «تطور (بسط) evolution العصور الكامل» (1667) في لحظة واحدة سرمدية؛ هناك «تطور (بسط) للأشكال الخارجية» (مور 1647)؛ وهناك «نظام كامل للطبيعة البشرية ... يجب أن يتكون تطوره من هيئة وتشكيل الطبيعة البشرية» (هيل 1677).

ثم ظهر لها في البيولوجيا معنى يبدو حديثاً. اكتسبت evolution معنى تطور من أعضاء غير تامة النمو إلى أعضاء كاملة النمو، وكانت نظرية التطور كما طرحها بونيه Bonnet في 1762 وصفا للتطور من جنين يحتوي بالفعل، في صورة بدائية، على كل أجزاء الكائن الحي، وكذلك إشارة إلى أن الجنين نفسه تطور من صورة سابقة لوجوده. هكذا مفهوم «البسط" من شيء موجود فعلاً لايزال حاضرا بشكل حاسم. لكن خلال وصف عمليات طبيعية مختلفة أصبحت evolution تستعمل وكأنها معادلة لنمو development (من منتصف ق 18، من develop، ق 17: يفض، يكشف للعيان، يتمّم). لكن لا يزال من الصعب التأكد ما إذا كان استعمال محدد يحمل معنى راسخا لشيء ضمني أو سابق الوجود وبالتالي يجعل الترقي evolution طبيعياً أوضرورياً. في الاستعمال المعاصر محدود الانتشار لكن المألوف لـ evolution (تطور نقاش أو فكرة) لا يزال حاضراً عادة مفهوم development الضروري والمنطقي.

أما ما حدث في البيولوجيا فهو إذن تعميم لمعنى development (كشف تام للعيان) من أشكال غير تامة النمو إلى نامية، وخاصة لمعنى development المحدد، تطور من كائنات «أدنى» إلى «أرقى». أصبح من أواخر ق 18 وأوائل ق 19 معنى عملية طبيعية عامة معروفا بالتدريج كتاريخ طبيعي علاوة على عمليات طبيعية معينة. كان ذلك واضحا لدى لايل Lyell عن تطور حيوانات برية في 1832 وأشار إليه داروين في «أصل الأنواع»

(1859) كما اعترف به «جميع الطبيعيين(علماء التاريخ الطبيعى) تقريبا» «بشكل من الأشكال» في «يومنا الحاضر». وفي 1825 عرف هربرت سبنسر نظرية النشوء Theory of Evolution العامة على أنها تطور صور من كائنات حية أدنى إلى كائنات أرقى.

كان الجديد في ما فعله داروين هو وصف بعض العمليات التي عن طريقها تطورت أنواع جديدة ثم تعميم ذلك إلى مأسماه انتخابا طبيعيا natural selection. من المفارقة أن هذه الاستعارة الجديدة تماماً، التي اعتبرت فيها NATURE (ا م) الطبيعة نابذة مثلما هي مطورة لصور مختلفة من الحياة، بقيت ضمن وصف مستمر للعملية كارتقاء evolution بمفهومها كبسط لما هو موجود فعلا أو إتمام ما هو موجود فعلاً. من الممكن أن توصف عملية يثبت بالتفصيل أنها على وجه العموم مادية، وعرضية بمعنى ما، توصف بأنها عملية «للطبيعة» فيها هدف أو أهداف. ومع ذلك فمع انتشار الفهم الجديد لأصل الأنواع فقدت كلمة evolution في البيولوجيا مفهومها كخطة خلقية وأصبحت عملية تطور تاريخي طبيعي. لقد حدثت لأنها حدثت وستستمر في الحدوث لأنها عملية طبيعية. اقتصرت عملية الهدف الضروري على تفسيرات معينة (تطور خلاق creative evolution، أي بيولوجيا كاثوليكية مثلاً).

كان في التشويش الناجم عن الجدل حول evolution بهذا المعنى البيولوجى والتشويش الأعظم المتعلق بتطبيقات مناظرة للتاريخ الطبيعى في التاريخ الاجتماعي أن نشأ التضاد بين كلمتى evolution وrevolution ثورة. أصبح لثورة REVOLUTION (ا م) الآن معناها المتطور كتغير عنيف ومفاجئ بجانب معناها كإقامة نظام جديد. يمكن بسهولة معارضة evolution لها بمعناها كتطور تدريجي. كان لاستعارتي «نمو growth» وعضوي ORGANIC (ا م) ارتباط واضح بهذا المفهوم. للمفارقة وفر التاريخ الطبيعي العام، كما هو ملاحظ في تطور الداروينية الاجتماعية، صوراً لكل ما يمكن تخيله من نشاط وتغيير اجتماعي: منافسة لا رحمة فيها أو تعاون متبادل؛ تغيير بطئ في سجل الصخور أو تغير مفاجئ في ظهور الطفرات mutations؛ تغير عنيف أثناء تحولات في البيئة أو اختفاء أنواع في صراع قاتل - كل هذه يمكن أن تستنبط، واستنبطت بالفعل، كـ «دروس» من الطبيعة تطبق على المجتمع. والقول بأن التغير الاجتماعي يجب أن يكون تطوريا evolutionary قد يعنى أيا من - أو جميع - هذه الأشياء، من تطور بطئ للمؤسسات الحديثة إلى إبادة الطبقات (الأنواع) السابقة واستبدالها بأنواع أرقى. وعلى عكس ثورة revolution كان للمعنى الأول الأثر الرئيسى. كان المعنى المقصود في العادة هو بسط شيء موجود ضمنيا بالفعل (مثل طريقة حياة قومية) أو تطور شيء حسب اتجاهاته المتأصلة (مثل دستور قائم أو

نظام اقتصادي موجود). (قارن التضاد الحديث المألوف بين مجتمعات متقدمة developed وunderdeveloped نامية، حيث يؤخذ كمسلمة الافتراض بأن مصير كل المجتمعات هو أن تصبح حضرية وصناعية - ولا أقول رأسمالية - كما لو كان «مصطلحا تقنيا».) التغير الجذري الذي قد يتضمن رفض بعض الأشكال القائمة أو رفض بعضها يمكن إذن أن يوصف، داخل هذه الاستعارات بأنه «غيرطبيعي» ويمكن ربطه، في تعارض مع معنى ثورة المتخصص، بالعنف المفاجئ مقابل النمو المضطرد.

في تاريخ المائة سنة الأخيرة الفعلي، التي أصبح فيها تعارض ثورة/تطور revolution/evolution مألوفاً، لابد أن يعتبر هذا الاستعمال عبثياً. يستعمل هذا التضاد بعناية فقط بالنسبة للتغيير المخطط حيث هو في الواقع تمييز بين بضعة تحولات بطيئة ومحدودة، يتحكم فيها ما هو قائم فعلاً وتحولات أكثر وأسرع يقصد منها تغيير معظم الوضع القائم. والتمييز ليس في الواقع تمييز عملية أو منهج سياسي وإنما هو انتساب سياسي. في التغيير غير المخطط unplanned ـ أي تطور evolution القوى والعوامل المتأصلة فعلاً في النظام الاجتماعي ـ كان ثمة ما يكفى من عنف ومباغتة، أما المعارضة مع ثورة revolution فلم تكن الا اعتباطية. لكن يصبح اذن التداخل والتشويش بين evolution كـ (1) تطور متأصل و(2) تاريخ طبيعي غير مخطط و(3) تغيير بطيء ومشروط موضوع تحر دائب.

انظر: DEVELOPMENT تطور، NATURE طبيعة، ORGANIC عضوي، REOLUTION ثورة

EXISTENTIAL وجودي

في الإنجليزية المعاصرة تراوح existential بين معنى عام قديم نسبياً (على الأرجح أواخر ق 17، مؤكد من أوائل ق 19) ومجموعة معان جديدة نسبيا مستمدة من اتجاه الوجودية existentialism الفلسفي. كانت existence في الإنجليزية من ق14، من (س م) existence، فرنسية قديمة، existentia، لاتينية: حالة وجود، من (س ب) ex(s)istere، لاتينية: يبرز، يكون مُدركاً ومن ثم بوضوح «يكون». في الاستعمال السابق لـ ق 17 العلاقة غير واضحة بين existence وجود والكلمة التي في ظاهرها تبدو بديلة essence جوهر، ماهية، ق14؛ (س م) essence، فرنسية، essentia، لاتينية: كينونة being. بالتالي: «الله هو الوحيد الكائن بذاته؛ من وجوده existens الطبيعي» (1552)؛ «ليس هناك جوهر بشري يستحق الحسد سوى أبله محمر الوجنتين There is no essence motoral That I can

envie, but a plumpe cheekt foole (Marston 1602). لكن كان هناك استعمال ثيولوجي لكلمة essence في السياق الخاص الذي يكوّن فيه ثلاثة أشخاص (كائنات beings) الثالوث كائنا واحدا (essence جوهر)، وكان هناك كنتيجة لذلك توجه للكلمة نحو معنى كيان أساسي أو مطلق أو نحو الحقيقة التي تكمن خلف المظاهر. أصبح هذا في النهاية أساس التعارض مع وجود existence بتركيز الأخيرة على الكينونة الواضحة والمدركة وبالتالي فعلية (رغم أنه يجب ملاحظة أن existence اكتسبت أيضا معنى استمرار الكينونة الذي له بعض الأثر المعقد). كان هناك تمييز من أواخر ق 17 : «قد أومن بوجودها دونما أتدخل البتة في جوهرها I might believe its Existence, without meddling at all all with its Essence» (مور 1667؛ عن روح spirit).

اتجهت essential جوهري بثبات واطراد نحو معنى fundamental أساسي، متأصل intrinsic أو ضروري، لكن في حالات كثيرة لم يكن لذلك تعارض مع existence؛ في الواقع يكون التعارض متطلباً فقط في أنواع من الفلسفة المثالية أو الميتافيزيقية.

في هذا السياق التأملي بدأت existential تستعمل من أوائل ق 19 كما نجد عند كوليردج في سؤاله «عما إذا كان الإله عليماً وجوديا كما هو جوهريا» "Wheather God was existentially as well as essentially intelligent» أو في تمييزه بين الكلمتين في كتابه The Friend (III): السبب الجوهري للذنب الشيطاني هو عندما يجعل نفسه وجودياً وخارجياً «the essential cause of fiendish guilt when it makes itself existential and peripheric». لكن كان هناك أيضا استعمال عام يعبر عن الواقع أو يدل عليه: «لا يسمح التقليد أن نقول تُنفِذ» ..«it executes». لكن يمكن أن نتبنى بنفس السهولة الصيغة الوجودية «كان هناك تنفيذ«There was an execution» (Venn، 1888).

تأثر استعمال الكلمة في ق 20 بشكل حاسم بالمصطلح الألماني Existenzphilosophie الذي نترجمه. كوجودية existentialism. كان الانتشار الرئيسي لهذا المصطلح على أيدي الفرنسيين بعد 1945، لكن كان هذا الاتجاه معروفا من الفكر الألماني من عشرينات ق20 ويجري عادة إرجاعه إلى Kierkegaard كريكجارد في منتصف ق19. ضمن هذا الاتجاه «الوجود» existence هو خاصة بشرية في تمييز لها عن أشياء أخرى و(في معظم الحالات) مخلوقات يمكن القول بأنها توجد exist. تتعارض existence وجود مرة أخرى مع essence جوهر، لكن أعيد تقييم السمات الرئيسية والثانوية. حيث لا يزال متطلبا تعريف essence جوهر كشيء أساسي وحقيقي يكون ذلك مستمدا من صفات

الوجود، أي من الكائن الفعلي. أحد استعمالات هذا العكس أو القلب هو نقد المثالية والميتافيزيقية: «الوجود يسبق الجوهر» «existence precedes essence»: الحياة الفعلية هي الأساس وأية صفات جوهرية، كما لو كان، تستقطر منها. لكن تحرك الاتجاه الجديد الرئيسي (الذي كان في العادة هناك إصرار على أنه ليس نظاماً فلسفياً) كان نحو مفهوم فرادة uniqueness وعدم القدرة على التنبؤ في أية حياة فعلية بالإضافة إلى معنى مواز يرفض الحتمية DETERMINISM (ا م) أو أي تفسير مبني على دوافع داخلية. رافق حالة الحرية في الاختيار والفعل هذه، حسب طرق فريدة ولا يمكن التنبؤ بها، حالة إلحاح وقلق؛ في صيغة شائعة، الاختيارات والأفعال التقليدية أو المتنبأ بها أو «المبرمجة» programmed هي فشل في الوجود، هذا الوجود الذي يعني تحمل الفرد مسئولية حياته دونما يقين محتمل لأية نتيجة معروفة حسب مخطط مدروس. لكن التولي المتعمد لمسئولية كهذه في مواجهة ما هو بالضرورة مجهول ولا يمكن التنبؤ به (وبهذا المعنى الخاص «عديم المعنى»، حالة من العبث حسب المفهوم الخاص الشائع الآن) أثار قلقا «angst» واضحا فيه رعب وحتمية. عاش الأفراد الذين لم يدركوا كيف يتم ذلك في أنفسهم in themselves فقط؛ لكي يعيشوا لأجل أنفسهم for themselves يعني تحمل مسئوليات معروفة في سبيل هذه الحرية ضمن العبثية.

هناك تنويعات كثيرة على هذا الاتجاه وكانت هناك محاولات لدمج ذلك مع نظم تتضمن قدراً من الحتمية مثل الفرويدية أو الماركسية. تحكمت عدة من التنويعات في استعمالات existential وجودي الخاصة مع إشارة ضمنية إلى صيغة من صيغ الوجودية existentialism. لكن عبارات مثل شعور وجودي existential awareness، واستعمال existential وجودي مع أنواع من أسماء الشعور والحركة، تجاوزت كثيراً التعبير عن أي موقف محدد. في مفهومها الدال على عملية أو واقع أو آنية (process, actuality, immediacy)، يمكن اعتبار هذه العبارات والاستعمالات مرتبطة بمفاهيم تسبق مفاهيم وجودية بل هي ترتبط بتاريخ الكلمة الرئيسي. في الدرجة الأولى، فيما يتعلق بمفاهيم الاختيار والقلق وعدم التنبؤ، أضاف الاتجاه الفلسفي، مهما كان فضفاضا في حالات كثيرة، معنى خاصا للكلمة المعاصرة. لكن هذا ليس دائماً منفصلا عن استعمالات وصفية بسيطة للعيش أو الواقع، وفي بعض الحالات يخلق هذا تشويشاً. هكذا يمكن ان تعني «الطبيعة الوجودية existentialist characteristic للحياة في المدينة الحديثة» (1) الحياة اليومية المشاهدة مباشرة لسكان مدينة حديثة دونما افتراض مسبق بخصائصها الضرورية الجوهرية essential؛ أو (2) حياة سكان المدينة الغريبة فاقدة المعنى والمستلبة والمليئة

بالفرص الفورية لاختيارات غير متوقعة ومشحونة أيضا بالتهديد والقلق؛ أو (3) الحالة العبثية للمدينة الحديثة كنظام اجتماعي بما فيها من حالات متأصلة (جوهرية؟ essential?) للغربة وفقدان الهدف والصلات. من الأنسب، إذن، أن نبحث كلما استعملت هذه الكلمة الفعالة عن تحديد وجودي existential سابق.

انظر: DETERMINE يحدد، IDEALISM مثالية، INDIVIDUAL فرد

خبرة/تجربة EXPERIENCE

قد يبدو الارتباط القديم بين experience وexperiment في بعض الاستعمالات الحديثة المهمة مهجوراً تماما.ً (فصّلت العلاقة بين الكلمتين حتى أواخر ق 18 في مادة EMPIRICAL امبيريقي.) المسألة الآن هي البحث في العلاقة بين المعنيين الرئيسين اللذين كانا مهمين من أواخر ق 18. يمكن حصر هذين في (1) معرفة تكونت من أحداث سابقة، سواء بالملاحظة المتعمدة أو التفكير والتأمل و(2) نوع معين من الوعي أو الشعور يمكن في بعض السياقات تمييزه عن «فكر» أو «معرفة». يمكن إعطاء مثل مشهور ومؤثر لكل منهما.

كتب بيرك Burke في كتابه Reflections on the Revolution in France (1790): «لو أمكنني المجازفة باللجوء إلى ما لم يعد، إلى حد كبير، النمط السائد في باريس فإني آمل أن أجرب... experience». هذا طرح محافظ ضد التجديد السياسي «المتهور»، فيه إصرار على الحاجة إلى «تطور بطيء لكن مستمر»، تقبّل كل حدث ومراقبة تأثيره. يمكن فهم كيفية تطور ذلك من مفهوم التجربة experiment والملاحظة، لكن الجديد هو التعميم الواثق لـ «دروس التجربة»: نتائج معينة بالإضافة إلى طرق معينة. ربما أجاب شخص في باريس بأن الثورة نفسها كانت تجربة «experience» بمعنى وضع نوع جديد من السياسة تحت الفحص والملاحظة، لكن بالرغم من كل هذه المعاني السابقة للكلمة فإنه يبدو مؤكدا أنه تم التغلب عليها، على الأقل في الإنجليزية، بمعنى أبلغ وأدق، حينئذ والآن: «دروس» مقابل «تجديدات» وتجارب «experiments».

هذا ما كان بالنسبة لـ «تجربة experience من الماضي». نستطيع الآن متابعة «تجربة الحاضر experience present» في كتاب ت. إس. إليوت (Metaphysical Poets، 1921): «بالنسبة لـ «دون» Donne كانت الفكرة thought تجربة experience، فهي عدلت حساسيته». المتضمن هنا هو تمييز بين أنواع الوعي أو الشعور consciousness؛

بالنسبة لبعض الناس يبدو صعباً أن تكون «فكرة» «تجربة» بينما قد تكون فعلا (أدنى) من التفكير أو الرأي. في هذا الاتجاه الرئيسى، تكون experience تجربة بالتالي هي النوع الأكمل، والأكثر انفتاحا والنمط الفعال للوعي، وتشمل شعورا بالإضافة إلى فكر. في أعقاب مفهوم ديني سابق ظل هذا المعنى فعّالا في النقاش المتعلق بالجمالي aesthetic ويمكن أن يتعارض عبر نطاق شاسع مع أنواع من الوعي ترتبط بالتفكير والتجريب experiment المقصود.

من الواضح أن أسباب الاعتماد على تجربة ماضية («دروس») وتجربة حاضرة («وعي» تام وفعال) مختلفة جذرياً، لكن مع ذلك هناك رابط بينهما في بعض أنواع الشعور والفعل التي يعارضها كلاهما. ليس من الضروري أن يكون الأمر كذلك، لكن تقارب المعنيان فعلياً من أواخر ق 18 ضمن وضع تاريخي مشترك.

من الصعب جداً تحديد مراحل دقيقة في تعقيد ظهور هذه المعاني بناء على إشارات، كامنة دائما، في استعمالات أسبق كثيراً. جدوى تجربة الماضي مدركة بشكل واسع لدرجة أنه من الصعب تصور شخص يرغب في الاعتراض عليها، وتظل مفهوما حيادياً يسمح بالتوصل إلى نتائج متباينة مبنية على ملاحظات جمعت وفسرت بطرق مختلفة. لكن بالطبع هذا تماما ما يقف ضده الاستعمال البلاغي للكلمتين «experiment» تجريب وتجديد «innovation». في زمن معاصر لبيرك تقريباً استعمل بليك Blake خبرة experience بطريقة أكثر إشكالية: أقل ابتذالا، أقل وثوقية؛ في الواقع، تعارض بقلق براءة «innocence». بعيداً عن كونها جملة متيسرة وإيجابية من التوصيات كانت خبرة «experience» «مبتاعة مقابل كل ما يملك الإنسان» (Four «bought with the price of all a man hath» Zoas, II, c 1800). لا يمكن عمليا افتراض أن يكون أي تفسير محدد لخبرة experience موجِهاً؛ من المحتمل تماماً رؤية الحاجة إلى تجريب experiment أو تجديد innovation بناء على خبرة .experience

الاتفاق على هذا أهون من الاتفاق على مشكلة تجربة الحاضر experience present. من الواضح أن هذا يتطلب مناشدة كل الوعي، أي الكائن ككل وليس فقط الاعتماد على حالات خاصة أو مقدرات محددة. بهذه الصيغة تكون experience جزءا من حركة عامة تشكل أساس تطور ثقافة CULTURE (ا م) والمصطلحات المرتبطة بها مباشرة. واضحة قوة هذه المناشدة للكل مقابل صيغ من الفكر تستثني أصنافا معينة من الشعور بدعوى أنها فقط «شخصية» أو «ذاتية» «subjective» أو «عاطفية». لكن ضمن صيغة المناشدة هذه (كما

هو الحال بالنسبة لثقافة CULTURE وفن ART) يمكن أن يصبح الإصرار على الكمال نوعا من الإقصاء لاتجاهات معينة. يكمن التاريخ الحديث هذا في التحول في مفهوم جمالية aesthetics ويمكن إدراك ذلك عندما نتذكر تطور AESTHETICS ذاتها) لكن المرحلة الحاسمة كانت على الأرجح في مذهب معين في الدين، الميثودية على وجه الخصوص.

ينشأ المعنى من كون خبرة experience هي «عمداً موضوع حالة أو وضع» (قاموس أكسفورد OED، 4) وخصوصا من استعمال ذلك في تجربة دينية شخصية أو «باطنية inner». بينما كانت خبرة بهذا المعنى متوفرة ضمن صيغ دينية كثيرة إلا أنها أصبحت مهمة بشكل خاص في البروتستانية وكانت باضطراد السند الأهم في حركات بروتستانية أكثر راديكالية. هكذا كانت في الميثودية «لقاءات خبرة» «experience-meetings» وهي اجتماعات «تلتئم لرواية الخبرات الدينية religious experiences». يسجل وصف من 1857 أنه «كانت هناك صلاة ووعظ وسرد خبرات وإنشاد تراتيل وجدانية». هذه إذن هي فكرة شهادة ذاتية SUBJECTIVE witness (ا م) تعرض للمشاركة. ما هو هام بخصوصها بالنسبة لمفهوم عام لاحق هو أن خبرات كهذه تقدم ليس فقط كحقائق، لكن كأصدق نوع من الحقائق. ضمن الثيولوجيا كان هذا الادعاء موضوع جدل عظيم. تحذير جوناثان إدواردز Jonathan Edwards ـ «تلك الخبرات التي تتوافق مع كلمة الله هي الصحيحة» (1758) ـ هو أحد ردود الفعل الأكثر اعتدالاً. من ناحية تقدم تجربة (الحاضر) كأساس ضروري (مباشر وضروري) لكل التفكير والتحليل (اللاحقين). ومن ناحية أخرى، تعتبر خبرة experience (التي لم تكن اسم المفعول المضارع لـ «feeling» إحساس وإنما لـ «trying» تجريب أو «testing» اختبار شيء ما) نتيجة لظروف اجتماعية أو نظم اعتقاد أو نظم إدراك جذرية وبالتالي ليست مكوِّنة لحقائق ولكن دليلاً على ظروف أو نظم لا يمكن لها حسب التعريف أن تفسرها.

يبقى هذا الجدل الأساسي وليس، لحسن الحظ، قاصراً على هذين الطرفين القصيّين. لكن من البداية، تشوش معظم الجدل بسبب المعاني المعقدة والبديلة أحياناً كثيراً لخبرة experience نفسها. تشمل تجربة الماضي experience past ـ في أكثر الأحوال جدية عمليات التفكير والتأمل والتحليل التي يستثنيها في أقصى حالاته استعمال تجربة الحاضر experience present، التي تنطوي على مباشرة وصحة لاشك يساورها. بالمثل يعتمد اختزال خبرة experience في مكونات تصدر دائما من مكان آخر على إقصاء أنواع من التفكير والتأمل والتحليل ليست من نمط نظامي مستقل عمداً. ليس المطلوب إذن ألا

تفحص tested أنواع كهذه، لكن بمعنى experience الأعمق يجب أن يختبر tried كل نوع من أنواع الشهادة والاعتبارات المرتبطة بها.

انظر: EMPIRICAL إمبيريقي/تجريبي، RATIONAL عقلاني، SENSIBILITIY حساسية، SUBJECTIVE ذاتي

خبير EXPERT

ترجع expert إلى (س م) expert، فرنسية قديمة، (س ب) expertus، لاتينية، اسم مفعول ماضي لـ experiri: يحاول، يجرب to try. ظهرت في الإنجليزية كصفة في أواخر ق 14، أي في نفس الوقت الذي ظهرت فيه experience تجربة، خبرة. بدأت تستعمل ـ وفي هذه دلالة واضحة ـ كاسم an expert خبير من أوائل ق 19 في مجتمع صناعي يضع تركيزاً مضطرداً على التخصص والتأهيل. استمرت في الاستعمال مغطية نطاقاً واسعاً من النشاطات، وصاحبها في بعض الأحيان إبهام معين (قارن qualified مؤهَّل والأكثر تحديدا formal qualifications مؤهلات رسمية). من اللافت أن inexpert كاسم من معنى معارض (فاقد الخبرة) استعملت أحياناً من أواخر ق 19، لكن الكلمة الرئيسية التي تحمل هذا المعنى هي بالطبع layman شخص عادي التي أصبحت شائعة من التضاد القديم بين laymenعلمانيين و clerics رجال دين. ترجع lay إلى (س م) laicus، لاتينية، ليس من رجال الدين، (س ب) laikos يونانية، من الشعب. هناك تطور مشابه في profession مهنة، ق 13، من (س ب) profiteri، لاتينية: يصرح علانية، التي كانت في الأساس إقرارا باعتقاد ديني وصارت أساساً لاسمين؛ professor: مدرس مصنّف، ق14 مقرّ، ق 15؛ professional مهني، ق 18، في نطاق أوسع من المهن والوظائف. ترجع amateur، هاو، إلى (س م) amatore، ايطالية (س ب) amator، لاتينية: عاشق ومن ثم من يحب شيئا. من ق 18 تطورت في ازدواج متعارض مع professional مهني (أولا كموضوع مقدرة نسبية؛ وفيما بعد كتمييز طبقي ثم مادي).

انظر: INTELLECTUAL مفكر/ مثقف

استغلال/استثمار EXPLOITATION

دخلت exploitation الإنجليزية في أوائل ق 19 فيما يبدو أنه استعارة مباشرة من الفرنسية. ترجع الكلمة إلى (س ب) explico، لاتينية، بمعانيها الواسعة التي تشمل ينشر، يبسط ويرتب ويشرح explain (هذا الأخير يؤدى إلى explication شرح، كما أدت المعاني

الأسبق إلى explicit واضح، ظاهر). في الفرنسية القديمة كانت الصيغة المستعملة هى explectation وكان هناك استعمال إقطاعي يعني الاستيلاء على غلّة الأرض التي فشل المستأجر في دفع الالتزام الإقطاعي عنها. لكن كان التطور الفرنسي الرئيسي في الصيغة الحديثة exploitation للاستعمال الصناعي والتجاري للأرض والمواد، الذي كان لا يزال حرفيا في اقتباسات من ق 18 استغلال الأملاح «exploitation des salines»).

تم تقليد ذلك في الإنجليزية كما في مثال من 1803 عن «الاستغلال المنقوص لهذه المستعمرات»، لكن الكلمة كانت لا تزال حتى 1825 تعتبر حديثة: «نجاح تفتقر إليه كل الاستغلالات «exploitations» (معذرة لاستعمال الكلمة الفرنسية)». كانت exploit بمعنى انجاز وتقدم ناجح واكتساب ميزة ومن ثم عملا عظيما موجودة في الإنجليزية كاسم من ق 14 وكفعل من ق 15. أسهم ذلك بوضوح في بروز المصطلح الجديد، خاصة في صيغة الفعل. كانت الاستعمالات الصناعية والتجارية لاستغلال exploitation شائعة منذ أوائل ق 19 لكنها تأثرت كثيرا بتطور معنى حاسم لعمليات مشابهة كان الإنسان موضوعها. بالتالي على سبيل المثال كان هناك «الرق، استخدام الإنسان للإنسان (استغلال exploitation)» (1824)؛ «يصبح ثرياً عن طريق التجارة أو المضاربة أو الاستغلال الناجح للعمل» (1857)؛ «استغلال الجمهور الساذج» (1868)؛ «استغلال واستعباد» (1887). كذلك تزحزحت بعض الكلمات المرتبطة بها: «رأسماليون ومستغلون exploiters» (1887)؛ «ملاك أسهم رأسماليين يستغلون exploiting العمال المأجورين» (1888)؛ «كل طبقة المستغلين» (1883)؛ «طبقة مستغلَة «exploited (1887). لكن لا تزال exploitation تستعمل لعمليات صناعية وتجارية، خصوصه فيما يتعلق باستخراج المعادن التي كانت الكلمة دائما وثيقة الصلة به. ظهرت في ستينات ق 20 sexploitation (استغلال جنسي) لوصف نوع معين من الأفلام والصحافة.

انظر: **DEVELOPMENT تطور، نمو**

عائلة FAMILY

لكلمة family تاريخ اجتماعي ذو أهمية خاصة. دخلت الإنجليزية في أواخر ق 14، من (س م) familia، لاتينية: أهل بيت household، من (س ب) famulus: خادم. يبدو أن الصفة المقاربة familiar أسبق إلى حد ما في الاستعمال العام ونطاق معانيها يذكرنا بنطاق المعاني التي سادت في family قبل منتصف ق 17. هناك المعنى المباشر لأهل بيت household اللاتينية، إما بمعنى مجموعة خدم أو مجموعة تربطهم صلة الدم وخدم يعيشون

معا في منزل واحد. ارتبطت familiar بذلك في عبارات مثل «familiar angel» ملك رفيق، «familiar devil» شيطان رفيق والاسم اللاحق «familiar» (عشير، رفيق) حيث المعنى إما الارتباط بشخص أو خدمته. هناك أيضا عبارة شائعة في ق 15 وق 16: عدو عائلي «familiar enemy» التي تدل على عدو ضمن الأسرة، «داخل السور»، ومن ثم بالاستنتاج عدو من داخل المجموعة. لكن المعاني الأولى الواضحة كانت تلك التي لا تزال حتى الآن سارية في الإنجليزية الحديثة: «في علاقة صداقة أو ود مع شخص ما» (قارن « don't be too familiar» لا تكن ودودا أكثر من اللازم)؛ معروف، كثير الاستعمال، مألوف (قارن familiar in his mouth as household words متردد على شفتيه مثل كلمات أهل البيت»، مسرحية شكسبير «هنري الخامس»). نجمت هذه الاستعمالات من تجربة أناس يعيشون معاً في أسرة، في علاقات وثيقة مع بعضهم البعض ومعتادين على أساليب كل منهم، لا تربطهم صلة دم، كما هو الحال الآن بالنسبة لـ«familiar».

على الأقل من ق 15 توسعت family لا لتصف أهل البيت household وإنما ما سمي ـ وهذا هام - منزلاً house بمعنى ذرية أو مجموعة أقارب معينة عن طريق التحدر من سلف مشترك. توسع هذا المعنى ليدل على ناس أو مجموعة من الناس، أيضا بمعنى التحدر من سلف، وكذلك دلت على مفهوم ديني معين مرتبط هو ذاته بمعاني اجتماعية سابقة كما في «The Father of Our Lord Jesus Christ of whom the whole family in heaven and earth is named» أحنى ركبتيّ لدى أبي ربنا المسيح الذي منه تسمى كل عشيرة في السماوات وعلى الأرض» (Ephesians، 3 : 14، 15). اقتصرت family في نسخة الإنجيل المعتمد (1611) «The Authorized Version of the Bible» على هذه المعاني الشاملة: إما مجموعة أقارب كبيرة، تعادل في الغالب قبيلة (Genesis 10:5; tribe 12:3 Jeremiah 1:15; 31:1; Ezekiel 20 : 32) أو مجموعة أقارب من جد مشترك : «and both he and his children with him, ، then shall he (a brother) depart from thee and and shall return to his own family, «and unto the possession of his fathers shall he return (Number 36:6 قارن Leviticus 25:41)» وعندئذ سيغادرك (أخوك)، هو وأطفاله معه وسيعود إلى أسرته وإلى أملاك آبائه سيرجع». من الملفت أن عبارات مثل طائفة «عائلة المحبة» family of love أو «الأسريين» familists من ق 16 وق 17 استندت على مفهوم مجموعة كبيرة لكنها جعلت الدخول فيها متيسرا وطوعيا عبر الحب.

إذن لا نجد أبداً في مفاهيم ما قبل منتصف ق 17 المعنى الحديث المتميز لمجموعة

صغيرة مقتصرة على أقارب الدم. عندما كان هذا المعنى لعلاقة بين آباء وأطفال متطلبا في سفر التكوين في النسخة الرسمية من الإنجيل تم استعمال نسيب قريب near kin. لكن من الواضح أنه بين ق 17 وق 19 أصبح سائداً معنى مجموعة أقارب صغيرة، عادة تسكن في منزل واحد، سائداً جداً في الواقع لدرجة أنه في ق20 سك تعبيران للتمييز بين ذلك والمعنى الثانوي لمجموعة أقارب كبيرة: أسرة نووية nuclear family وعائلة ممتدة extended family. من الصعب تتبع هذا التطور الذي له تاريخ اجتماعي معقد. من1631 لا نزال نستطيع قراءة «كانت أسرته family تتكون من زوجته وبناته وخادمتين ورجل» بالمعنى الواضح لأهل البيت household. استمر هذا في الاستعمال الريفي مع وجود خدم المزرعة الذين سكنوا في الدار وكانوا يأكلون على نفس الطاولة حتى أواخر ق 18 وربما بعد ذلك؛ كان التمييز اللاحق بين عائلة family وخدم servants مكروهاً جداً. كذلك كان هناك تأثير طويل الأمد من الاستعمال الأرستقراطي بمعنى نسب lineage وظل هذا قويا في العبارة الدالة من ق 18: أنشأ أسرة «found a family». تم التعبير عن التمييز الطبقي في فترة متأخرة ـ ق 19 وبآثار تعدت هذا التاريخ ـ في عبارات مثل «a person of no family» «عديم العائلة» (مقطوع من شجرة) حيث مجموعة القرابة الكبيرة هي المقصودة لكن بمعنى النسل الذي يمكن تقفى أصوله. لم تزل حتى ق 20 تستعمل عبارات مثل العائلة «the family» للدلالة على مجموعة متميزة من الطبقة العليا: العائلة مقيمة «the family is in residence» حيث تم بوضوح عزل معنى مجموعة النسب عن معنى household أهل البيت، لأن الخدم على أية حال موجودون (لكنهم ليسوا مقيمين inresidence حتى ولو كانوا ساكنين resident).

يمكن ربط حصر كلمة عائلة family على مجموعة نسب صغيرة في منزل واحد بنشأة ما يسمى الآن عائلة برجوازية bourgeois family. لكن هذه ترتبط، بمفاهيمها عن أهل البيت والملكية، بشكل أصح، على الأقل حتى ق 19، بالمعنى الأقدم. من أوائل ق 19 نجد عند جيمز مل James Mill هذا التعريف: «المجموعة المكونة من أب وأم وأطفال تسمى عائلة»؛ لكن وجود ضرورة للتعريف مهم في حد ذاته. تشير عدة استعمالات من أواخر ق 17 وق 18 لعائلة بمعنى مجموعة نسب صغيرة غالباً إلى الأطفال بشكل خاص: «لكن في حينه أرسل عائلته وزوجته but duly sent his family and wife Pope Bathurst»، حيث لا يزال مع ذلك قد يوجد معنى أهل البيت. في البداية أشارت family-way، الشائعة منذ أوائل ق 18، إلى معنى familiar لكن فيما بعد وعبر معنى خاص بالأطفال دلت على حمل pregnancy. هكذا كان هناك تداخل، في الفترة بين منتصف ق

17 وأواخر ق 18، بين هذه المعاني المختلفة لنسب، أهل بيت، مجموعة نسب كبيرة ومجموعة نسب صغيرة.

على الأرجح لم تتوطد سيادة معنى مجموعة نسب صغيرة قبل أوائل ق 19. ظهر ثقل الكلمة السائد الآن وتعريف الأنواع الكثيرة من الشعور تجاهها في منتصف ق 19 وما بعده. يمكن أن يمثل ذلك تمجيد العائلة البرجوازية ثم التركيز بشدة على مفهوم العائلة المنعزلة كوحدة اقتصادية عاملة في تطور الرأسمالية. لكن لها صلات أوثق بالإنتاج الرأسمالي المبكر ويمثل تطور ق19، بمعنى من المعاني، تمييزاً بين عمل الرجل work وعائلته: يعمل ليعيل عائلته؛ العائلة تعتمد على عمله. في الواقع من المرجح أن تعريف مجموعة النسب الصغيرة، المدعوم بتطور منازل صغيرة مستقلة وبالتالي أهل بيت، يرتبط بالطبقة العاملة والطبقة «الوسطى - الدنيا» الجديدة التي تم تحديدها عن طريق العمل المأجور: ليست العائلة كنسب أو ملكية أو على أنها تشملهما، وليست العائلة كأهل بيت بالمعنى القديم الراسخ الذي يضم الخدم، ولكن كمجموعة نسب وأقارب لا يمكن تحديد علاقاتها الاجتماعية، بأي معنى ايجابي، إلا عن هذا الطريق. يمكن أن تمثل family عائلة أو family and friends عائلة وأصدقاء الارتباط الايجابي الوحيد في مجتمع عظيم الحجم ومعقد يعتمد كليا على كسب أجره. من المهم أن الشعور الطبقي، الاستجابة الأخرى الرئيسية تجاه المجتمع الجديد، استعمل أخ وأخت للتعبير عن الانتماء الطبقي، كما في عضوية اتحاد العمال، رغم أن في ذلك سابقة دينية واضحة في طوائف معينة. من المهم أيضا أن هذا الاستعمال لأخ وأخت أصبح يعتبر مصطنعاً أو مضحكاً في نظر الطبقة الوسطى. جمعت family عائلة هناك معنى واضحا لعلاقات قرابة دموية مباشرة وايجابية مع معنى التملك الضمني.

إنه تاريخ صعب وآسر لا يمكن تتبعه إلا جزئياً عبر تطور الكلمة. لكنه تاريخ يستحق التذكر عندما نسمع أن «العائلة كمؤسسة في طريقها إلى التلاشي» أو أنه في فترات ماضية، والأمل أن يكون ذلك الآن، كانت «العائلة هي الأساس الضروري للنظام والأخلاق». في هذه الاستعمالات وأخرى مشابهة في الوقت الراهن قد يكون مفيداً تذكر الاختلافات التاريخية الكبيرة، وبعض تعقيداتها المتبقية، وعبر ذلك إدراك التعريفات المتغيرة جذرياً في العلاقات الرئيسية.

انظر: **SEX جنس، SOCIETY مجتمع**

خيال/تخيل/رواية FICTION

لكلمة fiction معنى مزدوج لافت كنوع من التخيل الأدبي IMIAGINATIVE LITERATURE (ا م م) ونوع من الاختراع المحض (بل أحيانا اختلاق أو تضليل متعمد). المعنيان حاضران في الإنجليزية منذ مدة طويلة. دخلت اللغة الإنجليزية في ق 14 من (س م) fiction، فرنسية، fictionem، لاتينية، من (س ب) fingere، لاتينية : يشكل، يصوغ؛ أنتج نفس الجذر feign الذي له معنى يلفّق، يخترع بتزييف وتضليل، من ق13. استعمل كاكستون Caxton الكلمتين معاً: «خيال وخداع fyction and fayning» (1483) لكن «ficcions» بمعنى أعمال متخيلة سجلت من 1398 وفي أواخر ق 16 كانت هناك «poeticall fiction» خيال شعري و«Ancient Fiction» خيال عتيق. كان شائعا بشكل موازٍ استعمال عام يتراوح بين فرضية مصاغة عمداً (mathematical fiction خيال رياضي، 1579) وادعاء مصطنع مثير للشك (of his own fiction من تخيله) وظل هذا الاستعمال في التداول. توسع معنى fictitious، من أوائل ق 17، من هذا الاستعمال إلى معنى اختلاق؛ وتطلب الاستعمال الأدبي البديل اللاحق fictional تخيلي. كان التطور الرئيسي للمعنى الأدبي من أواخر ق 18: «dramatic fiction» تخيل درامي (1780)؛ «works of fiction» أعمال تخيل (1841). من ق 19 صارهذا التعبير مرادفاً تقريباً لروايات novels. أدت شعبية الروايات إلى إعادة تسمية غريبة من قبل المكتبات وتجار الكتب: non-fiction غير تخيلي (أحيانا تستعمل هذه كمعادلة لقراءة «جادة»)؛ بعض المكتبات تحجز لروادها الكتب غير المتخيلة أو تدفع أجرة البريد لأي منها لكنها ترفض تقديم هذه التسهيلات بالنسبة لكتب التخيل؛ على الأرجح يسهم معنى «اختلاق» (محض اختراع) أو التضاد المألوف بين fiction وfact حقيقة من المعنى الآخر للكلمة في وثوقية هذا التمييز.

لكلمة novel رواية التي هي الآن شبه مرادفة لتخيل fiction تاريخها الخاص المثير للاهتمام. يمثل الآن المعنيان اللذان يشير إليهما الاسم «prose fiction» تخيل نثري والصفة (جديد، خلاق، ومن ثم نوفوتيه novelty) فرعين مختلفين من التطور للسابقة البعيدة novus: لاتينية: جديد ـ الأول من (س م) novella، ايطالية، novela اسبانية؛ الآخر من novelle، فرنسية قديمة. حتى أوائل ق 18 حملت novel كاسم معنيان: (1) حكاية tale؛ (2) ما نسميه الآن بنفس المفهوم أخبارا news. هكذا سميت قصص بوكاشيو، وأريوستو وآخرين novella نوفيللة: قصص قصيرة، سواء تخيلية fictional أو تاريخية HOSTORICAL (ا م): قارن العبارة: «في هذه التاريخيات histories (التي

أسميها بعبارة أخرى novelles) يصف حياة ... أمراء عظام» (Painter، 1566). من ناحية أخرى، هناك أمثلة بمعنى (2): «للاستماع إلى novells أخبار من صنعه» (سبنسر Spencer، 1579)؛ «يوحي مظهرك الواضح ببعض الأخبار novel التي قد تفرحنا» (ماسينجر Massinger، 1636). بل إن أحد «أباء الرواية الانجليزية» فيلدينج Fielding كتب هذا الحوار في إحدى مسرحياته:

- What novel's this? - ما هذا الخبر؟

- Faith it may be a pleasant one to you. - حقا قد يكون مبهجا لك.

بناء على سلسلة المعاني هذه عنت novelist بالتتابع مبتكر innovator (ق17)، صانع أخبار «news monger» (ق18) وكاتب تخيلي نثري (ق18). خلال ق 17 وجزء من ق18 تناوبت novel فعليا مع ROMANCE (ا م) الأكثر ألفة، رغم أنه بشكل عام اعتبر أنه بالإمكان التمييز بينهما على أساس أن الرواية أقصر (أقرب إلى حكاية) وعلى أساس أنها أقرب إلى الحياة الفعلية. أشار ميلتون (1643) إلى أنها «ليست مجرد رواية حب «amatorious novel، لكن بحلول منتصف ق 18 كانت novel في طور تحولها إلى الكلمة المألوفة، رغم استمرار إشارات ازدرائية كثيرة كما هو لدى جولدسميث: «هذه المقدرات التي تستطيع تجميع رواية كافية تماماً لإنتاج كوميديا عاطفية»، أو الأكثر إصرارا : «لا رواية Novel يمكن أن تكون أكثر أثرا أو أكثر إدهاشا من هذا التاريخ» (ويسلي Wesley، 1769). بحلول أوائل ق 19 اكتمل تماماً تطور novel كتعبير مألوف لعمل من التخيل النثري لدرجة أن كلمة جديدة للتخيل النثري القصير دخلت اللغة: novelette (1820). معظم الازدراء الذي حملته novel انتقل إلى هذه الكلمة كما في novellettish (أوائل ق 20). في الواقع نستطيع الآن أن نقول أحيانا إن نوفليتز novelettes، أو روايات سيئة، هي محض اختلاق pure fiction بينما تنقل لنا روايات novels (تخيّل جاد) الحياة الفعلية.

انظر: CREATIVE خلاق، IMAGE صورة، MYTH اسطورة، ROMANTIC رومانسي

فولك/شعب FOLK

الصيغة folk هي إحدى تهجيات كلمة مشتركة في لغات تيتونية؛ في الإنجليزية القديمة كانت تهجيتها folc. كان لها معنى عاماً: «شعب» people في نطاق يمتد من تشكيلات اجتماعية معينة، بما في ذلك أمم NATIONS (ا م)، إلى الناس عموماً. منذ ق 17 أصبح الجمع folks أكثر شيوعاً بالمعنى الأخير؛ بشكل نمطي هي كلمة لطيفة وغير رسمية: الناس كما يرون أنفسهم وليست نظرة من أعلى أو من الخارج، رغم أن هذا المعنى تم استحواذه

أو استغلاله في أشكال معينة من المجال التجاري. كذلك يستعمل المفرد folk بطريقة محدِّدة بعد اسم إقليم من أقاليم البلد.

في منتصف ق 19 بدأ استعمال محدد مهم. كتب ثومز Thoms، في رسالة إلى مجلة Athenaeum في 1846 : «ما نصنّفه في انجلترا آثاراً قديمة شعبية popular (رغم ... أنه ... يمكن وصفها بطريقة أكثر ملاءمة بمّركب سكسوني مناسب Folk-Lore معرفة الشعب)». ترجع lore إلى (س م) lar، انجليزية قديمة. استعملت في الأصل في نطاق من المعاني يمتد من تعليم وتربية إلى تعلم ودراسة، لكنها صارت خصوصاً من ق 18 محصورة على الماضي، وذلك مع المعاني المرافقة: تراثي أو أسطوري. يرتبط اقتراح ثومز لفولك بدلاً من popular بنفس النزعة الثقافية مثل اقتراح مراسل في مجلة Gentleman's Magazine من 1830 بوجوب إحلال lore محل اللواحق اليونانية في أسماء العلوم: starlore بدلاً من astronomy علم الفلك و earthlore بدلاً من geology . . . الخ. لم يقتنع عالم العلم والمعرفة التقليدي بهذه الصبغة التمييزية للإحياء الأنجلوسكوني المتعمد، لكن تم حالاً تبني folk-lore فولكلور التي أعيدت صياغتها لاحقاً folklore، في تركيز على معنى استعادي لكل من «علم» و«ماضي». بحلول سنة 1878 كانت هناك جمعية فولكلور وكان ثومز مديراً لها، وتم تبني الكلمة وانتشر هذا النوع من الجمعيات بشكل واسع في ثقافات أخرى. سجلت folk-song أغنية فلكلورية من سنة 1870.

جزئياً ارتبط الاستعمال المحدد بالتطورات الصعبة في ق 19 لشعبى POPULAR (ا م). تطورت الاهتمامات التي تمثلها الكلمة بثبات منذ أواخر ق 18 وأعطيت موقعاً رسمياً عن طريق أعمال هيردر Herder والأخوين جرم Grimm. عند هيردر كانت هناك ثقافة الشعوب Kultur des Volkes وعند شليجل Schlegel شعر شعبي Volkpoesie. لم يكن الاهتمام العلمي بأصناف الشعر والقصة والمعتقدات والعادات والغناء والرقص هو العنصر الوحيد في الصيغة المحددة حديثاً. تركزت محاولات تعريف فولكلور في أواخر ق 19 على معنى «survivals» مأثورات معتمدة على تعريف تايلور Tylor في Primitive Culture (1871) (انظر Culture ثقافة) كعناصر تبقى «بقوة العادة وتستمر في وضع مجتمعي جديد». من هذه الناحية يتعلق التشكيل بمجموعة معقدة من ردود الفعل على المجتمع الصناعي والحضري الجديد. أصبحت أغنية فولكلورية folksong محصورة بشكل مؤثر على عالم ما قبل الصناعة وما قبل المدينة وما قبل الكتابة، لكن مع ذلك كانت تنتج بنشاط أغاني شعبية popular ومن ضمنها أغاني عمل صناعي جديدة. في هذه الفترة كان لفولك folk الأثر في

إعطاء تواريخ أقدم لكل عناصر الثقافة الشعبية popular culture وقدمت في الغالب كتضاد للأشكال الشعبية الحديثة، سواء تلك التي تنتمي إلى الطبقة العمالية والراديكالية أو التجارية. استمر هذا التوكيد المميز لكن قابلته اعتراضات، سواء من داخل الدراسات الفولكلورية، حيث تم باضطراد إيضاح تعقيد وتفاوت أصول عناصر folk التراث الفلكلوري المختلفة، أو ضمن الدراسات الثقافية cultural studies حيث يوجد اعتراض على كل من فصل الفولك folk الذي ينتمي إلى ما قبل الكتابة وقبل الصناعة عن سواه وعلى خلق تمييزات تصنيفية بين مراحل مختلفة من الإنتاج الثقافي الداخلي والمستقل وأحيانا الجماعي.

تغير الوضع أكثر، خاصة فيما يتعلق بغناء فولكلوري folksong في منتصف ق20، عندما برزت حركة الغناء الفولكلوري، وأصبحت واسعة الانتشار ومتشابكة وامتدت ليسع نشاطها تسجيل وتعديل أغاني ريفية شفوية وأخرى صناعية إلى نظم وأداء جديدين بنفس الروح والأسلوب السابقين. تبقى العلاقة بين folk وpopular غير مستقرة ومتبدلة والسبب الرئيسي خلف ذلك، كما في تعريف منتصف ق 19 الأصلي، هو تعقيد وصعوبة POPULAR (ا م) المستمرة.

انظر: **CULTURE ثقافة، ETHNIC إثني، MYTH أسطورة، PEASANT فلاح، POPULAR شعبي**

شكلاني FORMALIST

هذه كلمة انجليزية قديمة، لكنها استعملت بشكل واسع في ق20 في سياق جديد نسبياً كنتيجة لاستعمالات الكلمة المقابلة لها في اللغة الروسية. ظهر معنيان لشكلاني formalist في الإنجليزية من أوائل ق 17: (1) نصير أو مؤيد لمجرد أشكال forms الدين أو مظاهر خارجية له: «formalists and time-servers شكلانيون ومسايرون» (1609)؛ (2) من يفسر الأمور من خلال خصائصها السطحية بدلاً من الجوهرية: «شيء مثير للضحك ... رؤية حيل هؤلاء الشكلانيين ... فهم يجعلون المظهر الخارجي يبدو قواما له عمق وجسم» (بيكون، 1607 ـ 12). فقط يمكن فهم هذا الاستعمال والتشويش المعقد لبعض الاستعمالات الحديثة بالإشارة إلى التطور المعقد لشكل form نفسها. ترجع هذه الكلمة إلى (س م) forme، فرنسية قديمة، forma، لاتينية: هيئة، شكل. كررت form في الإنجليزية تعقيدات تطورها في اللاتينية وهناك معنيان ضمن هذه التعقيدات يستحقان بشكل رئيسي الذكر: (1) شكل ظاهري وخارجي فيه دلالة واضحة على الجسم الفيزيائي:

«بالمصادفة التقى ملكاً في هيئة fourm إنسان» (تقريبا 1325)؛ «شكل forme ضئيل، مشهد ممالق، باهت» (1568)؛ (2) مبدأ تشكيل أساسي يحوّل مادة غير محددة إلى كيان أو شيء محدد نهائي: «الجسد مجرد مادة تكون الروح فيه هي الشكل fourme» (1413)؛ «حسب تنوع الأشكال الجوهرية تُصنّف أشياء العالم إلى أنواعها» (هوكر Hooker ، 1594). من الواضح أن form شملت في أقصى معانيها المدى الكامل من الخارجي والسطحي إلى الجوهري والمحدد. غطّت formality شكلية نفس المدى من «الملابس ... موضوع مجرد شكلي» (هوكر، 1597) إلى «تلك الشكليات formalities حيث يكمن جوهرها Essence» (1672). في الاستعمال العام احتفظت form بكامل مداها لكن استعملت formality شكلي و formalist شكلاني ومن منتصف ق 19 formalism شكلانية بشكل واسع بطرق سلبية أو رافضة: «بالنسبة للشكلانيين formalists الاحتفالات أوثان» (1637)، «تبا أيها الشكلانيون، قساة القلوب والجامدون» (ينج Young، 1742)؛ «شكلانية عديمة الجدوى» (كنجزلي Kingsley، 1850)؛ «نفاق وشكلانية» (1878). وهناك مثالان لهما صلة بالتطور المحدد اللاحق: «شكلانيون يطالبون بتفسير لأقل الكلمات إبهاما» (1707)؛ " شكلانية النقد المسرحي» (1814).

مع تعقيدات form ومعاني formalist المعروفة فإنه مدهش أن يفهم بطرق مختلفة التعبيران formal method منهج شكلي و formalist school المدرسة الشكلانية الذين يمكن التعرف عليهما بهذين المسميين في الدراسات الأدبية الروسية من 1916 تقريباً. إضافة إلى ذلك أظهرت formalism شكلانية خلال تطورها اتجاهات وتوكيدات كثيرة ومتنوعة. كان تركيزها السائد على خصائص العمل الأدبي المحددة والجوهرية التي تطلبت تحليلاً تبعا لشروطه الخاصة قبل أن يكون أي نوع من النقاش، خاصة التحليل الاجتماعي والأيديولوجي، ملائما أو حتى ممكناً. تعقيدات النقاش اللاحق لافتة جداً. كان هناك تضاد بسيط (يفعّل تمييزاً معروفاً بين form بمعنى (1) وفحوي أو مضمون content) بين شكلانية formalism القاصرة على اهتمامات جمالية AESTHGTIC (ا م) صرفة وماركسية تعطي الاهتمام للمضمون الاجتماعي والاتجاهات الايديولوجية. في تطور القوى التاريخية الفعلي وحسمها أصبح المعنى السلبي جداً لشكلانية formalism هو المعروفُ في الإنجليزية بشكل واسع حيث استعمل كمعادل لأفكار «الفن من أجل الفن». في نفس الوقت في بعض تطورات formalism، كان هذا في الغالب هو الموقف المتبع، بشكل ملحوظ في فكرة تصنيف مستقل تماماً «للغة الشعرية»، وفي الميل الى انكار ملاءمة المضمون أو المعنى

الاجتماعي في أية مرحلةً. طغى الجدل بين هاتين المدرستين (في المعاني المحددة للشكلانية formalism والماركسية) على الاستعمال حتى 1950 تقريباً. بدون شك في هذه المرحلة عرَّضت شكلاني formalist للشبهة المعاني الإنجليزية السابقة: «مشهد خارجي» «ومظهر سطحي». ما كان أكثر إلفاتا لكن صعباً للغاية هو مفهوم كلمة شكل form بمعنى (2) كمبدأ مُشكِّل، سواء في معناها الواسع (حيث تتداخل مع genre جنس/نوع) أو في معناها الأكثر تحديدا حيث كانت المبدأ المنظم القابل للاكتشاف ضمن العمل (قارن العبارة «لا يجرؤ أي عمل فيه نبوغ حقيقي على غياب شكل form ملائم له»، كوليردج). بمفهوم شكل form هذا، أي معنى (2) مميزا عن (1)، يمكن بشكل معقول وصف التركيز الماركسي كشكلانية المضمون formalism of content، مستخدمين في ذلك معنى (1) السلبي «مشهد خارجي»، ويمكن إثارة أسئلة مختلفة حول التشكيل الفعلي formation (معنى 2 form) للعمل وهو ما يتطلب تحليلا محددا لعناصره في تنظيم معين. بالإضافة إلى ذلك، كما حدث إلى حد ما (لكن بتحول وتشويش كبير للأسماء) كان هذا النوع من التركيز الذي يتيح أو فعلا يتضمن توسعاً من الشكل المحدد إلى أشكال أعم وإلى أشكال من الشعور والعلاقات (مجتمع) هو أحد النزعات ضمن شكلانية formalism، مما أتاح وصفها بشكلانية اجتماعية social formalism (موكاروفسكي Mukarovsky وفولوسينوف Volosinov). اختلط الغرض بتمييزات (شملت اختلافات عميقة لم يفصح بالكامل عنها دائما) بين عمليات intersubjective بين أفراد واجتماعية SOCIAL (ا م) وبين تحليلات synchronic تزامنية وdiachronic متتابعة زمنياً: مصطلحات مستمدة من اتجاه في اللغويات وتستعمل إما للتعبير عن تمييز مطلق بين نسق مكتف ذاتياً في اللغة وبين نسق هو جزء من عملية تاريخية، أو للتعبير عن توكيدات بديلة، أحياناً على النسق وأحياناً على عملية التطور التي تشكل هي لحظة منه وتربطهما علاقات فعلية وديناميكية. على العموم تبعت شكلانية formalism (قارن بنيوية structuralism) التركيز السابق (intesubjective بين الأفراد وثنائية متزامن/متتالي) بدلاً من الأخير، لكن بينما لا تقف في معارضتها إلا الماركسية، التي تعامل form شكل كـ «مجرد تعبير» أو «مشهد خارجي» للمضمون content، فإن مقدرتها في التحليل الدقيق تظل فعالة. سيمر وقت قبل معرفة إذا ما كانت المعاني السلبية للكلمة ستحول دون تقدير التركيز المهم لكن الجزئي الذي أسهمت به كل من شكلاني formalist وشكلانيون formalists.

انظر: **STRUCTURAL بنائي**

جيـل GENERATION

كانت الكلمة في اللغة الإنجليزية منذ ق13، من (س م) generatio، لاتينية (س ب) generare، لاتينية: يولِّد من نفس نوعه (جنسه genus). تراوحت استعمالاتها الأولى بين «فعل التكاثر» و«ناتج التناسل» وهكذا استعملت لذرية offspring نفس الوالدين، نسل descendantsو(هذا يوجهنا نحو الاستعمال الجديد الأهم) أجيال متدرجة في الأسرة. كان تطورها المهم في اتجاه الاستعمالات الاجتماعية والتاريخية أعمق من المعنى البيولوجي المحدد. يصعب تعقب ذلك حيث أن استعمالات مثل «الأجيال القديمة the olde generations»، من ق 16، تدل بالفعل على حس تاريخي إلى حد ما وفقا للحيوات المتذكرة وأحيانا المتعارضة. كذلك كانت هناك استعمالات مبكرة نسبياً لـ «جيل» لغرض تقدير الزمن التاريخي، بمعدل ثلاثين سنة أو ثلاثة أجيال في القرن. لكن يبدو مرجحاً أن المعنى الجديد الشامل للكلمة بمفهومها المحدد والمؤثر كنوع مميز من الناس أو المواقف لم يكن مهما قبل منتصف ق 18 ولم يتطور تماماً إلا منذ منتصف ق 19. نجد أحد الاستعمالات المبكرة عند سانت بيف Sainte-Beuve: «الجيل الرومانسي». كما بيَّن بيل Bell، مفهوم ديلثي Dilthy لـ «وقت تمت فيه معيشة مشتركة» حاسم في فكرة الجيل الثقافي، وأصبح هذا النوع من التحليل منذئذ سائداً في التاريخ الثقافي.

من المفيد مقارنة التطور، الذي هو على الأرجح مقارب، لكلمة period حقبة، من ق15، التي ترجع إلى (س م) periode، فرنسية، (س ب) periodos يونانية : دائرة، دورة من السنين، جملة مصقولة rounded sentence. ترتبط معظم استعمالات period حقبة قبل أوائل ق 18 واستعمالات كثيرة منذئذ (دورات حيض periods، ق19؛ دورية periodical وفي بعض الأحيان دورياً periodically، يظهر في فترات منتظمة، من ق 17) بفعل متكرر، عادة بانتظام. يبدأ استعمالها للدلالة على فترة محددة من الزمن تتسم بمعالم مميزة وبالتالي ليست متكررة في السيرة والتاريخ في ق 18، ويصبح متطوراً جداً في الدراسات التاريخية والبيولوجية من منتصف ق19. يبدو أن generations تبعت بشكل عام نفس المسار متيحة ظهور مفهوم فيه توكيد على تميز وقت معين أو مجموعة ناس، لكن (كما في حقبة) ضمن مفهوم استمرار عام.

هكذا نجد «الجيل الصاعد»، التي تدل إلى حد ما على التغيير، عند غيبون Gibbon (1781)، ويبدو أن ذلك جزءا من تطور معنى جديد لتاريخ HISTORY (ا م)، وخصوصا التاريخ بصفته تقدمياً متطوراً وبذلك تعززت فكرة التميز بل وأعطيت صفة رسمية. بالتالي

سجلت «أذواق الأجيال» في 1847 وهناك فيما بعد، في أواخر ق 19، تطور واضح لمفهوم الاختلاف في مناقشات مهاجري «الجيل الأول» و«الجيل الثاني»، خاصة في الولايات الأمريكية المتحدة. حسب هذا الأسلوب استقر مفهوم المعنى الزمني والاجتماعي بشكل سائد. يتم تجاوز الصلة بالأسر المهاجرة، التي تمر عبر حقب periods من التغير الثقافي، إلى استعمالات أشمل لاتحتفظ بأي معنى بيولوجي محدد ومضمونها بشكل رئيسي تاريخي.

تضاعفت مثل هذه الاستعمالات منذ أوائل ق20. في 1930 سجلت عبارة «جيل الغارات الجوية» وكذلك الأكثر أهمية «شعور جيلي» التي تعني ما سمى بتفاوت الأجيال أو فجوة جيليّة» «generation-gap»، وهي على الأرجح من خمسينات ق20 (سجلت في 1964).

تنعكس سيطرة هذا المفهوم في بعض استعمالات «جيل» الغريبة لكن المتزايدة في الانتشار لوصف انماط متعاقبة من الأشياء المصنعة؛ استعملت بالنسبة للكمبيوتر والأسلحة النووية ونظم تقنية متقدمة أخرى منذ أواخر الخمسينات وأوائل ستينات ق20. تكون بالتالي الصلة بالفكرة السابقة لذرية بيولوجية في الغالب من باب المفارقة أو أسوأ من ذلك.

إحدى صعوبات «جيل» بهذا المعنى المعزز هي أنه في فترة تغير سريع تكون على الأرجح الحقبة period المستغرقة أقصر وتنقص كثيرا عن الجيل البيولوجي. هناك أيضاً، كما في معنى حقبة غير المتكرر، مشاكل كثيرة من التداخل وبالتالي صعوبات في التعريف الدقيق. مع ذلك، تبدو كلا الكلمتين بهذه المعاني عناصر ضرورية من مفردات ثقافة فيها التغير التاريخي والاجتماعي واضح ومتعمد.

انظر: **DEVELOPMENT تطور، FAMILY عائلة، GENETIC جيني/وراثي، HISTORY تاريخ، PROGRESSIVE تقدمي**

جيني/وراثي GENETIC

تشكل الكلمة في بعض الأحيان صعوبات لأن لها معنيان: معنى عام أصبح الآن في بريطانيا أقل ذيوعاً لكنه لايزال شائعا في الفرنسية مثلاً، ومعنى محدد في فرع من العلوم وهو الذي أصبح معروفاً جداً. جيني genetic هي صفة من genesis، لاتينية، genesis، يونانية: أصل، خلق، نشوء، تكوين. دخلت الإنجليزية في أوائل ق 19، في البداية بمعنى يدل على الأصل كما لدى كارلايل: «التواريخ الأصلية genetic Histories» (1831).

استمر معنى الأصل هذا عند داروين حيث دلت «صلة جينية genetic connection» (1859) على الأصل المشترك للناس. لكن حملت genetic كذلك معنى التطور كما في «تحديدات جينية genetic definitions» (1837) حيث الموضوع المحدد «اعتبر حسب التقدم المستقبلي، ما سيؤول إليه» وكان هذا المعنى حاضراً كذلك في «التطور الجيني لأقسام الكلام» (1860). في 1897 عرّف علم الجينات genetics في تمييز له عن telics (علم الغايات) لوصف عملية نمو بدلاً من وضع نهائي أو تام النمو. أظهرت التطورات في بيولوجيا أوائل ق20 الحاجة لكلمة جديدة. أشار بيتسون Bateson في 1905 إلى «دراسة الوراثة» وكتب: «لاتفي كلمة في الاستعمال العام تماماً بهذا المعنى ... ولو كانت هناك رغبة في سك كلمة فإن Genetics قد تفي بالغرض». من هذا الاستعمال نشأ الوصف العلمي المعتاد الآن: «فسيولوجيا الوراثة والانحرافات ... علم الجينات «genetics Nature»، (1906). لكن لايزال معنى «تطور» الأقدم والأعم فعّالاً كما في «علم النفس الجيني» (1909) الذي نسميه الآن في الغالب سيكولوجيا النمو «developmental psychology» دونما اشارة إلى علم الجينات البيولوجي. علاوة على ذلك يظل المعنى الأول كما في «الزيف الجيني genetic fallacy» (1934) زيف في تفسير موضوع أو تفنيده عن طريق الإشارة الى أسبابه الأصلية.

في الاستعمال الإنجليزي المعتاد تدل جيني الآن على حقائق الوراثة والانحراف في سياق بيولوجي (وراثة جينية genetic inheritance، شفرة جينية genetic code. . . الخ) لكن بالإضافة إلى الاستعمالات الإنجليزية المتبقية تظهر genetic أيضاً في الغالب في ترجمات، خاصة من اللغة الفرنسية، حيث المعنى في العادة يتعلق بالتشكيل والتطور. هكذا يتم التمييز بين genetic structuralism بنيوية توليدية أو تكوينية (جولدمان) وأنواع أخرى من البنيوية STRUCTURALISM (ا م) بتركيزها على التشكيل والتطور التاريخي (وليس البيولوجي) للبنيات structures (أنواع من الشعور). من المرجح أن يساء في الغالب فهم الاستعمال المترجم أو يصبح مرتبطاً ارتباطاً فضفاضا بعلم الجينات البيولوجي.

انظر: **DEVELOPMENT تطور، EVOLUTION نشوء، FORMALISTشكلاني، HISTORY تاريخ، STRUCTURAL بنائي**

نبوغ/نابغة/عبقري GENIUS

دخلت genius الإنجليزية من ق 14 بمعناها اللاتيني الرئيسي ـ (س م) genius، لاتينية: روح حارسة. توسعت الكلمة لتشمل سجية أو ميزة خاصة من ق 16 كما هو

الوضع حالياً في «كل امرئ له سجيته المميزة genius (هيوم، 1754). بنفس الطريقة استعملت بالنسبة للأماكن من أواخر ق 17. إن التطور نحو المعنى الحديث السائد ـ «مقدرة فائقة» ـ معقد جداً؛ حدث ذلك بتفاعل متبادل في كل من الإنجليزية والفرنسية ولاحقا في الألمانية. يبدو أنه ارتبط في الأساس بفكرة روحspirit عبر فكرة إلهام inspiration. بينما لاحظ أديسون Addison في 1711 أنه «لاتوجد هناك صفة تعطي بشكل أكثر تكرارا لكاتب من نابغة genius»، فإن هناك تعريفاً فرنسياً أوضح: «يبدو أن تعبير عبقرية هذا يشير لا إلى المواهب العظيمة دون تمييز فيما بينها ولكن إلى تلك المواهب التي يدخل فيها شيء من الابتكار»، وهذا موجود أيضاً في الإنجليزية: «دائما تعني genius شيئا خلاقا أو مبدعا» (1783). في الواقع يقترب هذا المعنى دائماً من معنى خلاق CREATIVE (ا م) المتطور. يبدو أن التمييز بين عبقرية وموهبة، المتنقل أيضاً بين الإنجليزية والفرنسية والألمانية، اعتمد في الأصل على هذه الاشارة إلى أنواع kinds من المقدرة بدل درجات degrees منها، رغم أنه في الاستعمال اللاحق تغلب المعنى الأخير. تستعمل الكلمة الآن بشكل واسع جدا لوصف جميع أنواع المقدرات النادرة لدرجة أن بقايا المعنى السابق «سجية مميزة» تكون في الغالب ملتبسة. حالة اختبار جيدة هي العبارة «للإنجليزي عبقرية للحلول الوسط».

انظر: **CREATIVE خلاق، ORIGINALITY أصالة**

هيمنة HEGEMONY

من المرجح أن اللغة الإنجليزية تبنت hegemony مباشرة من اليونانية: (س م) egemonia، يونانية، (س ب) egemon، يونانية: زعيم، حاكم، غالبا المقصود لبلد غير بلده الأصلي. لم يكن شائعاً قبل ق 19 معنى سيطرة سياسية، الذي عادة ما يكون لدولة على أخرى، لكنه استمر منذ ذلك الحين وهو شائع إلى حد ما ويدل، إضافة الى الصفة hegemonic، على أسلوب فيه سيطرة سياسية أو يرمي إليها. في وقت أحدث، استعملت hegemonism (مبدأ وسلوك الهيمنة) لوصف سياسة قوة عظيمة أو قوة عظمى تنوي السيطرة على آخرين (في الواقع لليهمنة بعض الرواج كبديل لإمبريالية IMPERIALISM (ا م).

كان هناك في الإنجليزية استعمال مبكر يشيرمن حين لآخر إلى سيادة من نوع أكثر عمومية. من 1567 نجد «هيمنة أو سيادة على الأشياء التي تنمو عليك أيتها الأرض»، ومن 1656 هناك عبارة «الجزء السائد أو الأسمى للروح». استمرت الصفة مهيمن hegemonic، بشكل خاص بمعنى سيطرة أو مبدأ الغلبة هذا.

أصبحت الكلمة hegemony مهمة في إحدى صيغ ماركسية ق 20، خاصة بناء على عمل جرامشى (رغم أن التعبير في كتابته معقد ومتبدل؛ راجع أندرسون Anderson). في أبسط استعمالات الكلمة توسع معنى سيطرة سياسية من علاقات بين دول إلى علاقات بين طبقات اجتماعية كما في «هيمنة برجوازية». لكن يمكن اعتبار طبيعة هذه السيطرة بطريقة تنتج معنى أعم يشبه إلى حد كبير استعمالات hegemonic مهيمن الإنجليزية المبكرة. بعبارة أخرى لاتنحصر الكلمة في أمور التحكم السياسي المباشر لكنها تسعى لوصف سيطرة أكثر عمومية تشمل، كأحد معالمها الرئيسية، طريقة معينة للنظر إلى العالم والطبيعة البشرية والعلاقات الانسانية. تختلف في هذا المعنى عن مفهوم «رؤية العالم «world-view في أن طرق النظر إلى العالم وأنفسنا والآخرين ليست فقط حقائق ذهنية وإنما أيضاً حقائق سياسية يفصح عنها في نطاق يمتد من مؤسسات إلى علاقات وشعور. تختلف كذلك عن أيديولوجيا IDEOLOGY (ا م) في أنها تعتبر معتمدة في سلطتها ليس فقط على تعبيرها عن مصالح طبقة حاكمة ولكن أيضاً على تقبل الخاضعين لها عمليا «كواقع معتاد» أوبديهى «حس مشترك commonsense». هكذا هي تؤثر في التفكير في «ثورة» REVOLUTION (ا م) في اصرارها ليس فقط على انتقال السلطة السياسية أو الاقتصادية ولكن كذلك على الإطاحة بهيمنة معينة: بعبارة أخرى، الهيمنة hegemony التي لا توجد بشكل متكامل في حكم الطبقة في مؤسسات أو علاقات سياسية فحسب وإنما أيضاً في أنواع فعالة من التجربة والشعور. هكذا أصبح التركيز على هيمنة ومهيمن يشمل عوامل ثقافية بالإضافة إلى العوامل السياسية والاقتصادية؛ بهذا المعنى هي تتميّز عن الفكرة البديلة : قاعدة base اقتصادية وبنية فوقية superstructure سياسية وثقافية، حيث تتغير البنية الفوقية بتغير القاعدة مهما كانت درجة التأثير غير مباشرة أو مهما تأخر التأثير. في مفهومها الواسع، فكرة هيمنة إذن فكرة مهمة، بشكل خاص في مجتمعات تكون فيها السياسة الانتخابية electoral politics والرأي العام عوامل مهمة ويعتمد فيها العمل الاجتماعي على القبول بأفكار معينة سائدة تعكس في الواقع متطلبات الطبقة السائدة. بخلاف أصناف قصوى من الحتمية DETERMINISM (ا م) الاقتصادية حيث يرتفع وينخفض النسق أو البنية STRUCTURE (ا م) الاقتصادية حسب قوانينها الخاصة، فإن الصراع من أجل الهيمنة يعتبر ضرورة أو عاملا حاسما في التغيير الجذري من أي نوع بما في ذلك أنواع كثيرة من التغيير في القاعدة.

انظر: **CULTURE ثقافة، IMPERIALISM امبريالية**

تاريـخ HISTORY

في استعمالها الأولى كانت history رواية سردية لأحداث. دخلت الكلمة اللغة الإنجليزية من (س م) histoire فرنسية، historia، لاتينية، من (س ب) istoria، يونانية، التي كان لها معنى مبكراً: «بحث وتحر»، ومعنى متطور: «نتائج البحث»، ومن ثم رواية المعلومات. في كل هذه الكلمات تراوح المعنى من قصة story أحداث إلى سرد أحداث ماضية، لكن كذلك كان معنى بحث حاضراً (قارن هيرودتس: «... لماذا دخلوا في حرب بينهم»). في الاستعمال الإنجليزي المبكر استخدمت كل من history وstory (اشتقت هذه الصيغة الإنجليزية البديلة من نفس الجذر) لرواية الأحداث سواء كانت متخيلة أو من المفترض أنها صحيحة. استمر استعمال history للأحداث المتخيلة بصيغة مخففة، خاصة في الروايات novels. لكن من ق 15 اتجهت history نحو سرد أحداث ماضية فعلية واتجهت story نحو نطاق يشمل روايات أقل رسمية لأحداث ماضية وروايات احداث متخيلة. من أواخر ق 15 كانت history تعني معرفة منظمة عن الماضي وكان ذلك امتدادا معمما من معنى رواية مكتوبة محددة السابق. تبعت الكلمات historian مؤرخ و historic وhistorical تاريخي بشكل رئيسي هذا المعنى العام لكن مع بعض المعاني المتبقية التي تدل على الكتابة الفعلية.

يمكن القول إن هذا المعنى العام الراسخ لتاريخ history استمر في الإنجليزية المعاصرة كمعنى سائد. لكن من الضروري تمييز معنى مهم لتاريخ history يشمل معرفة الماضي المنظمة لكنه يتجاوزها. ليس من اليسير تحديد تاريخ لذلك أو تعريفهْ لكن المصدر على الأرجح هو مفهوم تاريخ history كتطور بشري ذاتي ويتضح ذلك من أوائل ق 18 لدى فيكو Vico وفي أنواع أخرى من التواريخ الكلية أو الشاملة Universal Histories. كانت إحدى طرق التعبير عن هذا المفهوم الجديد هي اعتبار الأحداث الماضية ليس تواريخا histories محددة وإنما عملية مستمرة ومترابطة. بعد ذلك تصبح تنظيمات وتفسيرات مختلفة لهذه العملية المستمرة والمترابطة history تاريخاً بمفهوم عام جديد وفي النهاية معنى مجرداً. علاوة على ذلك، مع التركيز على التطور الذاتي تفقد history تاريخ في كثير من هذه الاستعمالات صلتها الحصرية بالماضي وتصبح مرتبطة ليس فقط بالحاضر ولكن أيضاً بالمستقبل. في الألمانية هناك تمييز لفظي يجعل هذا أوضح: تدل Historie بشكل رئيسي على الماضي بينما يمكن أن تشير Geschichte (والكلمة المرتبطة بها Geschichtsphilosophie) إلى عملية تشمل الماضي والحاضر والمستقبل. تعتمد history

بهذا المفهوم الحديث المثير للجدل على عدة أنواع من النسق الفكري: بشكل ملحوظ على مفهوم الأنوار Enlightment لتقدم أو تطور الحضارة CIVILIZATION (ا م)؛ على المفهوم المثالي idealist، كما هو عند هيجل، في عملية العالم التاريخي world-historical؛ وعلى مفهوم سياسي للقوى التاريخية historical forces المرتبط بشكل رئيسي بالثورة الفرنسية ولاحقاً بالحركة الاشتراكية وعلى وجه الخصوص بالماركسية ـ نتائج الماضي التي هي فعالة في الحاضر والتي تحدد المستقبل بطرق يمكن معرفتها. من الطبيعي كان هناك جدل بين هذه الصيغ المتباينة لمفهوم العملية وبينها جميعا وتلك التي تستمر في اعتبار التاريخ رواية او سلسلة من الروايات لأحداث ماضية حقيقية لايمكن بدقة تبين أية خطة فيها أو، أحياناً كبديل لذلك، لاتحتوي على أية إشارات ضرورية للمستقبل. حسب استعمالاتها في منتصف ق20، هناك ثلاثة معاني لتاريخانية historicism: (1) تعريف حيادي نسبيا لمنهج دراسة يعتمد على حقائق الماضي ويتتبع سوابق للاحداث الحالية؛ (2) توكيد متعمد على ظروف وسياقات تاريخية متقلبة يجب عن طريقها تفسير كل الأحداث المحددة؛ (3) معنى معاد فيه مهاجمة كل أنواع التفسير أو التنبؤ عن طريق "ضرورة تاريخية» أو اكتشاف «قوانين تطور تاريخي» عامة (قارن بوبر Popper). ليس من السهل دائماً تمييز هذا النوع من الهجوم على تاريخانية الذي يرفض أفكار مستقبل حتمي أو حتى مرجح من هجوم مشابه على مفهوم أي مستقبل future (في معناه المتخصص كحياة افضل أو اكثر تطوراً) يستعمل دروس التاريخ بطريقة معممة جداً (تاريخ history كحكاية حوادث، أحداث غير متوقعة، إحباط أهداف مقصودة) كطرح خاصة ضد الأمل. رغم أن هذا المعنى الأخير لتاريخ لايقبل أو يدرك بهذه الطريقة إلا أنه على الأرجح صيغة خاصة من ق 20 لتاريخ history كعملية عامة لكنه يستخدم الآن في تضاد مع مفهوم الانجاز أو الأمل الذي كان للصيغ السابقة والمستمر الفعالية وذلك للدلالة على نمط عام للإحباط والهزيمة.

لذا ليس من السهل القول أي مفهوم لتاريخ history هو السائد حالياً. تبقى historian مؤرخ دقيقة بمعناها السابق. ترتبط historical بشكل رئيسى ولكن ليس حصرياً بهذا المفهوم للماضي لكن تستعمل historic في الغالب لتشمل مفهوم عملية أو مصير. تحتفظ تاريخ history نفسها بكامل معانيها ولاتزال تسرد أو توضح، حسب القراءات المختلفة، معظم أنواع الماضي الذي يمكن معرفته وتقريباً كل أنواع المستقبل الذي يمكن تخيله.

انظر: **DETERMINE يحدِّد، EVOLUTION تطور/نشوء**

إنسانية HUMANITY

تنتمي الكلمة humanity إلى مجموعة معقدة من الكلمات تشمل human إنسان/ إنساني، humane شفوق، humanism حركة أو فلسفة إنسانية، humanist الصفة منها، humanitarian، خيري، إحساني، وتمثل هذه الكلمات في بعض أو جميع معانيها تعيينات محددة للكلمة الجذر لإنسان (man homo، hominis، لاتينية: رجل، يتعلق برجل؛ humanus، لاتينية: يخص أو يتعلق برجال).

من الضروري في البداية إدراك الفرق بين human انسان و humane شفوق، الذي أصبح مستقرا في صيغته الجديدة فقط من أوائل ق 18. قبل ذلك كانت humane هي التهجية المعتادة لنطاق من المعاني يمكن تلخيصه بأنه العناصر المميزة او الفارقة للرجال بالمفهوم العام (قارن MAN) للجنس البشري. (كل الرجال human بشر، أو كما في التهجية السابقة humane، لكن كل الناس humans هم إما رجال (بمعنى ذكر المحدد) أو نساء أو أطفال.) دلت استعمالات humane الأولى على الفطرة البشرية، لغة بشرية، عقل بشري، لكن كان هناك أيضا من أوائل ق 16 استعمال لـ humane يعني رؤوف، رقيق، دمث، عطوف. بعد أوائل ق 18 انحصرت التهجية القديمة على الكلمة المستقلة humane بالمعاني المذكورة توا بينما أصبحت human مألوفة للاستعمال الأعم.

لإنسانية humanity تطور مشابه، لكن فيه اختلافا. استعملت أولا في أواخر ق 14، من (س م) humanité فرنسية، وكان لها مفهوم أولى أقرب إلى humane شفوق التي يحدد تعريفها من human انسان/انساني العامة. ظهرت في الاستعمال القروسطي مرادفة لدماثة وأدب ولباقة، ولا بد أن يرتبط هذا، دونما أن يكون مطابقاً، بتطور umanita، إيطالية، humanité، فرنسية من humanitas، لاتينية، التي تضمنت معنى واضحاً للطف وكياسة civility. كذلك كان لـ humanitas، معنى محددا هاما يدل على التهذيب الذهني والتربية العقلية liberal education؛ هكذا هي ترتبط بمجموعة الكلمات الحديثة cultivation تهذيب/رعاية، CULTURE ثقافة و CIVILIZATION حضارة (ا م م). التطور في الإنجليزية من أوائل ق 16 معقد. توسع مفهوم دماثة وأدب إلى لطف وكرم: «انسانية ... هي الإسم العام لتلك الفضائل التي تظهر المحبة والوئام المتبادل كجزء من طبيعة الإنسان» (إليوت Elyot، 1531) لكن هناك أيضاً من أواخر ق 15 استعمال لإنسانية humanity يميزها عن divinity ألوهية/لاهوت. ارتكز هذا (قارن Panofsky) على الاستبدال القروسطي للتعارض بين إنسانية humanity قاصرة وألوهية مطلقة بالتضاد الكلاسيكي

الأقدم بين انسانية humanity وما هو أدنى من الانسان human سواء أكان ذلك حيوانا أو (وهذا مهم) بربريا. إذن كان هناك من ق16 جدل وتعقيد في التعبير يشمل معاني تمتد من انجاز مصقول إلى قصور طبيعي. بناء على هذا المفهوم عن بعض ممثلي المسرح «كفاقدي لهجة المسيحيين، مشية المسيحيين أو الوثنيين أو حتى الانسان» فكر هاملت شكسبير أن «بعض صناع الطبيعة المهرة خلقوا رجالاً لكن لم يحسنوا خلقهم، إنهم يقلدون الانسان(ية) Humanity بشكل رديء» (هاملت). لكن قارن: «سأبدل انسانيتي humanity ببابون (قرد)» (عطيل).

مع ذلك لم يكن شائعاً بالفعل استعمال انسانية بمفهومها الأكثر تجريداً لتدل على جملة خصال أو سجاياً بشرية قبل ق 18 رغم أنها أصبحت شائعة تماماً بعد ذلك. كانت هناك لا تزال بقية من المعنى الذي يشمل دماثة ولطف وكان هناك كذلك المعنى المتطور من umanitá وhumanitas الذي يدل على نوع معين من التعليم. كانت هناك استعمالات في ق 15 وق 16 لإنسانية humanity كنوع من التعليم متميز عن اللاهوت وحدد بيكون «ثلاثة معارف: فلسفة إلهية، فلسفة طبيعية وفلسفة انسانية أو إنسانيات Humanitie» (Advancement of Learning). لكن في الاستعمال الأكاديمي أصبحت humanity معادلة لما نسميه الآن classics كلاسيكيات وعلى وجه الخصوص الكلاسيكيات اللاتينية (لاتزال هناك استعمالات متبقية بهذا المعنى). من ق 18 اصبحت الصيغة الفرنسية the humanities (Les humanités) الإنسانيات أكثر شيوعاً بطريقة متزايدة في الاستعمال الأكاديمي وما يتصل به مؤدياً في النهاية الى إضافة الأدب والفلسفة الحديثين إلى الكلاسيكيات. استمر هذا الاستعمال معتادا في الإنجليزية الأمريكية في تمييز له عن التصنيف البريطاني الأكثر ذيوعا THE ARTS الآداب (ا م).

تنعكس بعض هذه المعاني في تطور humanist وفي النهاية humanism. على الأرجح استعيرت humanist مباشرة من umanista الإيطالية التي كانت من أوائل ق 16 كلمة مهمة في عصر النهضة. كانت لها في أواخر ق 16 معاني معادلة لكل من classicist دارس الكلاسيكيات ودارس المواضيع الانسانية human وليست الإلهية. هذه صعوبة حقيقية ترتبط من جهة بالتمييزات الباقية بين علم «وثني» وعلم «مسيحي»، ومن جهة أخرى بتمييزات بين «متعلمين» learned (كما هي محددة حسب اللغات الكلاسيكية) وسواهم. هناك أيضاً صلة أبعد تتعلق بالصفة المزدوجة للنهضة: ميلاد جديد أو إحياء rebirth المعارف القديمة؛ الأنواع الجديدة من الاهتمام بالإنسان وبالنشاطات البشرية. مع هذا

التعقيد فإنه ليس مدهشا وجود استعمال من أوائل ق 17 لإنساني humanist (موريسون Moryson، 1617) لوصف شخص مهتم بتاريخ وشئون الدولة. يبدو أن استعمال humanist لوصف فرد في مجموعة دارسين بارزين في عصر النهضة وإحياء العلوم أتى لاحقاً في ق 17 لكنه شاع منذ ذلك الوقت.

من ناحية أخرى راجح أن humanism استعيرت مباشرة من Humanismus، صيغة ألمانية من أواخر ق 18 اعتمدت على مفهوم انسانية humanity المجرد المتطور. إن النقاش المعقد الناجم، الذي ينتمي في جوهره إلى التطور المعاصر لـ «ثقافة» CULTURE و«حضارة» CIVILIZATION (ا م م)، هو في الحقيقة موقف من الدين وأصبحت humanism شائعة بهذا المعنى (ككلمة إيجابية مفضلة على إلحاد atheism السلبية). لكن استقر في ق 19 معنى أوسع لإنسانية humanism يرتبط بأفكار ما بعد الأنوار عن التاريخ HISTORY (ا م) كتطوير وتحسين إنساني ذاتي، وتداخل هذا مع مفهوم جديد لإنسانية humanism يدل على معنى متطور لإنساني humanist وإنسانيات the humanities: نوع معين من التعليم يرتبط بمواقف معينة من الثقافة CULTURE والتطور أو الكمال البشري.

ظهرت humanitarian أول مرة في بداية ق 19 في سياق الجدل حول الدين: تصف الوضع الذي تم منه إثبات كون المسيح إنساناً وليس إلها. لاحظ مور Moore (مذكرات، 1819) أن أحد معارفه «صدم كنحوي بالكلمة أكثر من كونه رجل دين في طائفة». اتخذت الكلمة هذه الصيغة بالقياس مع unitarian موحِّد و trinitarian مؤمن بالثالوث، لكن هذه حالما تم تجاوزها. عن طريق الارتباط بمعنى humanism الدال على التطور، وأهم من ذلك عن طريق الارتباط بأنواع جديدة من النشاط والمواقف المتعلقة بمعنى humane عطوف المحدد الآن، أصبحت humanitarian مستقرة من منتصف ق 19 بمعنى ممارسة أو اهتمام عام مدروس بالرفاهية WELFARE (ا م). (هناك معنى خاص فيه مفارقة: قاتل رحيم humane killer، منتصف ق 20.) من اللافت أنه خلال معظم ق 19 كان استعمال humanitarian عدائي أو ازدرائي (كما هو الحال في منتصف ق 20 للعبارة do gooder فويعل خير) لكنها الآن من أقل الكلمات إثارة للنزاع. من الأرجح أن تعميمها الاجتماعي لما اعتبر أعمالاً ومواقف فردية ومحلية هو ما أثار ذلك العداء (قارن رفاهية welfare في ق20).

من الضروري إضافة ملاحظة نهائية عن human في وسط ق20. بالطبع هي الآن مألوفة بمعاني عامة ومجردة. كذلك تستعمل بشكل شائع للدلالة على حميمية وود (شخص

آدمي human جداً). لكن هناك أيضاً استعمال مهم يدل على ما يمكن تسميته قابلية الخطأ المغفورة condoned fallibility (غلطة بشرية «human error»، غلطة بشرية طبيعية «natural human error») ويتوسع ذلك في بعض الاستعمالات ليدل على شئ أبعد من هذه الملاحظة المحايدة نسبيا. العبارة «كان له بالرغم من ذلك جانب إنساني « human» لاتعني بالضرورة أن رجلاً محترماً كان عرضة للخطأ فحسب، وإنما يمكن أن تعني أيضاً أنه كان مرتبكاً أو، في بعض الاستعمالات، أنه ارتكب أعمالاً عدة من اللؤم أو الخديعة أو حتى جرماً. (قارن، كانت جين أوستين إنسانة جداً أيضاً: أي أنها كانت حاقدة بل قاسية وفجة أحياناً (مجلة التلفزيون TV Times، 15 ـ 21 ـ نوفمبر 1975). يرتبط المعنى، بوضوح، بالمعنى التقليدي: من طبيعة الانسان human ليس فقط أن يخطئ ولكن أن يرتكب إثماً. لكن اللافت بخصوص الاستعمال المعاصر، خاصة في الثقافة البرجوازية الحديثة السائدة، هو أنه أعيد تقييم إثم «sin» بحيث أن أفعالا كانت توصف في السابق بهذه الصفة كدليل على أخطاء البشرية humanity (مقارنة بكمال الإله) تقدم الآن، بمعنى الاستحسان الذي ليس هو على الدوام ساخرا أو مقنّعا، كبرهان على كون الشخص إنساناً human (ووصف «محبوب» ليس بالبعيد).

انظر: **ISMS أسماء صناعية، CULTURE ثقافة، CIVILIZATION حضارة، MAN رجل/ انسان، SEX جنس، WELFARE رفاهية**

مثاليــة IDEALISM

هناك معنيان رئيسيان لمثالية idealism: (1) معناها الفلسفي الأصلي حيث يعتقد، مع تنويعات كثيرة في التعريف، أن الأفكار تشكل الأساس وتحدد كل الواقع؛ (2) معنى حديث أشمل لطريقة تفكير حيث تعتبر حالة أفضل أو أسمى هي طريقة الحكم على السلوك أو للدلالة على فعل. احدى الصعوبات الحاسمة لمعنى (2) هي أنها تستعمل، خصوصاً في بعض مشتقاتها، بطريقة فضفاضة في الغالب لكل من المدح والذم.

استعملت idealism في الإنجليزية من أواخر ق 18، وكانت سابقتها المباشرة (س م) هي idealisme، فرنسية، وخاصة idealismus، ألمانية. سبقتها بهذا المعنى الفلسفي idealist مثالي، من أوائل ق 18. ترجع الإحالة الحاسمة إلى الفكر اليوناني، خاصة افلاطون، وكانت idea موجودة في الإنجليزية بهذا المعنى من منتصف ق 15، رغم أن صيغتها الأكثر شيوعاً حتى أواخر ق 16 كانت idee. أصلها البعيد (س ب)هو idea يونانية، من الفعل «يرى» ولها معاني تمتد من مظهر appearance وشكل form إلى

النموذج أو النمط الأفلاطوني. للكلمة idea معاني مختلفة: (1) نموذج مثالي ideal type، شائعة من ق 15، (2) شكل، صورة، من ق 16، (3) فكر أو اعتقاد، من ق 17. لم يتطور اسم عام لمعنى (3) مثل ideation أو ايديولوجيا إلا في أوائل ق 19 بعد استعمالات idealism المحددة.

يشير الاستعمال الفيلسوفي المحدد بشكل واضح الى الفلسفة الكلاسيكية الألمانية في أواخر ق 18 وأوائل ق 19، لكن مع إلماع إلى الماضي، ليس فقط إلى افلاطون وإنما أيضا لفلاسفة إنجليز مثل بريكلي. لكن تقريباً في نفس الفترة كان هناك قلب للمعنى فيما يتعلق بالفن والفكر الاجتماعي. افترضت المثالية idealism في الفلسفة في كل تنويعاتها المهمة، أن الأفكار idea أساسية، سواء كانت هذه هي الفكرة Idea أو الأفكار Ideas سماوية أو شاملة، أو كانت هذه الأفكار هي المكوّنة للوعي البشري. واضح أن قلب المعنى بدأ من الإشارة إلى الوعي البشري. بدأت idealism وidealist مثالي تستعملان من أواخر ق 18، وخصوصاً من أوائل ق 19 ليس للدلالة على الوعي كنشاط أساسي ومكوّن بقدر ما هي دلالة على نوع خاص من الوعي يُضفى بصورة تخيلية صفات معينة على شيء ما (وذلك في تعارض مع المعنى الرئيسي للمثالية الفلسفية الذي يستمد فيه الشئ خصائصه بالضرورة من الوعي). وصف الفعل الجديد idealize، من أوائل ق 19، خاصة في استعمالاته الأولى، عمليات الفن ART (ا م). لم يكن شائعاً توسع الكلمة إلى عملية أكثر شمولاً للسموّ التخيلي قبل منتصف ق 19 عندما بدأت تكتسب معنى سلبياً للزيف المصاحب (idealization). كذلك تطورت معاني idealism وidealist السلبية من ق 19؛ بحلول 1884 كانت هناك العبارة الدالة الآن: مجرد مثالي «mere idealist».

يمكن توضيح تعقيدات المعنى اللاحقة بازدواج التضادين pairing opposites. كانت هناك idealism في تضاد مع MATERIALISM مادية (ا م): في الأساس معارضة فلسفية لكن في ق 20 توسعت، بشكل خاص عن طريق توسع كل من التعبيرين، إلى تمييز هو في الواقع بين نكران الذات «إيثار altruism» واستئثار: تمييز ليست له أية صلة بالنقاش الفلسفي، مهما قد تكون له من جدارة أخرى، رغم أنه في الغالب يلتبس معه في الجدل الاجتماعي. وهناك تعارض idealism مع realism واقعية: في الأصل هو أيضاً تمييز فلسفي، وله تطور مقارب لوصف أنماط وعمليات فن، لوصف تضاد هو في الواقع بين غير عملي وعملي practical/impractical، خاصة في الكلمتين المشتقتين: idealistic وrealistic. ثم هناك idealism كمفهوم اجتماعي وأخلاقي إيجابي في تضاد مع إما أنانية،

مصلحة ذاتية أو لامبالاة، أو مع ضيق أفق شامل general narrowness of outlook. حيث أن كل هذه الاستعمالات الحالية تتعايش في نقاش فلسفي مستمر ومهم، هو في حد ذاته معقد بشكل فائق، فإن مثالية idealism هي بوضوح كلمة تتطلب فحصاً دقيقا كلما تستعمل.

انظر: IDOLOGY ايديولوجيا، MATERIALISM مادية، NATURALISM طبيعية، PHILOSOPHY فلسفة، REALISM واقعية

ايديولوجيا IDEOLOGY

ظهرت ايديولوجيا أول مرة في الإنجليزية في 1796 كترجمة مباشرة للكلمة الفرنسية الجديدة idéologie التي اقترحها ذلك العالم الفيلسوف العقلاني rationalist ديستت تريسي Destutt Tracy. كتب تايلور «Taylor (1796) قرأ تريسي بحثا واقترح تسمية فلسفة العقل ايديولوجيا». كذلك كتب تايلور (1797). «... ايديولوجيا أو علم الافكار ideas، من أجل تمييزها عن ميتافيريقية القديمة». بهذا المعنى العلمي استعملت ايديولوجيا في الابيستمولوجيا والنظرية اللغوية حتى أواخر ق 19.

روج نابليون بونابارت معنى مختلفاً وبذلك مهّد للمعنى الجديد الرئيسي. في هجوم على مناصري الديمقراطية ـ «الذين ضللوا الناس بمنحهم سيادة ليس في مقدورهم ممارستها» ـ هاجم مبادئ التنوير على أنها «ايديولوجيا»: «يجب عزو كل المحن التي ألمت ببلدنا فرنسا الجميلة الى تعليمات الإيديولوجيين ideologues ـ لهذه الميتافيريقية المسهبة التي تسعى بطريقة بارعة محتالة للتوصل إلى الأسباب الرئيسية وعلى قواعدها ترسي تشريع الناس بدلاً من تبني قوانين حسب معرفة القلب البشري ودروس التاريخ». دوى هذا الاستعمال طيلة ق 19. لايزال شائعاً في النقد المحافظ لأية سياسة اجتماعية تستمد جزئياً أو كلياً من نظرية اجتماعية بطريقة مدروسة. تستعمل بشكل خاص فيما يتعلق بالسياسات الديمقراطية أو الاشتراكية، وفي الواقع في ق 19 كانت ايديولوجي ideologist، تبعا لاستعمال نابليون، معادلة في الغالب لثوري revolutionary. لكن كذلك اكتسبت ideologist وideology وideological عن طريق توسع من مفهوم نابليون معنى نظرية متعصبة، غير عملية أو مجردة. من اللافت قراءة ما كتبه سكوت Scott (نابليون، ج 4، 215) آخذين في الاعتبار تاريخ الكلمة اللاحق: «اعتقد نابليون أن ايديولوجيا، وهي الكنية التي استعملها الحاكم الفرنسي لتحديد كل أنواع التنظير الذي لايرتكز بأي شكل على قاعدة مصلحة ذاتية، يمكن أن تسود فقط عند صبية سريعي الاهتياج أو متحمسين مختلي

العقل». حاول كارلايل Carlyle الذي كان على علم بهذا الاستعمال أن يعارضه: «هل يسمى القارئ الإنجليزي ... مبدأنا البغيض هذا ايديولوجيا؟» (Chartism, vi, 1839, 148).

هناك، إذن، استمرارية واضحة بين معنى ايديولوجيا الازدرائي، كما استعمله المفكرون المحافظون في أوائل ق 19، والمعنى الازدرائي الذي روجه ماركس وإنجلز في «الأيديولوجية الألمانية» (1845 ـ 7) وبعد ذلك. ميز سكوت ايديولوجيا كنظرية «لاترتكز بأي شكل على قاعدة مصلحة ذاتية» رغم أن البديل (المبهم بطريق مناسبة) الذي قدمه نابليون فعلاً هو «معرفة القلب البشري ودروس التاريخ». في نقدهما لفكر معاصريهما الألمان الراديكاليين، ركّز ماركس وانجلز على تجريدها بناء على عمليات التاريخ الفعلية. كما ذكرا، خاصة فيما يتعلق بالأفكار المسيطرة لحقبة، «الأفكار ليست أكثر من التعبير النموذجي للعلاقات المادية المهيمنة، العلاقات المادية مُدركة كأفكار». الفشل في ادراك ذلك ينتج ايديولوجيا: نسخة مقلوبة للواقع. «لو كان الناس وظروفهم في كل الايديولوجيا يظهرون بالمقلوب كما في الحجرة المظلمة فإن هذه الظاهرة تنبع بنفس المقدار من عملية حياتهم التاريخية كما هو الحال في قلب الاشياء على شبكة العين من عملية حياتها الفيزيائية» (الايديولوجية الألمانية، 47). أو كما صاغها إنجلز لاحقاً: «كل ايديولوجيا... حالما تنشأ تتطور بالنسبة للمادة - المفهوم، وتطور بدورها هذه المادة أكثر؛ وإلا فإنها ستكف عن كونها ايديولوجيا، أي انشغال بأفكار يعادل الانشغال بكيانات مستقلة، وتتطور هذه الأفكار باستقلالية وتخضع فقط لقوانينها الذاتية. كون ظروف الحياة المادية للناس الذين تجرى هذه العملية الذهنية داخل رؤوسهم تحدد في المقام الأخير مسار هذه العملية الذهنية يبقى بالضرورة مجهولاً من قبل هؤلاء الناس وإلا فستكون هناك نهاية لكل الايديولوجيا» (فيورباخ، 65 ـ 66)، وكذلك: «ايديولوجيا هي عملية تنجز من قبل مايدعى مفكّر بطريقة واعية بالفعل لكن بوعي زائف. تبقى الدوافع العقلية التي تحرضه غائبة عنه، وإلا فلن تكون أبداً عملية ايديولوجية. من ثم يتخيل دوافع زائفة أو ظاهرية. لأنها عملية تفكير فإنه يستمد شكلها ومحتواها من فكر محض، سواء فكره هو أو فكر سلفه (Letters to Mehring، 1893). الايديولوجيا، إذن، فكر زائف ومجرد يرتبط بشكل ما ارتباطاً وثيقاً بالاستعمال المحافظ الأصلي للكلمة لكن مع طرح البديل بطريقة مختلفة: معرفة الظروف والعلاقات المادية الفعلية. فيما بعد استعمل ماركس وانجلز هذه الفكرة بطريقة نقدية. «مفكرو» الطبقة الحاكمة هم «ايديولوجيو مفاهيمها النشطين الذين يجعلون اتمام وهم تلك الطبقة عن نفسها مصدر رزقهم الرئيسي». (الايديولوجية الالمانية، 65). أو كما في استشهاد آخر: «كان الممثلون الرسميون للديمقراطية الفرنسية منغمسين في ايديولوجيا

الجمهورية لدرجة أنه لم يبدأ يساورهم شعور بأهمية صراع يونية إلا بعد عدة أسابيع» (الصراعات الطبقية في فرنسا، 1850). يسود في أعمالهم مفهوم ايديولوجيا كوهم، وعي زائف، عدم واقعية، واقع مقلوب. اعتقد انجلز أن الأيديولوجيتين الأسميين «higher ideologies» ـ الفلسفة والدين ـ كانتا أبعد عن الاهتمامات المادية من الأيديولوجيتين المباشرتين ـ السياسة والقانون - لكن الصلة بينهما، رغم كونها معقدة، كانت لاتزال حاسمة (فيورباخ Feuerbach، 277). كانت هذه الأيديولوجيات الأسمى «عوالم من الأيديولوجيا تحلق عاليا ... تصورات مختلفة زائفة عن الطبيعة وكينونة الأنسان والروح وقوى السحر، الخ». (Letters to Schmidt) (1890). استمر هذا المفهوم.

لكن كان هناك معنى آخر لايديولوجيا يبدو أكثر حيادية نجده في بعض كتابات ماركس، بشكل ملحوظ في فقرة مشهورة في The Contribution to the Critique of Political Philosophy: (1859) «يجب التمييز بين التحول المادي لظروف الانتاج الاقتصادية ... والأشكال القانونية أو السياسية أو الدينية أو الجمالية أو الفلسفية ـ باختصار الايديولوجية التي يصبح فيها الناس على وعي بهذا النزاع ومن ثم يتقاتلوا بشأنه». بوضوح يرتبط هذا بطرف من المفهوم السابق: «الأشكال الايديولوجية هي تعبير عن (تغيرات في) ظروف الانتاج الاقتصادية. لكن ينظر إليها هنا كأشكال يصبح فيها الناس على «وعي» بالنزاع الناشئ من ظروف وتغييرات في تلك الظروف المتعلقة بالانتاج الاقتصادي. من الصعب التوفيق بين هذا المفهوم ومفهوم ايديولوجيا كمجرد وهم.

في الواقع كان في القرن الماضي لمفهوم ايديولوجيا هذا، كجملة أفكار تنشأ من مجموعة مصالح مادية مفترضة أو، بشكل أعم، من مجموعة أو طبقة محددة، على الأقل نفس الدرجة من الذيوع مثل مفهوم ايديولوجيا كوهم. علاوة على ذلك، استعمل كل من المفهومين، أحياناً بطريقة مشوشة، ضمن التراث الماركسي. بوضوح ليس هناك أي مفهوم لوهم أو وعي زائف في فقرة مثل هذه عند لينين: «للمدى الذي تكون فيه الايديولوجيا هي صراع الطبقة الكادحة (البروليتاريا) فإن الاشتراكية تخضع لظروف ميلاد وتطور وترسيخ تلك الايديولوجيا؛ بعبارة أخرى تعتمد على كل مكونات المعرفة البشرية وتفترض درجة عالية من العلم science وتتطلب عملا علميا scientific، الخ ... في صراع البروليتاريا الطبقي الذي ينشأ تلقائياً، كقوة طبيعية، بناءً على علاقات رأسمالية، يقدم الايديولوجيون: «الاشتراكية» (Letter to the Federation of the North).

هناك إذن «ايديولوجيا بروليتالية» «و ايديولوجيا برجوازية» وسواهما، والايديولوجيا في

كل حالة هي نسق الأفكار الملائم لتلك الطبقة. يمكن الادعاء بأن ايديولوجية ما صحيحة وتقدمية في تضاد مع ايديولجية أخرى. بالطبع من الممكن إضافة أن الايديولوجية الأخرى التي تمثل العدو الطبقي وتعبّر فيه عن مصالح طبقتها تكون زائفة بالنسبة لأية مصلحة انسانية عامة؛ عندئذ يمكن ربط مفهوم وهم ووعي زائف السابق بطريقة فضفاضة بما هو بشكل رئيسي وصف للطبيعة الطبقية لأفكار معينة. لكن في الواقع أصبح هذا المفهوم لايديولوجيا، الحيادي نسبياً والذي يتطلب عادة إضافة صفة تحدد المجموعة أو الطبقة الاجتماعية التي تمثلها أو تخدمها، شائعاً في أنواع كثيرة من النقاش. في نفس الوقت، في الماركسية كما في سواها، هناك تمييز مألوف بين ايديولوجيا وعلم SCIENCE (ا م) بغرض الاحتفاظ بمفهوم فكر وهمي أو فكر تجريدي فقط. هذا يطور التمييز الذي اقترحه إنجلز والذي تنتهي فيه الايديولوجيا عندما يدرك الناس ظروف حياتهم الفعلية وبالتالي دوافعهم الفعلية ويصبح بعد ذلك وعيهم علميا scientific بطريقة صادقة لأنهم سيكونون على صلة بالواقع (قارن Suvin). بالطبع كانت محاولة التمييز هذه بين الماركسية على أنها علم science والفكر الاجتماعي الآخر على أنه ايديولوجيا موضع خلاف بين الماركسيين أنفسهم. في نطاق «علوم اجتماعية» العريض هناك تمييز مألوف بين ايديولوجيا (نظم تأملية speculative systems) وعلم science (حقائق مثبتة demonstrated facts).

في الوقت الراهن، في النقاش الرائج، لايزال يستعمل بشكل رئيسي المعنى الذي حدده نابليون. يعتمد الناس العقلاء على الخبرة EXPRRIENCE (ا م) أو تكون لهم فلسفة ويعتمد السخفاء على ايديولوجيا. بهذا المعنى تعتبر ايديولوجيا بشكل رئيسي الآن تعبير استهجان كما كانت عند نابليون.

انظر: **DOCTRINAIRE نظري/غير عملي، EXPERIENCE خبرة، IDEALISM مثالية، PHILOSOPHY فلسفة، SCIENCE علم**

صورة IMAGE

كان معنى image المبكر في الإنجليزية، من ق 13 هو: شكل مجسّم أو تشابه. هذا هو أيضا المعنى الأول للأصل البعيد imago (لاتينية) التي مع ذلك طورت أيضا معنى شبح، خيال، طيف، ومعنى فكرة أو مفهوم. هناك على الأرجح صلة جذرية بتطور imitate يقلد، لكن كما في كلمات كثيرة تصف هذه العمليات (قارن vision رؤيا و idea فكرة) هناك توتر شديد بين أفكار «نسخ» copying وأفكار خيال imamigination وخيالي imaginary. كل من هذه دلت في الإنجليزية على الدوام على مفاهيم ذهنية بما في ذلك

معنى سابق لرؤية مالم يكن موجوداً، فضلا عن مالم يكن مرئياً بوضوح. لم يكن لها ذلك المعنى السلبي الذي التصق بها فيما بعد.

كان المعنى المادي للكلمة image سائداً حتى ق 17، لكن من ق 16 استقر المعنى الأعم الذي حمل اشارة ذهنية طاغية، ومن ق 17 كان هناك استعمال مهم ارتبط بالنقاش حول الأدب ودل على «تشبيه» أو استعارة (figure of writing or speech). لايزال المعنى المادي موجودا في الإنجليزية المعاصرة لكنه اكتسب ايحاءات غير مواتية فيها تداخل مع idol وثن، تمثال. لايزال المعنى العام لتصور ذهني (قارن «. . . the image of»، صورة ... : نموذج دال أو ممثّل) معتادا والاستعمال المتخصص في الأدب شائعاً.

لكن في بعض الأحيان يبدو أنه تم تجاوز كل هذه الاستعمالات من قبل استعمال image المرتبط بالدعاية publicity الذي يمكن اعتباره قائما على معنى «تخيل conception» أو «نموذج دال» السابقين، كما في «brand image» صورة العلامة التجارية أو اهتمام رجل السياسة بصورته his image. في الحقيقة هذا تعبير اصطلاحي (رطانة) في مجال الاعلان والعلاقات العامة. تعززت صلته وتوثقت بسبب الاهتمام المتزايد لوسائل الاعلام المرئي مثل التلفزيون. تطور بالفعل معنى image في الأدب والرسم لدرجة أن الكلمة استعملت لوصف الوحدات الأساسية المكونة للفيلم. في الواقع يدعم هذا المعنى التقني عمليات صورة image التجارية والموجّهة بصفتها «سمعة» أو «صيت» مدرك. من اللافت أن معاني خيال، تصور imagination وبوجه خاص imaginary خيالي يتم تجنبها في استعمال صورة image في الدعاية والسياسة في منتصف ق20.

انظر: **FICTION خيال/رواية، IDEALISM مثالية، REALISM واقعية**

إمبريالية IMPERIALISM

تطورت إمبريالية ككلمة خلال النصف الثاني من ق 19. إمبريالى imperialist أكثر قدما، لكنها حتى أواخر ق 19 عنت موال لإمبراطور أو لنظام حكم امبريالي. كانت إمبريالي imperial ذاتها في الإنجليزية بنفس المعنى القديم من ق 14؛ (س م) imperialis، (س ب) imperium، لاتينية: سلطة، سيادة عليا.

تطورت إمبريالية، وإمبريالي بمعناها الحديث، بشكل رئيسي في الإنجليزية، خاصة بعد 1870. كان معناها دائما موضع نزاع حيث قدمت تبريرات وتفسيرات مختلفة لنظام تجارة استعمارية منظّم وحكم استعماري منظّم. مع ظهور إمبرياليات منافسة تبدل الجدل

داخل بريطانيا بشكل واضح. كان هناك نقاش مؤيد ومعارض للتحكم في المستعمرات عسكريا بغرض ابقائها ضمن نظام اقتصادي واحد، الذي عادة ما يكون حمائيا portectionist. كذلك كانت هناك حملة سياسية طويلة من أجل مساواة «الإمبريالية» بالحضارة CIVILIZAION (ا م) الحديثة والمهمة الحضارية «civilizing mission».

اكتسبت امبريالية دلالة محددة في أوائل ق 20 في أعمال عدد من الكتاب ـ كوتسكي Koutsky، باور Baur، هوبسن Hobson، هيلفردنج Hilferding، ولينين ـ الذين يربطون بطرق مختلفة ظاهرة الإمبريالية الحديثة بمرحلة معينة من تطور الاقتصاد الرأسمالي CAPITALIST (ا م). هناك أدبيات ضخمة ومستمرة عن هذا الموضوع. كان لتأثيرها الرئيسي على استعمالات الكلمة انقسام واضح، وأحياناً التباس بين تركيز على نظام سياسي أو نظام اقتصادي. لو كانت الامبريالية، كما عرفت عادة في أواخر ق 19 في إنجلترا بالدرجة الأولى، نظاماً سياسياً يتم حكم المستعمرات فيه من مركز امبريالي لأسباب اقتصادية إلى جانب أسباب أخرى اعتبرت مهمة، فإنه يمكن وصف منح الاستقلال أو الحكم الذاتي لاحقا لهذه المستعمرات، كما حدث فعلاً، «بنهاية الإمبريالية». من ناحية أخرى، لو فهمت الإمبريالية في المقام الأول كنظام اقتصادي للاستثمار الخارجي والتغلغل والتحكم في أسواق ومصادر المواد الأولية، فإن التغييرات السياسية في وضع المستعمرات أو المستعمرات السابقة لن يؤثر كثيراً على وصف النظام الاقتصادي المستمر بإمبريالى، وفي الطرح السياسي الحالي غالبا مايلفها الغموض فتبدو ذات معنى ملتبس. هذا هو الوضع بالنسبة لـ «الإمبريالية الأمريكية»، حيث للدلالة السياسية عموماً أهمية أقل، خصوصاً إذا ما حملت الكلمة معنى ق 19 كحكم مباشر من مركز إمبريالى، لكن لا تزال صحيحة حيث الدلالة بشكل رئيسى اقتصادية، بما يتضمنه ذلك من تحكم سياسي وعسكرى. استعملت الكلمة بشكل واسع منذ منتصف ق20 بصيغتها المركبة neo-imperialism امبريالية جديدة وبصيغة أضيق neo-colonialism كولونيالية جديدة لكى تصف هذا النوع الأخير من الإمبريالية. في نفس الوقت تم إحياء صيغ تحمل المعنى القديم في أوصاف معارضة: " إمبريالية سوفياتية»، وفي الصيغة الصينية «إمبريالية إشتراكية» لوصف إما الطبيعة الاقتصادية أو السياسية لعلاقات الإتحاد السوفيتي بالدول التابعة (قارن «الإمبراطورية السوفياتية Soviet Empire»). هكذا تستخدم نفس الكلمة النافذة، والتي يكاد يكون الآن معناها دائما سلبيا، للدلالة على نظم سياسية واقتصادية مختلفة جذرياً ومتعارضة. لكن كما في حالة ديمقراطية DEMOCRACY (ا م) التي تستعمل بمعنى ايجابي لوصف نظم سياسية متعارضة فإنه لايمكن اختزال إمبريالية دلاليا إلى معنى واحد صحيح، مثلها في ذلك مثل أية كلمة تدل

على صراعات سياسية واقتصادية أساسية. تشير تنويعات المعاني التاريخية والمعاصرة الهامة للكلمة إلى عمليات فعلية يجب دراستها وفقاً لمعطياتها.

انظر: HEGEMONY هيمنة، NATIVE وطني، WESTERN غربي

يحسّن IMPROVE

الكلمة improve مثال لافت لتطور معنى عام من معنى أكثر تحديداً. دخلت الإنجليزية، في البداية بصيغ تهجية كثيرة، من (س م) en preu فرنسية قديمة، (س ب) pros: يربح profit. في استعمالاتها الأولى أشارت إلى عمليات ربح مادي حيث كانت غالباً معادلة ليستثمر invest وأشارت بشكل خاص إلى عمليات أراض أو ما يتعلق بها، في الغالب تحويش أراضي عامة أو قاحلة. من ق 16 الى أواخر ق 18 كان المعنى السائد هو عمليات «رابحة» مرتبطة بالأرض؛ في ق 18 كانت كلمة أساسية تعبر عن نمو الرأسمالية الزراعية الناهضة، ولا تزال عبارات مثل: «using to make a profit» استعمال لجني ربح و«improve the occasion» يحسن استغلال الفرصة و«improve the hour» يغتنم الوقت مستخدمة حتى وقتنا هذا. تطور المعنى الأشمل making something better» جعل شئ ما أفضل، من ق 17، وأصبح مستقراً، غالباً في تداخل مباشر مع عمليات اقتصادية، في ق 18. لاحظ كاوبر Cowper المعنى وانتقده:

Improvement too, the idol of the age,	تحسين ايضاً، إنه معبود العصر
Is fed with many a victim.	إذ يقدم له قرباناً ضحايا كثيرون

(The Task, iii, 764-5, 1785)

من منتصف ق 18 كانت هناك العبارة الدالة «improve onself» تحسين/ تطوير الذات» وعبارات أخرى مثل «improving reading» «تحسين القراءة». كانت جين أوستن Jane Austen على وعي بمعاني improvement التي أحيانا ما تكون متناقضة، فليست كل العمليات الاقتصادية تؤدي إلى تهذيب/ تحسين اجتماعي وأخلاقي بل قد تكون معوقة له كما تصف في روايتها Persuasion (الفصل الخامس) عائلة ملاك أراض بأنها «في حالة تغيير» وربما «تحسين». فيما بعد أصبح فصل المعنى العام من المعنى الاقتصادي معتاداً، لكن الصلة الأساسية بين «جعل شيء ما أفضل» و«جني ربح من شيء» مهمة عندما يتم تذكر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الذي تطورت خلاله الكلمة بهذه الطرق. من المفيد مقارنة تطور كلمة interest حصة/ مصلحة الموازي.

انظر: DEVELOPMENT تطور/نمو، EXPLOITATION استثمار/استغلال، INTEREST حصة/مصلحة

فـرد/مفـرد INDIVIDUAL

في الأصل عنت individual غير قابل للانقسام، لايتجزأ. ومهما يكن المعنى متناقضاً مع نفسه فان « individual فردى» تحمل بين طياتها تمييزا عن الآخرين في حين تؤكد الصيغة الجديدة indivisible على صلة الترابط بين الأجزاء. تطور المعنى الحديث من المعنى القديم هو سجل في اللغة لتاريخ سياسي واجتماعي استثنائي.

اشتقت الكلمة السابقة مباشرة indiviualis، لاتينية وسطى، من individuus، لاتينية، ق6، الصفة السلبية (in) بالإضافة إلى (س ب) dividere، لاتينية: يجزئ، يقسم. استعملت individuus لترجمة atomos، يونانية: لايمكن قطعه، لايتجزأ. حدد بويثس Boethius، ق 6، معاني individuus:

«يمكن تسمية شيء individual مفرد بطرق مختلفة: مايسمى مفرداً هو مالا يمكن تجزئته أبداً مثل وحدة unity أو روح (1)؛ مالا يمكن تجزئته لقسوته مثل الفولاذ يسمى «فردا» (2)؛ يسمى individual فردا أوحدا من لاينطبق وصفه على سواه من نفس النوع مثل سقراط (3)(In Porphyrium commentarium liber secundus).

يمكن العثور على indiviualis وindiviual بمعنى عدم التجزئة الجوهري في الجدل الثيولوجي القروسطي، خاصة فيما يتعلق بالنقاش حول وحدة الثالوث (استعملت عندئذ أيضا الصيغة البديلة indivisible): «من أجل ... جلال الثالوث السامي والذى لايتجزأ» (1425). استمر معنى (1) في الاستعمال العام حتى فترة متأخرة من ق 17: رباط الزوجية «وحدة individuall لاتتجزأ إلى رجل وزوجته» (1623)؛ «يقسم الكنيسة الكاثولكية الواحدة individuall إلى جماهير متعددة» (ملتون، 1641). استحوذت atom ذرة في الفيزياء من ق 17 بشكل عام على معنى (2). لكن معنى (3) الذي يدل على شخص واحد متميز هو الذي له من أوائل ق 17 السجل الأكثر تعقيداً.

يحدد التحول بشكل واضح استعمال عبارة «in the individuall» مقابل «in the general» في العموم. يمكن قراءة هذه الاستعمالات المبكرة بمفهوم جديد فالكلمة لاتزال معقدة: «فيما يتعلق بسلوك المتعلمين فإن ذلك شخصي وفردي personal and individual»

(1650; III, I, Advancent of Learning Bacon). بالنسبة إلى الصفة كان المعنى المتطور في البداية «غريب» و«شاذ» : «يجب أن يكون المرء مختلفاً عن بقية الناس وغريباً individuall يحيد بشكل ما عن طبيعتة التي فطر عليها. (براون Browne، 1646). المعنى، كما هو هنا، غالبا ازدرائي. استعملت الكلمة بطريقة مشابهة لاحتجاج «دون» Donne ضد الكلمتين الجديدتين «singularity» فرادة و«individualism» فردانية :

For everyman alone thinks he hath got

فكل شخص وحيد يعتقد أنه يجب To be a Phoenix,and that then can be

أن يكون عنقاء None of that kind of which he is but he

ولايمكن أن يكون أحد من هذا النوع الفريد سواه (First Anniversarie، 1611).

يعتمد هذا النوع من التفكير على المفهوم السائد للطبيعة البشرية، لذلك فإن كلمة فرد individual تعامل في الغالب على أنها نوع من الانحراف عن ذلك فيه شذوذ وغرور. لكن في بعض النقاش أدى التضاد بين «في العموم in the general» وفي الحالة المفردة «in the individual» إلى الظهور الحاسم للإسم الجديد. يكاد يكون موجوداً عند جاكسون Jackson (1641): «السلم ... هو السند الفعلي للأفراد individualls والأسر والكنائس وجماعات الكومنولث»، رغم أن individualls أفراد لاتزال تعنى هنا طبقة. ربما لم يبرز المعنى الاجتماعي الحديث حتى لوك Locke (Human Understanding، III، vi، 1690) لكن فقط كصفة: «فكرتنا عن أي رجل فرد .«any individual Man»

فعلياً لم يكن التطور الحاسم للاسم المفرد في الفكر السياسي أو الاجتماعي فيما عدا حقلين خاصين: المنطق، ومن ق 18 البيولوجيا: (الفرد... في المنطق... يعني ذلك الذي لايمكن قسمته الى أجزاء بنفس الاسم أو من نفس الطبيعة) (فيلبس Phillips، 1658). فصل تشامبرز Chambers (41 ـ 1727) هذا التصنيف المنهجي: " يكون التقسيم المعتاد في المنطق إلى أجناس ... هذه الأجناس إلى أنواع species، وهذه الأنواع إلى أفراد individuals. من ثم كان نفس التصنيف المنهجي متاحاً في البيولوجيا الحديثة. حتى ق 18 نادراً ما استعملت individual فرد دون صلة واضحة بمجموعة يشكل فيها الجزء أقصى درجات التقسيم. هذا هو الوضع حتى فيما يبدو استعمالاً حديثاً عند درايدن Dryden :

That individuals die, his will ordains; كون الأفراد يموتون، هذا قضاؤه

The propagated species still remains. يبقى مع ذلك النوع متكاثراً

(Fables Anicent and Modern, 1700)

حتى أواخر ق 18 لم يمكن بوضوح ملاحظة تحول حاسم في استعمالات الكلمة:

«بين الشعوب المتوحشة من صيادين وقناصين يقوم كل فرد individual . . . بعمل مفيد». (آدم سميث، ثروة الأمم، المقدمة، 1776). كان هناك ازدهار ملحوظ للكلمة خلال ق 19، سواء في البيولوجيا أو في الفكر السياسي. في البيولوجيا التطورية أدرك داروين (أصل الأنواع، 1859) «أن لا أحد يفترض أن كل الأفراد individuals من نفس النوع يسبكون فعلاً في نفس القالب». باضطراد لحقت بالكلمة فرد individual ـ مثال واحد لمجموعة - وتجاوزتها كلمة الفرد «the individual»: لتعنى : ترتيب جوهري للوجود.

يمكن عزو ظهور مفاهيم فردية individuality بالمعنى الحديث إلى تفتت النظام الديني والاجتماعي والاقتصادي القروسطي. في الحركة العامة ضد الاقطاع كان هناك تركيز جديد على وجود الإنسان الشخصي بالإضافة إلى موقعه ووظيفته في مجتمع تراتبي. كان هناك توكيد مشابه في البروتستانتية على صلة الانسان المباشرة والفردية individual بالله، في تعارض مع تلك العلاقة التي تتوسط فيها الكنيسة. لكن لم يعتمد حتى أواخر ق17 وق18 أسلوب جديد من التحليل في المنطق والرياضيات ينص على أن الفرد individual مفرد/ فرد هو الكيان الجوهري (قارن «monad» الفيلسوف Leibniz ليبتنز: عنصر الوجود الأولى) الذي تبنى عليه تصنيفات أخرى وخصوصا التصنيفات الجامعة. ولقد تبنى الفكر السياسي التنويري هذا النموذج بشكل أساسي. استهل النقاش أفراد individuals لهم وجود مبدئى وأساسي، ومنهم استنبطت نظم المجتمع وصيغت أشكاله: عن طريق الخضوع (كما هو لدى هوبز)؛ عن طريق الموافقة والعقد، أو عن طريق الصيغة الجديدة من القانون الطبيعى (كما في الفكر الليبرالي). في علم الاقتصاد الكلاسيكي افترض نموذج التجارة أفرادا مستقلين يقررون في مرحلة مبكرة الدخول في علاقات تجارية واقتصادية. في علم الأخلاق النفعي قدّر «الأفراد» المستقلون نتائج كل فعل قد يقومون به. انتُقد الفكر الليبرالي المعتمد على «الفرد» كنقطة انطلاق من قبل مواقع محافظة: «الفرد أحمق ... الجماعة حليمة» (بيرك Burke)، لكن كذلك في ق 19 انتقد من قبل مواقع اشتراكية كما هو بشكل ضليع عند ماركس الذي هاجم تضاد التصنيفين المجردين: فرد «individual» ومجتمع «society» وجادل بأن الفرد اختراع نشأ ضمن علاقات تحدده DETERMINED (ا م).

معنى individual الحديث هو، إذن، نتيجة لتطور مرحلة معينة من الفكر العلمي ومرحلة من الفكر الاقتصادي والسياسي. لكن بدأ يظهر فعلاً تمييز ضمن ذلك؛ يمكن تلخيصه في تطور كلمتين مشتقتين: individuality فردية/ شخصية و individualism فردانية. تنسجم الأخيرة مع الحركة الرئيسة للفكر الاقتصادي والسياسي الليبرالي. لكن هناك تمييز

بيّنه شميل Simmel: فردانية استثناء Einzigheit مقابل فردانية وحدانية Einzelheit. يجادل شمل بأن singleness ـ الفردانية المجردة ـ تعتمد على فكر كمي يتمركز في رياضيات وفيزياء ق 18. بالمقابل، الفرادة uniqueness هي تصنيف نوعي ومفهوم من مفاهيم الحركة الرومانسية. كذلك هي مفهوم من البيولوجيا التطورية التي يتم التركيز فيها على النوع species والفرد المرتبط به، لكن مع ادراك الفرادة ضمن النوع. يخلط الآن كثير من النقاش عن الفرد individual المعنيين المميزين الذين تشير اليهما الفردانية individualism والفردية individuality. تاريخ الأخيرة أطول وهو نتيجة لمجموعة المعاني التي تطورت فيها individual مركزة على كل من الفرد الوحيد unique والعضوية (التي لا تتجزأ indivisible) في مجموعة. سُكّت individualism في ق19: «تعبير جديد ولدته فكرة جديدة» (توكفيل، 1835): نظرية ليس فقط لأفراد مجردين abstract individuals وإنما كذلك للأهمية الأساسية لمواقف ومصالح فردية individual.

انظر: MAN رجل/إنسان، PERSONALITY شخصية، SOCIALISMإشتراكية، SOCIETY مجتمع، SUBJECTIVE ذاتي/شخصي

صناعة/جهد/كد INDUSTRY

هناك معنيان رئيسيان للكلمة industry: (1) الخصلة البشرية للانكباب على أو المجهود المستمر من أجل؛ (2) مؤسسة أو مجموعة مؤسسات للانتاج أو التجارة. ينقسم المعنيان بطريقة واضحة ودقيقة عن طريق صفتيهما industrious مجد، كادح و industrial صناعي.

كانت industry في الإنجليزية منذ ق 15، من (س م) industrie، فرنسية، (س ب) industria، لاتينية: مثابرة. كتب إليوت Elyotفي 1531: «لم تكن industrie في الاستعمال في الإنجليزية لمدة طويلة مقارنة بـ Providence العناية الإلهية، لذا فهي أغرب وتتطلب شرحاً بسيطاً»، وتابع ليعرّفها كإدراك سريع، وابتكار جديد واستشارة في وقتها. لكن كانت هناك استعمالات معاصرة كمضاد لكلمة بلادة أو خمول، ومرادفة لمثابرة؛ وفي استعمال خاص عنت وسيلة أو طريقة عمل. كانت industrious، التي تعني إما ماهر أو مجتهد، هي الصفة المشتقة الشائعة من منتصف ق 16، لكن ظهرت كذلك في ق 16 industrial للتمييز بين فواكه متعهدة بالعناية industriall وأخرى طبيعية natural. بالتالي كانت industrial نادرة أو غائبة حتى أواخر ق 18 عنما بدأت التطور الذي جعلها شائعة بحلول منتصف ق 19، وربما كان ذلك في شكل استعارة جديدة من الفرنسية.

من ق 18 بدأ معنى industry كمؤسسة أو مجموعة مؤسسات في الظهور. في 1696 كان هناك ذكر لـ «كلية صناعة College of Industry لكل زراعة وتجارة مفيدة»، وذكرت لاحقا «مدارس صناعة Schools of Industry» مرتبطة بمدارس يوم الأحد. لكن كان الاستعمال الأكثر ذيوعا في ق 16 في «دار الصناعة House of Industry»: إصلاحية أحداث workhouse، حيث تتضافر أفكار الانكباب الاجباري والعمل المفيد. ثم هناك عند آدم سميث استعمال معمم حديث: «... ودائع مالية موجهة للمحافظة على الصناعة» (ثروة الأمم، جـ 2، فصل 3، 1776). على الأقل بحلول أربعينات ق 19 كان هذا الاستعمال شائعاً: «صناعتنا الوطنية» (دزرائيلي Disraeli، 1844)؛ «زعماء الصناعة»، (كارلايل ، 1843). بشكل عام كانت industry كخصلة بشرية بدلاً من مؤسسة إلا أنه بعد هذه الفترة أصبح هذا المعنى ثانوياً وتبقى بشكل رئيسي محصوراً في أنواع مختلفة من إشارات التفضل.

تأثر بشكل جذري معنى industry كمؤسسة من فترة استعمالتها الرئيسية الأولى باشتقاقين إضافيين: industrialism التي سكها كارلايل في ثلاثينات ق 19 للدلالة على ترتيب جديد للمجتمع يعتمد على إنتاج ميكانيكي منظم، وعبارة ثورة صناعية industerial revolution التي هي الآن مصطلح مركزي. بشكل خاص يصعب تتبع تطور الاشتقاق الأخير. يسجل في العادة أن آرنولد توينبي Arnold Toynbee استعملها لأول مرة في محاضرة ألقاها في 1881. لكن هناك استعمالات أسبق في الفرنسية والألمانية. تتبع بيزانسون Bezanson (1922) عدة كلمات فرنسية مقاربة لـ revolution وindustrielle بين 1806 و1830، لكن يعتمد تحليلها على فهم الطرق التي كانت فيه كل من REVOLUTION (ا م) و industurial تتحول في كل من الإنجليزية والفرنسية. أشارت معظم الاستعمالات الأولى إلى تغييرات تقنية في الإنتاج ـ معنى شائع لاحق لـ «ثورة صناعية» نفسها - وكان هذا لايزال المعنى الرئيسي حتى وقت متأخر، «الثورة الصناعية الكبرى» (1827). كان التحول الأساسي في معنى ثورة revolution المتطور كمنشئة لنظام اجتماعي جديد في 1830، كما هو بشكل ملحوظ عند لامارتين Lamartine: «Le 1789 du comnerce et de l'industrie» ثورة معادلة للثورة الفرنسية (فى 1789) في التجارة والصناعة، التي وصفها بالثورة الحقيقية. كتب ويد Wade (1833) (History of the Middle and Working Classes) بعبارات مشابهة عن «هذه الثورة الاستثنائية». كان مفهوم التغيير الاجتماعي العظيم هذا الذي يرقى إلى نظام حياة جديدة معاصراً لمفهوم industrialism المقارب لدى كارلايل، وكان هذا تعريفاً معتمداً على جملة أفكار متمايزة

في الإنجليزية كما في الفرنسية من تسعينات ق 18. كانت فكرة نظام اجتماعي جديد المعتمدة على تغيير صناعي كبير واضحة عند ساوثي Southy وأوين Owen بين 1811 و1818 وكانت مضمرة في وقت أبكر لدى بليك Blake في أوائل تسعينات ق 18 ولدى وردزورث عند منقلب القرن. أصبحت العبارة أكثر شيوعا في أربيعينات ق 19 في كل من الفرنسية والإنجليزيةً. «ثورة صناعية كاملة «a complete industrial revolution» (Principles of Political Economy, Mill، III، xvii)؛ في 1848 عدلت إلى «نوع من الثورة الصناعية a sort of industrial revolution»؛ «أولى الثورات الصناعية première des révolutions industrielles»، Gilbert (1847). لكن على الأرجح كانت الاستعمالات الحاسمة عند بلانكي Blanqui: Histoire de L'economie (II 38; 1837) Politique، نهاية ق 18 ... وات Watt وأركرايت Arkwright. . . وضعت الثورة الصناعية في حوزة إنجلترا». وكتب إنجلز Conditions of the Working Class in England) بالألمانية في 1845): «هذه الاختراعات أعطت حافزاً لثورة صناعية، ثورة غيرت في نفس الوقت كل المجتمع المدنى». رغم أن العبارة لم تكن شائعة الاستعمال في الإنجليزية حتى أواخر ق 19 إلا أن الفكرة كانت شائعة من منتصف ق 19 وكانت بوضوح في طورالتكوين في أوائل ق19. من اللافت أنها استمرت بمعنيين مختلفين (لكن متداخلين): معنى سلسلة من الاختراعات التقنية (التي تتيح لنا الحديث عن ثورة صناعية ثانية أو ثالثة)؛ ومعنى أشمل، لكن أيضاً تاريخياً أكثر تحديدا لتحول اجتماعي: مؤسسة تصنيع industrialism أو رأسمالية صناعية industrial capitalism. (كذلك يجب ملاحظة أن العلاقة بين صناعية ورأسمالية إشكالية وأن المصطلحات تحجب ذلك أحياناً. في أحد الاستعمالات، industrialism صناعية هي عبارة ملطفة لرأسمالية لكن مشاكل التصنيع الاشتراكي لها عناصر مشتركة مع تاريخ «الرأسمالية الصناعية».)

من أوائل ق 19 أعطى الارتباط بالانتاج الميكانيكي وسلسلة الاختراعات الميكانيكية «industry صناعة» معنى مؤسسات إنتاجية من هذا النوع، وتطورت بالنسبة لذلك تمييزات مثل heavy industry صناعة ثقيلة و light industry صناعة خفيفة. تمت بانتظام معارضة industrialists صناعيين ـ وهم أصحاب عمل وموظِّفين employers في هذا النوع من المؤسسات ـ ليس فقط مع عمال workpeople موظَّفيهم ولكن مع أصناف أخرى من الموظفِّين: تجار، ملاك أراضي، الخ. هذا التعارض بين صناعة كإنتاج مصانع وأنواع أخرى من العمل المنظم معتاد حتى منتصف ق 20، ومازال سائداً. لكن منذ 1945 وربما تحت تأثير أمريكي عُمِّمت industry صناعة مرة أخرى على مسار ابتدأ من مجهود إلى

مجهود منظم ووصل إلى مؤسسة. من المعتاد الآن سماع كلمة صناعة مرتبطة بالإجازات وأوقات الفراغ والترفيه: «صناعة إجازات holiday industry، liesure industry صناعة الراحة والفراغ، entertainment industry صناعة الترفيه، وتبديلا لما كان في الماضي تمييزاً: صناعة زراعية agricultural industry. يعكس هذا الزيادة المضطردة في رسملة capitalizationو «تنظيم وميكنة» ما كان في السابق يعتقد أنها مجالات من الخدمة والعمل غير صناعية nonindustrial. لكن التطور ليس كاملا: لاتزال industrial workers، مثلاً، تشير بشكل رئيسى إلى «عمال مصانع» في تمييز لهم عن أنواع أخري من العمال، وينطبق هذا على industrial areas مناطق صناعية، industrial town مدينة صناعية، industrial estate أراض صناعية. لكن أصبحت industrial relations علاقات صناعية (عمالية) محصورة على العلاقات بين أصحاب العمل والعمال في معظم أنواع العمل؛ قارن industrial dispute نزاع عمالى و industrial action (إضرابات، الخ)، حيث يعتمد المعنى على تعارض، ضمن الحركة العمالية، مع عمل سياسي political action.

انظر: CAPITALISM رأسمالية، CLASS طبقة، EXPLIOITAION استغلال، LABOUR شغل، REVOLUTION ثورة، TECHNOLOGY تقنية، WORK عمل

مؤسسة INSTITUTION

هذه الكلمة هي أحد الأمثلة العديدة (قارن CULTURE ثقافة، SOCIETY مجتمع، EDUCATION تربية) لاسم فعل أو عملية يصبح في مرحلة معينة اسماً عاماً ومجرداً يصف شيئاً يبدو موضوعياً ومنتظماً؛ وهذا هو عملياً «مؤسسة»، بالمعنى الجديد. استعملت في الإنجليزية منذ ق 14، من (س م) institution، فرنسية قديمة، institutionem، لاتينية، من (س ب) statuere، لاتينية: ينشئ، يقيم، يعيّن. في استعمالاتها المبكرة كان لها معنى واضحا يدل على عمل أصلي ـ شيء يؤسس instituted في وقت محدد ـ لكن بحلول منتصف ق 16 كان هناك تطور لمعنى عام يتعلق بممارسات أنشئت بطرق معينة ويمكن فهم ذلك بمعنى يكاد يكون حديثاً تماماً: «بلسان واحد، وسلوك ومؤسسات institutions وقوانين متشابهة» (ترجمة روبنسون ليتوبيا Utopia مور More، 1551)؛ «كثير من المؤسسات الجديدة، القوانين، السلوك وفن الحكم» (آشلي Ashley، 1594). لكن كان لايزال هناك في السياق معنى واضحا للعادة، كما في المعنى المتبقي في "one of the insitutions of the place» أحد أعراف المكان. ليس من اليسير تحديد وقت ظهور المعنى المجرد تماماً؛ الذي يبدو مرتبطاً دائماً بتجريد SOCIETY مجتمع (ا م) المقارب.